من إصدارات المؤلفة

- الفقه الميسر (٦ أجزاء) فقه مقارن - مكتبة مكة - القاهرة - طنطا (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).
- أمراض القلوب - خمسة وثلاثون مرضًا من أمراض القلوب وطرق علاجها - مكتبة مكة - القاهرة (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).
- التعليقات الجلية على العقيدة السفارينية - للإمام السفاريني (٢ جزء)- دار الآثار - القاهرة (ت: ٠٢٢٥١٢٥١٨٤).
- مجموعة بداية الهداية (أصول الإيمان - تفسير القرآن - فقه الحلال والحرام - الحديث) - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٩).
- الفتوحات الربانية في تفسير أسماء الله الحسنى (٢ جزء) - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٩).
- عقائد الفرق الضالة وعقيدة الفرقة الناجية - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٩).
- الدرر البهية - بيان التوحيد الصحيح من الكتاب والسنة - مكتبة/ دار ابن الجوزي بالقاهرة (ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢١- ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠).
- المحجة البيضاء في بيان أهمية التمسك بالسنة وبيان البدع وأنواعها - دار ابن الجوزي القاهرة (ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢١- ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠).
- محمد رسول الله ﷺ كأنك تراه - دار ابن الجوزي القاهرة (ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢١- ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠).
- بيان قدر الصحابة عند الله العظيم وضلال الشيعة الخاسرين - مكتبة آل ياسر- القاهرة (ت: ٠١١١٢٤٥٨٤٤٤).

الموقع الرسمي لأم تميم

omtameem.com

الصفحة الرسمية لأم تميم على الفيسبوك

https://www.facebook.com/Om.Tameem.Dr.Azza.Mohamed

الباب الرابع

ذكر البرزخ والقبور، وأشراط الساعة والحشر والنشور

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٠٣- وكُـلُّ مـا صـحَّ مـنَ الأخبـارِ   أو جــــاءَ في التَّنْزيـــلِ والآثـــارِ

١٠٤- مِـن فِتنَـةِ البَـرزَخِ والقُبـورِ   ومَـــا أتَـــى في ذَا مِـــنَ الأمـــورِ

الشرح

«الأخبار» أي: كل ما صح من الأحاديث التي أُخبرنا بها عن رسول الله ﷺ وثبت أنها مروية عنه بأسانيد صحيحة، أو ما جاء في «التنزيل» أي: القرآن وكذا «الآثار» أي: ما روي عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بأسانيد صحيحة نقبله ولا نرد منه شيئًا، فهذه ثلاثة شروط وضعها صاحب النظم للأخذ بما يُخبر به عن فتنة القبور، احترازًا من الأحاديث الضعيفة والآثار التي أخذت من الإسرائيليات كما جاء في بعض الكتب.

والفتنة لغة: الامتحان والاختبار، تقول: فتنت الذهب، إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته[(١)].

والبرزخ لغة: الحاجز بين الشيئين، ومن وقت الموت إلى القيامة[(٢)].

والبرزخ: أعم من القبر؛ لأن البرزخ يراد به ما بين موت الإنسان إلى قيام الساعة، فليس كل من مات دُفن وكان له قبر، فبعض الناس يموت في البحر ويأكله الحوت، ولا يبقى من بدنه شيء، فهذا لم يُقبر، وفي بعض البلدان إذا مات الإنسان حرقوه وسحقوه حتى يصير ترابًا فيوضع في

---

(١) الصحاح للجوهري (ص: ٧٩٥).

(٢) القاموس المحيط (ص: ٢٢٦).

زجاجة، فهذا ليس له قبر، ولكن هو في البرزخ، والكلُ سوف يُسأل ويحاسب سواء دفن في قبر أم لم يدفن.

مبحث هام: في الإيمان بالسؤال في القبر، وعذاب القبر ونعيمه:

سبق بيان معنى الفتنة، وهي الاختبار والامتحان، فالعبد يُختبر في قبره بالسؤال عن ربه وعن نبيه، فإن عاش على التوحيد ومات على ذلك، فإنه يُجيب: ربيَ الله ونبيي محمد ﷺ، وما أسهل الرد على هذا السؤال في الدنيا، أما بعد الموت وفي القبر فلن يستطيع أحد من الناس الرد إلا من عاش على التوحيد وحققه ومات عليه، والإيمان بذلك كله واجب وأدلته ثابتة في الكتاب والسنة والإجماع، وأنكره المعتزلة[1] ومن وافقهم خلافًا لأهل السنة والجماعة، ونذكر ههنا ما يتعلق بهذا المبحث من مسائل.

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة على فتنة القبر:

قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

قال البراء بن عازب رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد ﷺ، فذلك قوله عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩)، ومسلم (٧٣/ ٢٨٧١) واللفظ له.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض تفسيره للآية: وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب والعذاب الموجه إليهم إنما هو عند الاحتضار، وقبيل الموت وبعده.

وفيه دليل على أن الروح جسم يدخل ويخرج ويخاطب، ويساكن الجسد ويفارقه، فهذه حالهم في البرزخ(١).

وقال جل ذكره في قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

وقال جل وعلا في شأن المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قيل العذاب الأول: الفضيحة باطلاع النبي ﷺ عليهم، على ما يأتي بيانه في المنافقين، والعذاب الثاني: عذاب القبر.

قال الحسن وقتادة: عذاب الدنيا، وعذاب القبر.

قال ابن زيد: الأول بالمصائب في أموالهم وأولادهم، والثاني: عذاب القبر.

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

---

(١) تفسير السعدي (٢٦٥).

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معناه: أنهم لما أرادوا أن يمكروا بهذا المؤمن وقاه الله مكرهم، وردّ العاقبة السيئة عليهم، فردّ سوء مكرهم إليهم، فكان المؤمن المذكور ناجيًا في الدنيا والآخرة، وكان فرعون وقومه هالكين في الدنيا والآخرة والبرزخ.

فقال في هلاكهم في الدنيا: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [الأنفال: ٥٤] وأمثالها من الآيات.

وقال في مصيرهم في البرزخ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، وقال في عذابهم في الآخرة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر][1].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير هذه الآية**: الجمهور على أن هذه الآية في البرزخ، واحتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] ما دامت الدنيا، كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم.

قالوا: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر][2].

عن قتادة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه حَدَّثَهم: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا**

---

(١) أضواء البيان (٦/ ٣٨٨، ٣٨٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٠٥).

المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»[(١)].

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ». قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ» زَادَ غُنْدَرٌ: «عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ»[(٢)].

عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَمِعَ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، تَقُولُ: «قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا فَذَكَرَ فِتْنَةَ القَبْرِ الَّتِي يَفْتَتِنُ فِيهَا المَرْءُ، فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَجَّ المُسْلِمُونَ ضَجَّةً»[(٣)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٢)، ومسلم (٥٨٦).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٣)، ومسلم (٩٠٥) مطولًا.
(٤) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨) واللفظ للبخاري.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا**» أَوْ: «**إِلَى أَنْ يَيْبَسَا**»(١).

وقال رسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْه**»(٢).

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**»(٣).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النبي ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ قُولُوا: «**اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**»(٤).

ذكر حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه الاحتضار وقبض الروح وفتنة القبر:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ

(١) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢) وغيرهما.
(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٨٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري، عن زيد بن ثابت.
(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩).
(٤) أخرجه مسلم (٥٩٠).

الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ «هَاهُنَا» وَقَالَ: «وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟» قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ - زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ - فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم: ٢٧]» الْآيَةُ - ثُمَّ اتَّفَقَا - قَالَ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ» قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا» قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ» قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: «وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ» قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا» قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا» قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»(١).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨)، وأبو داود (٤٧٥٣).

الشهيد يُجار من فتنة القبر:

عن سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**»(١).

وعَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**»(٢).

وعَنْ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِب قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ؛ اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ**»(٣).

مسألة: ما اسم الملكين اللذين يسألان العبد في قبره؟ وأقوال السلف في ثبوت عذاب القبر:

تواتر عند السلف أن اسمهما: منكر ونكير، كما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٣).

(٢) أخرجه النسائي (٤/ ٩٩)، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٥/ ٧٤٣)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص: ٥٠).

(٣) أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وأحمد (٤/ ١٣١)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦٤)، وفي الشعب (١٠٨٢٣، ١٠٨٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٢)، وفي أحكام الجنائز (٣٥، ٣٦).

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(١).

قال البربهاري رَحِمَهُ اللهُ: والإيمان بعذاب القبر ومنكر ونكير(٢).

قال اللالكائي رَحِمَهُ اللهُ: سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن المسلمين إذا دلوا في حفرتهم يسألهم منكر ونكير، وأن عذاب القبر حق، والإيمان به واجب(٣).

عن حنبل قال: سمعت أبا عبد الله -يعني: أحمد بن حنبل- يقول: إذا صير العبد إلى لحده وانصرف عنه أهله أعيد إليه روحه في جسده فيُسأل حينئذ في قبره، وهو قول الله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه- راجع شرح البيت الثاني بعد المائة.
(٢) شرح السنة (ص: ٤٣).
(٣) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ٤٣٦).

ﭐلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧] يعني القبر.

فنسأل الله أن يثبتنا على طاعته، ويبارك لنا في تلك الساعة عند المساءلة، فالسعيد من أسعده الله عز وجل، قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير[(١)].

وعن حنبل أيضًا: قال: سمعت علي بن عبد الله المديني سنة إحدى وعشرين ومائتين بالبصرة يقول: نؤمن بعذاب القبر ونقول: إنه حق، وأن هذه الأمة تفتن في قبورها، وتُسأل عن النبي ﷺ، ونؤمن بمنكر ونكير[(٢)].

قال الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم نقول: كل ما أخبر به محمد ﷺ من عذاب القبر، ومنكر ونكير، وغير ذلك من أهوال القيامة... فهو حق؛ لأنه ممكن، وقد أخبر الصادق فليزم صدقه[(٣)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلامه عن القسم بغير الله تعالى من مخلوقاته: لو فرق مفرق بين ما يؤمن به، وبين ما لا يؤمن به، قيل له: فيجب الإيمان بالملائكة والنبيين ويؤمن بكل ما أخبر به الرسول مثل منكر ونكير، والحور العين، والولدان وغير ذلك[(٤)].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإن عذاب القبر حق، ومساءلة أهل القبور حق[(٥)].

---

(١) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٢١٥٨).

(٢) المصدر السابق (٢١٥٨).

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص: ٦٦٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٥) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٢٦٠).

عذاب القبر هو عذاب البرزخ:

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قُبر أم لم يُقبر، أكلته السباع، أو احترق حتى صار رمادًا ونُثر في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المُقبَر.

وما ورد من إجلاسه، واختلاف أضلاعه، ونحو ذلك فيجب أن يُفهم عن رسول الله ﷺ مرادهُ من غير غلوٍّ ولا تقصير فلا يُحمَّل كلامه ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدي والبيان.

وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا، وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير، وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه، وغيَّبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولَمَا تدافن الناس، كما في الصحيح عنه ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُم مِن عَذَابِ القَبْرِ مَا أَسْمَعَ**»[1].

ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته، قاله ابن أبي العز[2].

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٣٩٠، ٣٩١) باختصار.

مسألة: هل عذاب القبر ونعيمه للروح فقط أم للروح والجسد معًا؟

أجمع أهل السنة أن عذاب القبر ونعيمه للروح والجسد معًا، تنعم النفس وتعذب مفردة في بعض الأوقات ومتصلة بالجسد في بعض الأوقات، والأدلة على أن النعيم والعذاب يحصل للروح والجسد معًا ما روي عن رسول الله ﷺ من السنة الصحيحة كما سبق بيانه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن.

وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث، قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وإن البدن لا ينعم ولا يعذب، وهذا يقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين... إلى أن ساق جملة من الأحاديث الصحيحة التي ذكرناها أول المسألة[١].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ: وليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح، والأحاديث الصحيحة ترد القولين.

وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن معًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردةً عن البدن ومتصلة به[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٣).

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٣٨٩، ٣٩٠).

مسائل تتعلق بفتنة القبر اختلف فيها العلماء:

اختلف العلماء في سؤال القبر، هل لجميع الأمم أم لأمة محمد ﷺ فقط؟ وفي الأطفال وغير المكلفين، هل يُسألون في قبورهم أم لا؟ وفي عذاب القبر هل يدوم أم ينقطع؟ وكذلك اختُلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة.

سُئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن الصغير، هل يحيا ويُسأل؟ أو يحيا ولا يُسأل؟ وبماذا يُسأل عنه؟ وهل يستوي في الحياة والسؤال من يكلف ومن لا يكلف؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، أما من ليس مكلفًا كالصغير والمجنون فهل يمتحن في قبره ويسأله منكر ونكير؟ على قولين للعلماء:

أحدهما: أنه يمتحن وهو قول أكثر أهل السنة، ذكره أبو الحسن بن عبدوس عنهم، وذكره أبو حكيم النهرواني وغيرهما.

والثاني: أنه لا يُمتحن في قبره، كما ذكره القاضي أبو يعلى، وابن عقيل وغيرهما، قالوا: لأن المحنة إنما تكون لمن يكلف في الدنيا.

ومن قال بالأول يستدل بما في الموطأ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ صلى عَلَى صغير لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ، فقال: «**اللَّهُمَّ قِهِ عَذَابَ الْقَبْرِ وَفِتْنَةَ الْقَبْرِ**»[(١)]، وهذا يدل على أنه يُفتن[(٢)].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: وللناس في سؤال منكر ونكير: هل هو خاص بهذه الأمة أم لا؟ ثلاثة أقوال: الثالث: التوقف، وهو قول جماعة منهم

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٩٨) بلفظ: « **اللهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**».

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨١).

أبو عمر ابن عبد البر، فقال: وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا**»[(١)] منهم من يرويه «تُسأل» وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خُصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع عليه، ويظهر عدم الاختصاص، والله أعلم[(٢)].

وكذلك اختلفوا في سؤال الأطفال أيضًا.

وهل يدوم عذاب القبر أم ينقطع؟

جوابه أنه نوعان: منه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، وكذا في حديث البراء بن عازب، في قصة الكافر: «**ثم يُفْتَحُ له بَابٌ إلى النَّارِ، فيَنظُرُ إلى مقعَدِه فِيها حتَّى تَقُومَ السَّاعَة**»[(٣)].

النوع الثاني: أنه مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه.

وقد اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة:

فقيل: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار.. وذكر أقوالًا أُخر ثم قال:

ويتلخص من أدلتها: أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم التفاوت.

فمنها: أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت.

(٢) وهذا هو الصحيح، دليل ذلك الأحاديث التي قدمناها في سؤال القبر وفيها سؤال الكافر، وقوله ﷺ: «**يهود تعذب في قبورها**» وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه.

ومنها: أرواح في حواصل طير خُضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا كُلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، كما في «المسند» عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاذَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قال: «**الجَنَّة**». فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «**إِلَّا الدَّيْنَ، سَارَّنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا**»(١).

ومن الأرواح ما يكون محبوسًا على باب الجنة، كما في الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**رَأَيْتُ صَاحِبَكُم مَحْبُوسًا عَلَى بَابِ الجَنَّة**»(٢).

ومنها ما يكون محبوسًا في قبره، ومنها ما يكون محبوسًا في الأرض، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر دم تسبح فيه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٥٠)، والنسائي (٧/ ٣١٤) وغيرهما، وله شاهد عند مسلم (١١٧/ ١٨٨٥) من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان أفضل الأعمال... فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ**».

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٦، ٥/ ٧)، وابن ماجه (٢٤٣٣) وغيرهما. ولفظ الحديث: عَنْ سَعْدِ بْنِ الْأَطْوَلِ، أَنَّ أَخَاهُ مَاتَ وَتَرَكَ ثَلَاثَمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا، فَأَرَدْتُ أَنْ أُنْفِقَهَا عَلَى عِيَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَخَاكَ مُحْتَبَسٌ بِدَيْنِهِ، فَاقْضِ عَنْهُ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَدَّيْتُ عَنْهُ إِلَّا دِينَارَيْنِ، ادَّعَتْهُمَا امْرَأَةٌ وَلَيْسَ لَهَا بَيِّنَةٌ، قَالَ: «**فَأَعْطِهَا فَإِنَّهَا مُحِقَّةٌ**».

وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة[(١)]. والله أعلم.

---

(١) كما في حديث سَمُرَةُ بْنِ جُنْدُبٍ الطويل عند البخاري (٧٠٤٧) وفيه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ، مَا هَذَانِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، - قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: فَيَشُقُّ -» قَالَ: «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى» قَالَ: «قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ - قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ» قَالَ: «فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآةِ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ

وأما الحياة التي اختص بها الشهيد، وامتاز بها عن غيره في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران].

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا

=

رَأَيْتُهُمْ قَطُّ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا مَا هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ» قَالَ: «قَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا» قَالَ: «فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ المَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ» قَالَ: «قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ» قَالَ: «وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ المَحْضُ فِي البَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» قَالَ: «قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ» قَالَ: «فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ البَيْضَاءِ» قَالَ: «قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ، قَالَا: أَمَّا الآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلَهُ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ» قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ، وَأَمَّا القَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرٌ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ».

تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ [البقرة].

فهي: أن الله تعالى جعل أرواحهم في أجواف طير خضر، كما في حديث عبد الله بنِ عبَّاس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ**»[(١)]، الحديث رواه أحمد وأبو داود، وبمعناه في حديث ابن مسعود، رواه مسلم[(٢)].

فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه، أعاضهم منها في البرزخ أبدانًا خيرًا منها، تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها.

ولهذا كان نَسَمة المؤمن في صور طير أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير، وتأمل لفظ الحديثين، ففي «الموطأ» أن كعب بن مالك كان يُحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ تَعَلَّقَ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى**

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦)، وأبو داود (٢٥٢٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٨، ٢٩٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة (٤/ ٥٦٥)، وابن أبي عاصم في الجهاد (١٩٣، ١٩٤، ١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٧) عن عبد الله بن مسعود، وقال فيه: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا**».

يُرْجِعَهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ يَوْمَ البَعْثِ»[١].

فقوله: «**نسمة المؤمن**»: تعمُّ الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: «هي في جوف طير خضر» ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار، فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فُرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجةً من كثير منهم، فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو من دونه، والله أعلم.

وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في «السنن»[٢]، وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مُدد من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تُربته إلى يوم محشره، ويُحتمل أنه يُبلى مع طول المدة، والله أعلم، وكأنه والله أعلم كما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول[٣].

وقوله: «وما أتى في ذا من الأمور»:

أي: كل ما يتعلق بالقبر والبرزخ، وخروج الروح وغير ذلك من الأمور التي تتعلق بهذه المسألة نؤمن به ولا نرد منه شيئًا؛ لأن الأدلة جاءت صحيحة وصريحة في ذلك كله كما تقدم بيانه.

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ١٠٨)، وابن ماجه (٤٢٧١)، ومالك في الموطأ (١/ ٢٤٠)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٥٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٨)، وأبو داود (٢/ ١٨٤)، والنسائي (٣/ ٩١)، وابن ماجه (١٦٣٦) وغيرهم من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**».

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٩١، ٣٩٦) باختصار.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٥ - وأنَّ أرواحَ الـوَرَى لَـم تُعْـدَمِ مَـعْ كَوْنِهـا مَخلوقَـةً فاسْـتَفهِمِ

١٠٦ - فكُلُّ ما عَنْ سَيِّدِ الْخَلقِ وَرَد مِـنْ أمـرِ هٰـذا البـابِ حـقٌّ لا يُـرد

الشرح

المعنى: أن أرواح بني آدم: «لـم تُعدم» أي: لـن تفنى في المستقبل مع كونها مخلوقة، نعم نؤمن أن أرواحنا مخلوقة، فهي ليست أزلية، فكل شيء سوى الله -جل وعلا- مخلوق، وهذا مما أجمع عليه أهل السنة، ونقل الإجماع على ذلك محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة[1]، وهذا خلافًا للفلاسفة الذين يقولون: الروح قديمة وأنها ليست حادثة، وهذا اعتقاد فاسد يخالف النقل والعقل، وقد تقدمت الأدلة على أن: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢][2].

ونؤمن أيضًا بأن أرواح العباد لن تفنى كالجنة والنار، وهذا بنص القرآن والسنة.

فقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض شرحه للآية: فهذا الاستثناء هو لتحقيق دوام الحياة وعدم ذوق الموت[3].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص: ٣٨٠).

(٢) راجع - إن شئت- شرح البيت الثامن والخمسين والتاسع والخمسين.

(٣) بدائع التفسير (٤/ ١٤٤).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا استثناء يُؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع، ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]، وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم]»(١)(٢).

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره خلاف الناس في الروح هل تموت أم لا؟:

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تُعدم أو تفنى بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب، وساق الأحاديث التي تدل على نعيم الروح وعذابها كما تقدم(٣)(٤).

وقال أيضًا - في ماهية الروح-: الروح تُوصف بالوفاة والقبض

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٠، ١٨١).
(٣) راجع المبحث السابق.
(٤) شرح الطحاوية (ص: ٣٨٥).

والإمساك والإرسال وهذا شأن المخلوق المحدث... إلى أن قال: والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ففيها الإخبار بتوفّيها وإمساكها وإرسالها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣] ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها، ووصفها بالإخراج والخروج، والإخبار بعذابها ذلك اليوم، والإخبار عن مجيئها إلى ربها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠] ففيها الإخبار بتوفي النفس بالليل وبعثها إلى أجسادها بالنهار، وتوفِّي الملائكة لها عند الموت.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر].

ففيها وصفها: بالرجوع والدخول والرضا.

وقال ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»(١) ففيه وصفه بالقبض وأن البصر يراه.

وقال ﷺ في حديث بلال: «قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥)، ومسلم (٦٨١) مطولًا باختلاف.

وقال ﷺ: «**نَسَمَةُ الْمُؤمِن طَائِر يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الجَنَّة**»(١).

وسيأتي في الكلام على عذاب القبر(٢) أدلة كثيرة من خطاب ملك الموت لها، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، وأنها تصعد ويوجد منها من المؤمن كأطيب ريح، ومن الكافر كأنتن ريح، إلى غير ذلك من الصفات، وعلى ذلك أجمع السلف، ودل العقل، وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة والشُّبه الفاسدة، التي لا يُعارض بها ما دل عليه نصوص الوحي والأدلة العقلية(٣).

أقسام الروح:

مسمى الروح يطلق على عدة أشياء كما جاء ذلك في القرآن.

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الروح: فروح الأجساد الذي يقبضه الله عند الممات.

والروح: جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] يعني جبريل، وقال: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣] أي: جبريل.

والروح: فيما ذكره المفسرون، ملكٌ عظيم من ملائكة الله(٤)، يقوم

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٢) سبق بيان ذلك في مبحث: عذاب القبر ونعيمه.

(٣) شرح الطحاوية (ص: ٣٨٠-٣٨٣) باختصار.

(٤) للعلماء في معنى الروح في هذه الآية ست أقوال، قال ابن كثير: أحدها: أنهم أرواح بني آدم، الثاني: هم بنو آدم، الثالث: أنهم خلق من خلق الله على صورة بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر، وهم يأكلون ويشربون، الرابع: هو جبريل، ويشهد لهذا القول بقوله =

وحده فيكون صفًّا وتقوم الملائكة صفًّا، قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨] وقال عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥].

ويقال للملائكة الروحانيون: لأنهم أرواح، نُسبوا إلى الروح -بالألف والنون- لأنها نسبةُ الخلقة(١).

والروح: **النفخ**: سُمي روُحًا لأنه ريح تخرج عن الروح.

والمسيح: **رُوحُ الله**: لأنه نفخه جبريل في درع مريم، ونُسب الروح إلى الله لأنه بأمره كان، يقول الله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]، يعني نفخة جبريل، وقد يجوز أن يكون سُمّي رُوح الله لأنه بكلمته كان، قال تعالى: «كن» فكانت.

وكلام الله رُوحٌ: لأنه حياة من الجهل وموت الكفر، قال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [غافر: ١٥].

ورحمة: وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

=

عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء] الخامس: أنه القرآن، قاله ابن زيد كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] الآية، والسادس: أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات، وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحدة من هذه الأقوال كلها، والأشبه عنده - والله أعلم- أنهم بنو آدم- تفسير ابن كثير (٤/ ٥٨٥).

(١) في اللسان (٣/ ٣٩١): وفي الحديث الملائكة الروحانيون يُروى بضم الراء وفتحها، كأنه نسب إلى الرُّوح أو الرَّوح وهو نسيم الريح، والألف والنون من زيادات النسب، ويريد به أنهم أجسام لطيفة لا يدركها البصر.

الله رُوحٌ: قال تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢] أي: برحمة، كذلك قال المفسرون، إلى أن قال: وقد تكون الروح الرحمة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ [يوسف: ٨٧] أي: من رحمته سمّاها روحًا لأن الروح والراحة يكونان بها(١).

تنبيه: لا يجوز لأحد أن يسأل عن شيء ليس عليه دليل من الكتاب أو السنة.

قال الله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ اليَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالَ: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَسْتَقْبِلَنَّكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي فَلَمَّا نَزَلَ الوَحْيُ، قَالَ: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء](٢).

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: قال ابن وهب عن مالك: لم يأته في ذلك جواب، وقد قال بكر بن مُضر في رواية ابن وهب عنه: إن اليهود قالوا: سلوه عن الروح، فإن أخبركم فليس بنبيٍّ، وإن لم يخبركم فهو نبي، فسألوه، فنزلت

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٤١- ٤٤٦) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢١). والعَسِيب: عصا من جريد النخل- الفتح (١/ ٢٧٠).

الآية.

ومعنى هذا: أن الأنبياء لا يتكلمون مع الخلق في المتشابهات، ولا يفضون معهم في المشكَلات، وإنما يأخذون في البيِّن من الأمور المعقولات، والروح خلق من خلق الله تعالى جعله الله في الأجسام، فأحياها به وعلمها وأقدرها، وبنى عليها الصفات الشريفة... فإذا أراد العبد إنكارها لم يقدر لظهور آثارها، وإذا أراد معرفتها وهي بين جنبيه لم يستطع، لأنه قصر عنها وقصر به دونها(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وليس في الكتاب والسنة أن المسلمين نهوا أن يتكلموا في الروح بما دل عليه الكتاب والسنة، لا في ذاتها ولا في صفاتها، وأما الكلام بغير علم فذلك محرم في كل شيء، ولكن ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود.. وساق الحديث المتقدم(٢).

وقوله: «فكل ما عن سيد الخلق ورد مِنْ أمرِ هٰذا البابِ حقٌّ لا يُرد»:

أي: كل شيء عن «سيد الخلق» والسيد ذو الشرف والجاه والمراد به نبينا ﷺ «ورد» أي: جاء في حديث صحيح ثابت عن رسول الله ﷺ «من أمر هذا الباب» أي: بما يتعلق بهذا الباب أي: المسألة، فهو «حق لا يرد»؛ لأن الذي أخبر به الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، ففتنة القبر حق، وحياة البرزخ حق، وسؤال الملكين حق، وكل ما جاء في كتاب

(١) أحكام القرآن (٣/ ٢٣٣-٢٣٤).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٣١).

ربنا وأخبرنا به نبينا ﷺ حق سواء أدركته عقولنا وحواسنا أم لا.

مسألة: هل النبي ﷺ سيد ولد آدم فقط أم سيد الخلق أجمعين؟

ثبت في حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه[١]، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

أما كونه سيد الخلق أم سيد ولد آدم فقط، فهذا الحكم يترتب علي الراجح من أقوال العلماء: هل البشر أفضل من الملائكة أم لا ؟[٢].

والراجح أن بني آدم أفضل من الملائكة، فرسول الله ﷺ أفضل من الملائكة وهو سيد الخلق أجمعين.

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٢) سيأتي تفصيل المسألة عند شرح البيت التاسع والستين بعد المائة.

فصل

في أشراط الساعة وعلامتها الدالة على اقترابها ومجيئها

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٠٧- وَمَا أَتَى فِي النَّصِّ مِنْ أَشْرَاطِ فكلُّهُ حَقٌّ بِلَا شَطاطِ

١٠٨- مِنهَا الإِمَامُ الخَاتَمُ الفَصيحُ مُحمَّدُ الْمَهدِيُّ وَالمَسِيحُ

١٠٩- وَأَنَّه يقتُلُ الدَّجَّال ببَابِ لُدٍّ خَلِّ عَن جِدالِ

١١٠- وَأَمْرُ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ أَثْبِتِ فإِنَّهُ حَقٌّ كَهَدْمِ الكَعْبَةِ

١١١- وَأَن مِنْهَا آيَةُ الدُّخانِ وَأَنهُ يُذهَبُ بالْقُرْآنِ

١١٢- طُلُوعُ شَمسِ الأُفقِ مِن دَبورِ كذَاتِ أَجيَادٍ عَلَى الْمَشْهُورِ

١١٣- وَآخِرُ الْآيَاتِ حَشْرُ النَّارِ كَمَا أَتَى فِي مُحكَمِ الْأَخْبَارِ

١١٤- فَكُلُّهَا صَحَّت بِهَا الْأَخْبَارُ وَسطَّرَتْ آثارَهَا الأَخيارُ

الشرح

أي: «وما أتى في النص» أي ما جاء في القرآن أو الأحاديث الصحيحة «من أشراط»- والشرط: العلامة ومنه أشراط الساعة[(١)]-«حق بلا شطاط».

الشَّطَاط لغة: البعد واعتدال القامة أيضًا، والشِطاطِ أيضًا بالكسر[(٢)].

والمعنى: أن كل ما ثبت بالنص من أشراط الساعة، فهو حق، لا يبعد

---

(١) انظر: الكليات (ص: ٤٤٤).

(٢) الصحاح (٥٤٨) مادة (شطط).

وقوعه؛ لأن الذي أخبر به الله تعالى ورسوله ﷺ.

والساعة معناها: جزء من أجزاء الزمان، ويعبر به عن القيامة قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥]، تشبيهًا بذلك لسرعة حسابه، كما قال: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام]، أو لما نبَّه عليه بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات]، ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الروم: ١٢]، فالأولى هي القيامة، والثانية الوقت القليل من الزمن[١].

وقوله: «منها الإمام الخاتم... إلى آخر الأبيات»:

أي: من علامات الساعة وأماراتها: المهدي، ونزول المسيح عليه السلام، وخروج الدجال... إلى غير ذلك من العلامات التي ذكرها صاحب النظم، والمسألة تحتاج إلى تفصيل، أذكره ههنا في مباحث.

المبحث الأول: أشراط الساعة:

اعلم أن أشراط الساعة تنقسم إلى قسمين: أشراط صغرى، وأشراط كبرى.

أما الأشراط الصغرى: فبعضها ظهر وانتهى كبعثة النبي وموته ﷺ وغير ذلك، ومنها ما هو حاضر نعيشه؛ كتطاول الرعاء في البنيان، وظهور الكاسيات العاريات، وشرب الخمر، واستحلال المعازف وغيره، ومنها ما لم يظهر بعد؛ كاستفاضة المال والاستغناء عن الصدقة، وأن يكون

---

(١) المفردات (٢٧٢، ٢٧٣).

لخمسين امرأة القيم الواحد، وهدم الكعبة، وردة أقوام آخر الزمان، وغير ذلك من الأشراط الصغرى التي لم تقع حتى الآن.

أما الأشراط الكبرى: فهي عشرة، ولم يقع منها شيء، وسأذكر جملة من الأحاديث لبيان المسألة.

واعلم -أيضًا- أن ترتيب الأشراط ليس عليه دليل؛ أي لا يشترط أن تنتهي الأشراط الصغرى ثم تأتي الكبرى، بل الثابت أن من الأشراط الصغرى ما يظهر مع الأشراط الكبرى، ومنها ما يظهر بعد الأشراط الكبرى، ومنها ما ظهر ومضى.

ذكر جملة من أشراط الساعة الصغرى:

ست خِلالٍ بين يدي الساعة، منها موت النبي ﷺ:

عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**»(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قوله «ستًّا»** أي: ست علامات لقيام الساعة أو لظهور أشراطها المقتربة منها.

قوله: «ثم مُوتان» بضم الميم وسكون الواو، قال القزاز: هو الموت.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٦).

وقـال غيـره المـوت الكثيـر الوقـوع، ويقـال بالضـم لغـة تمـيم، وغيـرهم يفتحونها.

قوله: «**كعقاص الغنم**» بضـم العين المهملـة، وتخفيـف القـاف، وآخـره مهملة، هو: داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة، وقال أبـو عبيـدة: ومنـه أخـذ الإقعـاص وهـو القتـل مكانـه، وقـال ابـن فـارس: العُقاص: داء يأخذ في الصدر كأنه يكسر العنق، ويقال إن هذه الآية ظهـرت في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس.

قوله: «**ثم استفاضة المال.... وفتنة**» أي كثرته وظهرت في خلافة عثمـان عنـد تلـك الفتـوح العظيمـة، والفتنـة المشـار إليهـا افتُتحـت بقتـل عثمـان واستمرت الفتن بعده، والسادسة لم تجيء بعد.

قوله: «**هدنة**» بضم الهاء وسكون المهملة بعدها نون، هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه.

قوله: «**بني الأصفر**» هم الروم.

قوله: «**غاية**» أي راية، وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقـف، ووقع في حديث ذي مخبر بكسر الميم، وسكون المعجمة، وفتح الموحدة عند أبي داود في نحو هذا الحديث بلفظ «راية» بدل غاية.

قـال المهلـب رَحِمَهُ اللَّهُ: فيـه أن الغـدر مـن أشـراط السـاعة، وفيـه أشـياء مـن علامات النبوة قد ظهر أكثرها.

وقال ابن المنير رَحِمَهُ اللَّهُ: أما قصة الروم فلم تجتمع إلى الآن ولا بلغنا أنهـم غزوا في البر في هـذا العـدد فهـي مـن الأمـور التي لـم تقـع بعـد، وفيـه بشـارة

ونذارة، وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش، وفيه أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه.

ووقع في رواية للحاكم من طريق الشَّعبي عن عَوْفِ بن مَالك في هذا الحديث «أن عوف بن مالك قال لمعاذ في طَاعون عَمْوَاس أنَّ رَسول الله ﷺ قال لي: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ» فقَد وَقَعَ منهن ثَلاث، يعني موته ﷺ، وفَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، والطَّاعون، قال: وبقي ثلاث، فقال له معاذ: إن لهذا أهلًا» ووقع في الفتن لنعيم بن حماد أن هذه القصة تكون في زمن المهدي على يد ملك من آل هرقل[1].

قتال اليهود:

عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «تُقَاتِلُكُمُ اليَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»[2].

وفي رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا اليَهُودَ، حَتَّى يَقُولَ الحَجَرُ وَرَاءَهُ اليَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»[3] وزاد مسلم: «إِلَّا الغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: الغرقد: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود[4].

---

(١) فتح الباري (٦/ ٣٢١، ٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٩٣)، ومسلم (٢٩٢١) واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ له.

(٤) مسلم بشرح النووي (٩/ ٢٧٤).

كثرة القتل وتمني الموت:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ**»(٢).

ادعاء النبوة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**»(٣).

بعثة النبي ﷺ وموته:

عن سَهْلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**» ويشير بإصبعيه فيمدهما(٤).

وفي حديث عَوفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه المتقدم: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدي السَّاعَةِ: مَوْتِي**»(٥).

غربة الإسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا،**

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم (٥٦/ ٢٩٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (٨٤/ ١٥٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).

(٥) صحيح: تقدم تخريجه قريبًا.

وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»(١).

قلة العلم وفشو الجهل وموت العلماء:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا**»(٢).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(٣).

استحلال الحرام، وتسميته بغير اسمه:

عن أَبِي بَكْرِ بْنِ حَفْصٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ مُحَيْرِيزٍ، يُحَدِّثُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا**»(٤).

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ، وَاللهِ مَا كَذَبَنِي: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) وغيره.
(٢) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).
(٣) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).
(٤) أخرجه النسائي (٨/ ٣١٢)، وأحمد (٤/ ٢٣٧).

القِيَامَةِ»[(١)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: **قوله: «لَيَنزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ»** بفتحتين والجمع أعلام، وهو الجبل العالي، قيل: رأس الجبل.

قوله: «يروح عليهم» كذا فيه بحذف الفاعل، وهو الراعي بقرينة المقام، إذ السارحة لابد لها من حافظ.

قوله: «بسارحة» بمهملتين: الماشية التي تسرح بالغداة إلى رعيها. وتروح: أي ترجع بالعشي إلى مألفها.

قوله: «يأتيهم لحاجة» كذا فيه بحذف الفاعل أيضًا.

قال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ: التقدير الآتي أو الراعي أو المحتاج أو الرجل، قلت: وقع عند الإسماعيلي «يأتيهم طالب حاجة» فتعين بعض المقدرات.

قوله: «فيبيتهم الله» أي يهلكهم ليلًا، والبيات هجوم العدو ليلًا.

قوله: «ويضع العلم» أي يوقعه عليهم، وقال ابن بطال: إن كان العلم جبلًا فيدكدكه، وإن كان بناء فيهدمه ونحو ذلك.

قوله: «ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة» يريد ممن لم يهلك في البيات المذكور، أو من قوم آخرين غير هؤلاء الذين بيتوا... «ويمسخ منهم آخرين» قال ابن العربي: يحتمل الحقيقة كما وقع للأمم السالفة، ويحتمل أن يكون كناية عن تبدل أخلاقهم. قلت: والأول أليق بالسياق.

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (٥٥٩٠)، ووصله ابن حبان (٦٧٥٤)، والطبراني في الكبير (٣٤١٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٧٤٨)، واللفظ للبخاري، وانظر: صحيح سنن أبي داود (٤٠٣٩).

وفي هذا الحديث وعيد شديد على من يتحيل في تحليل ما يحرم بتغيير اسمه، وأن الحكم يدور مع العلة، والعلة في تحريم الخمر الإسكار، فمهما وجد الإسكار وجد التحريم ولو لم يستمر الاسم.

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: هو أصل في أن الأحكام إنما تتعلق بمعاني الأسماء لا بألقابها، ردًّا على من حمله على اللفظ[1].

قلة الرجال وكثرة النساء وظهور الزنا وكثرة التبرج:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا؛ قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[3].

وهذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ.

---

(١) الفتح (١٠/ ٥٧، ٥٨) باختصار.
(٢) أخرجه البخاري (٨١)، ومسلم (٢٦٧١).
(٣) أخرجه مسلم (٢١٢٨).

تغير أحوال الناس ورفع الأمانة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَبْلَ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**»(١).

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: «**أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**»، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ فَقَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ نَوْمَةً فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ تَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ**»، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ، قَالَ: «**فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ وَأَظْرَفَهُ وَأَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ، وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا، وَفُلَانًا(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٩١، ٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٣٦)، والحاكم (٤/ ٥١٢،٥٥٧) وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٨٨،٢٢٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٨٦)، ومسلم (١٤٣).

والجذر: الْأَصْل، وَمِنْه جذر الْحساب، كَقَوْلِك: عشرَة فِي عشرَة مائَة، فالعشرة جذر الْمِائَة أَي: أَصْلهَا الَّذِي يقوم مِنْهُ هَذَا الْعدَد. وَقَالَ أَبُو عبيد: الجذر: الأَصْل من كل شَيْء - بِفَتْح الْجِيم وَكسرهَا.

=

تقارب الزمان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ - وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ»(١).

تباهي الناس في المساجد:

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ»(٢).

انحسار الفرات عن كنز من ذهب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ(٣) عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا»(٤).

=

والوكت: أثر الشَّيْء الْيَسِير، وَمِنْه: بُسْر موكت بِكَسْر الْكَاف: إِذا بدا فِيهِ شَيْء من الإرطاب.

والمجل: أثر الْعَمَل فِي الْكَفّ، يُقَال: مجلت يَده ومجلت، لُغَتَانِ.

وَقَوله: «فتراه منتبرًا»: أَي منتفطًا، يَعْنِي ارْتِفَاع الْجلد وَلَا شَيْء تَحْتَهُ.

وَقَوله: «فَلَا يكَاد أحد يُؤَدِّي الْأَمَانَة»: أَي: يقل من يُؤَدِّيهَا. ويكاد بِمَعْنى يُقَارب.

وَقَوله: «ليردنه على ساعيه»: أَي:رئيسه الَّذِي يحكم عَلَيْهِ وينصفني مِنْهُ.

انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (١/ ٣٨٠، ٣٨١).

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٤، ١٥٤، ٢٣٠،٢٨٣)، وأبو داود (٤٤٩)، وابن ماجه (٧٣٩)، والدارمي (١/ ٣٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٢١).

(٣) يحسر: ينكشف، عون المعبود (١١/ ٢٩٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٣٠/ ٢٨٩٤).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ: كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ: لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، قُلْتُ: أَجَلْ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ، فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ**»(١).

قال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللهُ في معرض شرحه حديث أبي هريرة: هذا يشعر بأن الأخذ منه ممكن، وعلى هذا فيجوز أن يكون دنانير، ويجوز أن يكون قطعًا، ويجوز أن يكون تِبرًا والذي يظهر أن النهي عن أخذه لما ينشأ عن أخذه من الفتنة، والقتال عليه، وساق الحديثين كما تقدم، ثم قال: هذا تلخيص ما قاله الحافظ في الفتح (٢). انتهى.

تقارب الأسواق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُوشِكُ أَنْ لَا تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ**»(٣).

في هذا الحديث إشارة لما وقع في هذا الزمان من تقارب الأسواق، وتقاربها- والله أعلم- هو سهولة البيع والشراء عبر الإنترنت، وكذا يمكن

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٥).

(٢) عون المعبود (١١/ ٢٩٤).

(٣) أخرجه ابن حبان «موارد الظمآن» (١٨٨٢)، وأحمد (٢/ ٥١٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٢٧): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سمعان وهو ثقة. وصحح إسناده الأرناؤوط في تحقيقه علي المسند.

لأي إنسان معرفة أحوال الأسواق في أنحاء العالم ومعرفة أسعار السلع، وأخبار الأسواق المالية- من سعر العملة وأحوال البورصة وغير ذلك- فالسلع الآن تنتقل عبر القارات، وتصل إلى المشتري وهو في بيته، فالحديث آية من آيات النبوة.

المبحث الثاني: خروج المهدي:

من أشراط الساعة كما ذكر صاحب النظم في قوله: «منها الإمام الخاتم الفصيح» فلا إمام بعد للمسلمين؛ لأن ظهوره عند اقتراب القيامة، وهو فصيح اللسان لأنه من العرب أهل اللغة والبلاغة، واسمه محمد المهدي، كما سيأتي في الأحاديث.

وعَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ**» قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ: «**لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ**» -ثُمَّ اتَّفَقُوا- «**حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي**» - أَوْ «**مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**» - **يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي**» زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «**يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**» وَقَالَ: فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: «**لَا تَذْهَبُ، أَوْ لَا تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي**»(١).

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ،**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣١)، وابن حبان «موارد الظمآن» (١٨٧٦-١٨٧٩)، وأحمد (١/ ٣٧٦، ٣٧٧) مختصرًا وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

لَبَعَثَ اللهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا»[١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُمْلَأَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَجَوْرًا وَعُدْوَانًا، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مَنْ يَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا**»[٢].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، أَجْلَى أَقْنَى، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ قَبْلَهُ ظُلْمًا، يَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ**»[٣].

قال العظيم آبادي رحمه الله: واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار، أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى المهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في صلاته[٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وأحاديث المهدي معروفة، رواها أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.. وساق الأحاديث كما ذكرناها[٥] انتهى.

---

(١) **صحيح**: سنن أبي داود (٤٢٨٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٧، ٥٥٨)، وأحمد (٣/ ٣٦)، وابن حبان (١٨٨٠).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٧) وإسناده حسن.

(٤) عون المعبود (١١/ ٢٤٣).

(٥) منهاج السنة (٤/ ٩٥).

اعلم أن اعتقاد أهل السنة والجماعة في المهدي على ما جاء في الأحاديث الصحاح، وليس المهدي كما يزعم الشيعة البغضاء أنه دخل السرداب بسامرَّاء وهم ينتظرون خروجه ومعه القرآن الكامل، فهم يزعمون أن القرآن الذي بين أيدينا ناقص ومحرف -تعالى الله عما يقول هؤلاء علوًّا كبيرًا- ولذلك هم يسمونه «بالمهدي المنتظر» وهو- أي المهدي- ولد الحسن بن عليّ العكسري.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أهل العلم بالأنساب والتواريخ أن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب، والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولد يدَّعون أنه دخل السرداب بسامرَّاء وهو صغير، منهم من قال: عمره سنتان، ومنهم من قال: ثلاث، ومنهم من قال: خمس سنين، وهذا لو كان موجودًا معلومًا، لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنة والإجماع أن يكون محضونًا عند من يحضنه في بدنه كأمه وأم أمه، ونحوهما من أهل الحضانة، وأن يكون ماله عند من يحفظه، إما وصي أبيه إن كان له وصي، وإما غير الوصي... إلى أن قال: فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إمامًا لجميع المسلمين معصومًا، لا يكون أحد مؤمنًا إلا بالإيمان به؟

ثم إن هذا باتفاق منهم: سواء قُدِّر وجوده أو عدمه، لا ينتفعون به، لا في دين ولا في دنيا، ولا عَلَّم أحدًا شيئًا، ولا يعرف له صفة من صفات الخير ولا الشر، فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ولا مصالحها، لا الخاصة ولا العامة.

وهـذا المنتظر لـم يحصـل بـه لطائفتـه إلا الانتظار لمـن لا يـأتي، ودوام الحسرة والألم، ومعاداة العالم، والدعاء الـذي لا يجيبـه الله؛ لأنهـم يـدعون له بالخروج والظهور من مدة أكثر من أربع مائة وخمس سنة(١).

المبحث الثالث: أشراط الساعة الكبرى:

وهي عشرة كما جاءت في حديث حذيفة، ولـم يـأت نـصٌّ صـريحٌ يبـين ترتيـب هـذه الأشـراط، ونـذكر هنـا الأحاديث التـي جـاءت فيهـا الأشـراط الكبرى.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْـنُ نَتَـذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّـاعَةَ، قَـالَ: «**إِنَّهَا لَـنْ تَقُومَ حَتَّى تَـرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ** - فَذَكَرَ - **الدُّخَانَ، وَالـدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُـوعَ الشَّـمْسِ مِـنْ مَغْرِبِهَـا، وَنُـزُولَ عِيسَـى ابْـنِ مَـرْيَمَ** ﷺ، **وَيَـأَجُوجَ وَمَـأْجُوجَ، وَثَلَاثَـةَ خُسُـوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»(٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى**»(٣).

قال النـووي رَحِمَهُ اللهُ: قولـه ﷺ: «**وآخـر ذلـك نـار تخـرج مـن الـيمن تطـرد الناس إلى محشرهم**» وفي روايـة «**نـار تخـرج مـن قعـره عـدن**» هكـذا هـو في

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٨٧-٩١).

(٢) أخرجـه مسـلم (٣٩/ ٢٩٠١)، وأبـو داود (٤٣١١)، والترمـذي (٢١٨٣)، وابـن ماجه (٤٠٤١) مختصرًا.

(٣) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

الأصول (قعرة) بالهاء والقاف مضمومة، ومعناه: من أقصى قعر أرض عدن، وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن.

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سُميت عدنًا من العدون، وهي الإقامة؛ لأن تُبَّعًا كان يحبس فيها أصحاب الجرائم، قال النووي: وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس، كما صرح به في الحديث.

أما قوله ﷺ في الحديث الذي بعده: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى**» فقد جعلها القاضي عياض حاشرة، قال: ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس، قال: أو يكون ابتداء خروجها من اليمن ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز، هذا كلام القاضي.

وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر، بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة، وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت نارًا عظيمة جدًّا من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة [(١)]، انتهى.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ**»[(٢)].

---

(١) مسلم بشرح النووي (٩/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٨/ ٢٩٤٧) وغيره.

وعنه أنه ﷺ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ[(١)]، وَخُوَيْصَّةَ[(٢)] أَحَدِكُمْ»[(٣)].

سبق بيان أن ترتيب الأشراط ليس فيه نص، ولكن يمكن معرفة ترتيب بعض الأشراط من خلال حدوث بعضها إثر بعض، كما قال رسول الله ﷺ: «خُرُوجُ الآيَاتِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ يَتَتَابَعْنَ كَمَا يَتَتَابَعُ الْخَرَزُ»[(٤)].

خروج الدجال وبيان صفته:

الدجال واحد من البشر غير أنه أكبر الخلق، له صفات جاءت في أحاديث نذكر ما صح منها، أما خروجه فمن قبل المشرق، ويكون معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار، أكثر أتباعه النساء واليهود، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن وإن كان أُميًّا، يدخل جميع البلاد إلا مكة والمدينة؛ لأن الملائكة يحرسانهما، ويهلكه الله في زمان عيسى عليه السلام.

ذكر بعض الأحاديث التي جاء فيها صفات الدجال:

عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ»[(٥)].

وفي رواية: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا

---

(١) قال قتادة: أمر العامة: القيامة- مسلم بشرح النووي (٩/ ٣١٣).

(٢) قال هشام: خاصة أحدكم: الموت، وخويصة تصغير خاصة- المصدر السابق.

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩/ ٢٩٤٧).

(٤) انظر: «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» (١٨٨٣)، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٤٢٧١)، وصححه الألباني لشواهده في الصحيحة (٣٢١٠).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٣٤)

رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»(١).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلَا حَجْرَاءَ، فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٢).

وعن جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، أنه قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا بِمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا تُحَدِّثْنَا بِمَا سَمِعْتَ مِنَ النَّاسِ قَالُوا: قَالَ: فَشَدَّدُوا عَلَيْهِ فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«أُنْذِرُكُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، أُنْذِرُكُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، وَهُوَ رَجُلٌ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ** -قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: أَظُنُّهُ قَالَ: **الْيُسْرَى**-، **يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، مَعَهُ جِبَالُ خُبْزٍ وَأَنْهَارُ مَاءٍ، يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَنْهَلٍ، لَا يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ** - فَذَكَرَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥/ ٢٩٣٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠).

معاني الألفاظ: أفحج: من الفحج، وهو تباعد ما بين الساقين أو الفخذين، وقيل: تداني صدور القدمين مع تباعد العقبين، وقيل: هو الذي في رجله اعوجاج. حجراء: ليست متصلبة، وروي (جحراء): أي عميقة، انخسفت فبقي مكانها غائرًا كالجحر.

انظر: فتح الباري (١٣/ ٩٧) - معالم السنن (٤/ ٣٤٦) - كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري للشنقيطي (١٤/ ٢٤٤).

الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَالطُّورَ، وَالْمَدِينَةَ - غَيْرَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، لَيْسَ اللهُ بِأَعْوَرَ، لَيْسَ اللهُ بِأَعْوَرَ» قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: وَأَظُنُّ فِي حَدِيثِهِ: «يُسَلَّطُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْبَشَرِ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، وَلَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهِ»(١).

وفي رواية: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٣٤).

بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[1].

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ بِعَيْنِ الشِّمَالِ،

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ الْأُمِّيُّ وَالْكَاتِبُ»(١).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ»(٢).

مدة مكثه في الأرض:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: أُحَدِّثُكُمْ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ الصادق الْمَصْدُوق: «إِنَّ الأَعْوَرَ الدَّجَّالَ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ يَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فِي زَمَانِ اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَفُرْقَةٍ، فَيَبْلُغُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الأَرْضِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، اللهُ أَعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا، اللهُ أَعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا - مرتين -. وَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَيَؤُمُّهُمْ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، قَتَلَ اللهُ الدَّجَّالَ وأَظْهَرَ الْمُؤْمِنِينَ»(٣).

الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(٤).

أكثر أتباع الدجال اليهود والنساء:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٣) انظر: «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» (١٩٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

بِمَرِّقَنَاةَ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوِ الْحَجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ»[(١)].

وعَنْ عَمِّهِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»[(٢)].

من حفظ أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[(٣)].

التعوذ من فتنة الدجال:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو: «أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ، وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»[(٤)].

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٤).

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٠٧)، ومسلم (٢٧٠٦).

وَالمَغْرَم» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»[1].

نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان:

ينزل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وذلك بعد خروج الدجَّال، فيقاتل مع الطائفة المنصورة ويقتل الدجال، ويكون حكمًا عدلًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، ويفيض المال، ويأتم بالمهدي في صلاته، ويهل بالحج أو العمرة، ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به.

ذكر الأدلة من القرآن على نزول عيسى عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وما المعنيّ بها، ومن ذكر ما هي، فقال بعضهم: هي من ذكر عيسى وهي عائدة عليه، وقالوا: معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره علم يُعلم به مجيء الساعة؛ لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا وإقبال الآخرة، ثم ساق جملة من الآثار عن من قال بهذا القول،

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

منهم ابن عباس، والحسن، وقتادة، وأبي مالك، والضحاك[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة[(٢)]. انتهى.

وقال تعالى ذكره: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ففي هذه الآيات إبطال لدعوى اليهود أنهم قتلوه أو صلبوه، فكذبهم الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ وإن كل واحد من أهل الكتاب سيؤمن به قبل موته -أي موت عيسى عليه السلام- على الراجح من أقوال أهل العلم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير آية آل عمران المتقدمة: فرفع الله عبده ورسوله عيسى إليه، وألقى شبهه على غيره، فأخذوا من ألقى شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباؤوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله[(٣)].

---

(١) جامع البيان (١٣/ ١١٥، ١١٦).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦١).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٣٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾:

فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره إني رافعك إليّ، ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني: بعد ذلك.

وقال الأكثرون: المراد بالوفاة ههنا: النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمر: ٤٢].

وكان رسول الله ﷺ يقول إذا قام من النوم: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ [النساء].

والضمير في قوله: «قبل موته» عائد على عيسى عليه السلام، أي: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٢).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما قوله جل ثناؤه: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ فإنه يعني: بل رفع الله المسيح إليه، يقول: لم يقتلوه، ولم يصلبوه، ولكن الله رفعه إليه، فطهره من الذين كفروا... إلى أن قال: وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال: تأويل ذلك: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى»(١).

ذكر الأحاديث التي جاءت في نزول عيسى عليه السلام:

عَن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ [النساء]»(٢).

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**»(٣).

وعَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، قَالَ: «**فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ**

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٤-٢٩) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (٢٤٥/ ١٥٥) واللفظ للبخاري.

عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»[(١)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «حَكَمًا» أي حاكمًا، والمعنى أنه ينزل حاكمًا بهذه الشريعة، فإن هذه الشريعة باقية لا تُنسخ، بل يكون عيسى حاكمًا من حكام هذه الأمة[(٢)].

قال أبو الحسن الخسعي الأبدي رَحِمَهُ اللَّهُ في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه[(٣)].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو تقدم عيسى إمامًا لوقع في النفس إشكال ولقيل: أتراه تقدم نائبًا أو مبتدئًا شرعًا، فصلى مأمومًا لئلا يتدنس بغبار الشبهة وَجْه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا نَبِيَّ بَعْدِي**»[(٤)].

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا**»[(٥)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ: دِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، فَيَكْسِرُ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٦).

(٢) الفتح (٦/ ٥٦٧).

(٣) فتح الباري (٦/ ٥٦٩).

(٤) المصدر السابق.

(٥) أخرجه مسلم (١٢٥٢) وغيره.

الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُعَطِّلُ الْمِلَلَ، حَتَّى تَهْلِكَ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلُ كُلُّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ الْكَذَّابَ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْإِبِلُ مَعَ الْأُسْدِ جَمِيعًا، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ وَالْغِلْمَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيَمْكُثُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ»(١).

عيسى عليه السلام يقتل الدجال:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ(٢)، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٠٦)، واللفظ لأحمد.
(أولاد علات): قال العلماء: أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان. قال جمهور العلماء: معنى الحديث أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف - فتح الباري (٦/ ٥٦٤).

(٢) الأعماق ودابق: موضعان بالشام قرب حلب - مسلم بشرح النووي (٩/ ٢٤٩).

هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[(١)].

خروج يأجوج ومأجوج:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤].

وقال تعالى ذكره: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قَالَ: فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوِ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الحِمَارِ»(١).

وعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَزِعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا»، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخُبْثُ»(٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمأْجُوجُ، يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦]، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ، وَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهَرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، حَتَّى يَتْرُكُوهُ يَبَسًا، حَتَّى إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهَرِ فَيَقُولُ: قَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخْتَضِبَةً دَمًا، لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، بَعَثَ اللهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ، كَنَغَفِ الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ فَيَنْظُرَ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ. قَالَ: فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ قَدْ أَظَنَّهَا عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢/ ٣٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).

فَيَنْزِلُ، فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَلَا أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ. فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ، وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إِلَّا لُحُومُهُمْ، فَتَشْكَرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا تَشْكَرُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطُّ»[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَيَسْتَثْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيُنَشِّفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ شُكْرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ»[(٢)].

طلوع الشمس من مغربها:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٧٧)، وابن ماجه (٤٠٧٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥١٠)، والترمذي (٣١٥٣)، والحاكم (٤/ ٤٨٨)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٣٥).

الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»[(١)].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس][(٢)].

أي علامة من العلامات إذا ظهرت انقطعت التوبة؟

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ذَلِكَ حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا».

أما قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ فإنه يعني: أو عملت في تصديقها بالله خيرًا من عمل صالح تُصَدِّق قِيله، وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها، لا ينفع كافرًا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها، كذلك إيمانه بالله إن آمن وصدق بالله ورسله؛ لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله العظيم لهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨/ ٢٩٤١) وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩).

الساعة، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقًا ولفرائض الله مضيعًا غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هي طلعت من مغربها أعماله إن عمل، وكسبه إن اكتسب لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾** [الأنعام: ١٥٨]»[(٢)].

وفي رواية أنه ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ**»[(٣)].

الخسوفات الثلاثة:

الخسف لغة: خَسَفَ المكانُ يَخْسِفُ خسوفًا: ذهب في الأرض وخسف الله به الأرض خسفًا، أي غاب به فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١][(٤)].

أما الخسوفات الثلاثة فهي من علامات الساعة الكبرى، كما جاء في

(١) جامع البيان (٥/ ١٣٦)، وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٠٦)، ومسلم (١٥٧).
(٣) أخرجه مسلم (١٥٨)
(٤) الصحاح (ص: ٢٩٥).

حديث حُذَيفة بن أَسيد وقد تقدم وفيه: «... ثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ»[١].

خروج الدابة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل].

وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو المتقدم، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»[٢].

وقد تقدم ذكر الدابة، في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ...» الحديث[٣].

وقد ذكر المصنف الدابة بقوله: «**كذات أجياد على المشهور**».

وأجياد هو: شعب بمكة مشهور، وسمي بذلك لما قيل: إنه موضع خيل تبع، أو لمجيء الخيل الجياد منه إلي إسماعيل، وقيل: إن مُضَاضًا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة وأضافها إلي أجياد (أي: الدابة) علي القول المشهور، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه عند ذكر أول الأشراط الكبرى.

ﷺ قال: «تَخْرجُ دَابَّة الأَرْضِ مِنْ أَجْيَاد»(١).

والأحاديث في ذلك لا تصح، والله أعلم، لكن خروجها ثابت.

الدخان:

قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان].

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَال وَالدُّخَان..»(٢).

وفي حديث حُذَيفَةَ المتقدم: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُول عِيْسى - الحديث»(٣).

نار تخرج وتحشر الناس من المشرق إلى المغرب:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَبَّرَنِي بِهِنَّ

(١) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الفاكهي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (٢٣٤٨)، وأخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٦٤)، وابن أبي شيبة في المصنف عن عائشة رضي الله عنها (١٥/ ١٨١)، وهي أحاديث ضعيفة، انظر: «السلسلة الضعيفة» (١١٠٩).

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه.

آنِفًا جِبْرِيلُ» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلَائِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا» قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ اليَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ البَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ» قَالُوا: أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ(١).

تنبيه: اختلفت الروايات التي جاء فيها ذكر أول الأشراط العشرة ظهورًا، ففي بعض الروايات أول آية طلوع الشمس من مغربها، وفي رواية الدجال، وفي بعض الروايات خروج نار من المشرق، وقد جمع طائفة من العلماء بين هذه الأحاديث الصحيحة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: ذكر الحليمي أن أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى؛ لأن طلوع الشمس من المغرب لو كان قبل نزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم في زمانه ولكنه ينفعهم، إذ لو لم ينفعهم لما صار الدين واحدًا بإسلام من أسلم منهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٩).

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو كلام صحيح، لو لم يعارض الحديث الصحيح المذكور أن «أول الآيات طلوع الشمس من المغرب»، وفي حديث عبد الله بن عمرو: «طلوع الشمس أو خروج الدابة»، وفي حديث أبي حازم عن أبي هريرة «الجزم بهما وبالدجال في عدم نفع الإيمان».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابق احتمل أن يكون المراد نفي النفع عن أنفس القرن الذين شاهدوا ذلك، فإذا انقرضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليفه الإيمان بالغيب، وكذا في قصة الدجال لا ينفع إيمان من آمن بعيسى عند مشاهدة الدجال وينفعه بعد انقراضه.

وإن كان في علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسى، احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث عبد الله بن عمرو آيات أخرى غير الدجال ونزول عيسى، إذ ليس في الخبر نص على أنه يتقدم عيسى[1].

قلت (ابن حجر): وهذا الثاني المعتمد والأخبار الصحيحة تخالفه، ففي صحيح مسلم من رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطلُعَ الشَّمس مِن مَغْرِبهَا تَابَ الله عَلَيْهِ**» فمفهومه أن من تاب بعد ذلك لم تقبل... وساق جملة من الأحاديث الدالة على عدم قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها[2].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكر حديث عبد الله بن عمرو – طلوع

---

(١) انظر: الفتح (١١/ ٣٦٢).

(٢) المصدر السابق.

الشمس وخروج الدابة-: أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجَّال، ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتُها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر[(١)]، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية[(٢)].

وقوله «كهدم الكعبة»:

هدم الكعبة من أشراط الساعة، وذكر المؤلف هذه العلامة بعد ذكر أمر يأجوج ومأجوج، وقد تقدم في المباحث السابقة ذكر أشراط الساعة الكبرى، ثم أذكر ههنا الدليل على هدم الكعبة آخر الزمان، وأن هدمها من أشراط الساعة، ويكون ذلك على يد الأحباش.

عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ

---

(١) يشير إلى حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ وفيه: «**تخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدو رأسها، ملمعة ذات وبر وريش، لن يدركها طالب، ولن يفوتها هارب، تسم الناس مؤمن وكافر...**» الحديث رواه ابن جرير الطبري (٢٠/ ١١) وهو ضعيف: فيه عصام بن رواد وهو ضعيف، وفيه أبوه رواد بن الجراح قد روى هذا الحديث عن سفيان الثوري، وفي روايته عن سفيان الثوري ضعف، وقد رُوي بنحو هذا الإسناد استعجبه أهل العلم واستنكروه- أحاديث الفتن والملاحم (ص: ٥٩٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٥٠٠).

اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»(١).

قال البدر العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: يستفاد منه قطعًا قصد هذا الجيش تخريب الكعبة، ثم خسفهم بالبيداء وعدم وصولهم إلى الكعبة لإخبار المخبر الصادق بذلك(٢). انتهى.

أما هدم الكعبة: فيكون على يد رجل من الحبشة، يسمى بذي السُّويقتين(٣).

عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَ خَرَابًا لَا يُعْمَرُ بَعْدَهُ أَبَدًا وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ**»(٤).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٤) بنحوه.

(٢) عمدة القاري (٨/ ٣٩٨).

(٣) السُّويقتين: هما تصغير ساقي الإنسان لرقتهما، وهي صفة سوق السودان غالبًا- مسلم بشرح النووي (٩/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٩١، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٥١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٦٢)، والطيالسي (٢٣٧٣)، وابن حبان (٦٨٢٧)، والبغوي في «مسند ابن الجعد» (٢٨١٠)، والحاكم (٤/ ٤٥٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٧٩).

(٥) أخرجه البخاري (١٥٩٦)، ومسلم (٢٩٠٩).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ**[١]**، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا**»[٢].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه للحديثين: وفيه إخبار عما يكون من الحدثان والأشراط، وذلك يكون في أوقات مختلفة، فحديث عائشة هو في وقت غير هدمها، ويمكن أن يكون هدمه لها عند اقتراب الساعة، ولا يدل ذلك على انقطاع الحج، فقد سلف من حديث أبي سعيد أنه يحج بعد خروج يأجوج ومأجوج[٣]، وعيسى يحج ويعتمر بعد ذلك[٤].

وقوله: «وأنه يُذْهب بالقرآن»:

اتفق علماء السلف على أن القرآن كلام الله، منه بدأ- أي أنه سبحانه الذي تكلم به- وإليه يعود، أي: يُرفع في آخر الزمان فلا يبقى منه آية، لا في المصاحف، ولا في الصدر، وذلك حين لم يبق في الأرض إلا شرار الناس فتقوم عليهم الساعة.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ**[٥] **الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ،**

---

(١) الفحج: بالتحريك تباعد ما بين الساقين- عمدة القاري (٧/ ١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٩٣) وفيه: «**لَيُحَجَّنَّ البَيتُ ولَيُعْتَمَرَنَّ بعد خُرُوجِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ**».

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١١/ ٣٥١).

(٥) الوشي: من الثياب معروف- قاله الجوهري، قال ابن سيده: وهو يكون من كل لون- اللسان (٩/ ٣١٦).

وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا» فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا[(١)].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ: فإن الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ يقول: «كلام الله منه بدأ» وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون: «منه بدأ وإليه يعود»... ومعنى قولهم: «وإليه يعود»: يُرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار[(٢)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن القرآن كلام الله منزل، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود... وساق حديث حذيفة المتقدم[(٣)].

قيام الساعة على شرار الخلق، وحتى لا يقال في الأرض: اللّه اللّه:

عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه البزار في «مسنده» (٢٨٣٩) عن أبي عوانة عن أبي مالك بإسناده ومتنه، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧٣، ٥٤٥)، عن طريق كريب عن أبي معاوية به، وقال: صحيح على شرط مسلم- سنن ابن ماجه (ص: ٤٣٦) وقوى إسناده الحافظ في الفتح (١٣/ ١٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٧).

(٢) شرح الطحاوية (١٤٢).

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٧٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٩).

عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»(١).

وعَنْ أَنسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ**»(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ** - قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ: **مِثْقَالُ حَبَّةٍ**، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: **مِثْقَالُ ذَرَّةٍ** - **مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ**»(٣).

دفع توهم قد يقع:

قد يقال كيف تقوم الساعة على شرار الناس، ورسول الله ﷺ قال: «**لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٤).

وفي رواية: «**حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِك**»(٥).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في ثنايا شرحه حديث «**لا تَزَال عِصَابة مِن**

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٥، ٤٥٤)، وابن حبان (٣٤٠)، وابن خزيمة (٢/ ٦)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٠)، وأبو يعلى (٩/ ٢١٦)، والبزار (٥/ ١٣٦)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٨٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ١٤٣): إسناده حسن، والشطر الأول من الحديث عند البخاري معلقًا في كتاب الفتن (٧٠٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٨).

(٣) أخرجه مسلم (١١٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٥/ ١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه مسلم (١٧٠/ ١٩٢٠) من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المسلمين...» الحديث كما تقدم:

إن المراد بقوله ﷺ: «حتى يأتي أمر الله» من الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة، وأن المراد برواية من روى (حتى تقوم الساعة) أي: تقرب الساعة، وهو خروج الريح(١).

قيامة الساعة بغتة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللِّقْحَةَ، فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ، فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ، فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ**»(٢).

---

(١) شرح مسلم للنووي (٧/ ٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٤)، وانظر: البخاري (٦٥٠٦) وفيه: «**وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ** - يعني الرجل - **أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا**».

فصل

في أمر المعاد

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١١٥- واجـزِمْ بـأمرِ البَعـثِ والنُّشـورِ والحَشْـرِ جَزمـًا بعـدَ نفـخِ الصُّـورِ

١١٦- كـذا وُقـوفُ الخلـقِ للحِسـابِ والصُّـحفِ والْميـزانِ للثَّـوابِ

الشرح

قوله: «واجزم بأمر البعث والنشور...»:

حاصل ما ذكره المؤلف في هذا البيت أربعة أشياء:

البعث، والنشور، والحشر، والنفخ في الصور، ونشرع في بيان هذه الأربعة، وأولها النفخ في الصور ثم البعث والنشور ثم الحشر.

أما النفخ في الصور: فالموكل به هو إسرافيل كما سبق بيانه[١] فعن عبدِ الله بن عَمرو عنِ النبي ﷺ قال: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»[٢].

والصور: كهيئة البوق، قاله مجاهد، وقيل: البوق بلغة أهل اليمن[٣].

---

(١) راجع شرح البيت الواحد بعد المائة، والثاني بعد المائة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠)، وأحمد (٢/ ١٦٢، ١٩٢)، وصححه الدارمي (٢٨٠١)، والنسائي في الكبرى (١١٣١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٦٣)، والصحيحة (١٠٨٠).

(٣) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٤٩).

عدد النفخات: اختلف العلماء في عدد النفخات، فمنهم من قال: ثلاث نفخات، وحجتهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٧﴾ [النمل].

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

وحديث عن أبي هريرة رُوي بسند ضعيف[١].

فقالوا: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث.

وقال فريق آخر: إن نفخة الفزع والصعق واحدة، ثم ينفخ ثانيًا فيقومون من قبورهم للوقوف بين يدي الله للحساب، وحجتهم حديث عبد الله بن عمرو، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «... **فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥/ ٣٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٣٨٦ - ٣٨٨)، والطبري في تفسيره (٤/ ٤٠٣٩)، وابن أبي الدنيا في الأهوال (٥٥، ٦٤، ٧١)، والبيهقي في البعث والنشور (٦٠٩)، وفي الشعب (١/ ٣٥٣)، وضعفه الألباني في تعليقه على الطحاوية (٢٣٢).

قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»[(١)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»[(٢)].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في ثنايا شرحه لآية سورة النمل: ذكر حديث لأَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وفيه أنه قال: يَا رَسُولَ الله مَا الصُّورِ؟ قال: «قَرْنٌ وَاللهِ عَظِيمٌ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، إِنَّ عُظْمَ دَارَةٍ فِيهِ كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ: النَّفْخَةُ الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ، والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»[(٣)] وذكر الحديث.

ذكره علي بن معبد، والطبري، والثعلبي، وغيرهم، وصححه ابن العربي، وقد ذكرته في كتاب «التذكرة» وتكلمنا عليه هنالك.

وأن الصحيح في النفخ في الصور أنها نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لا زمان لهما، أي: فزعوا فزعًا ماتوا منه، أو إلى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره، فإنه قال في كلامه على هذه الآية: المراد النفخة الثانية، أي يحيون فزعين يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] ويعاينون من الأمور ما يهولهم ويفزعهم،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٤، ٤٩٥٣)، ومسلم (١٤١/ ٢٩٥٥).

(٣) **ضعيف**: سبق تخريجه.

وهذا النفخ كصوت البوق لتجتمع الخلق في أرض الجزاء، قاله قتادة[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي حديث الصور: إن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى، فينفخ فيه أولًا نفخة الفزع ويطولها، وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس الأحياء فيفزع من في السموات ومن في الأرض «إلا من شاء الله» وهم الشهداء فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون... وساق حديث عبد الله بن عمرو كما تقدم أول المسألة ثم قال: فهذه نفخة الفزع، ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو: الموت، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو: النشور من القبور لجميع الخلائق[٢].

الراجح عندي: أنهما نفختان، نفخة الفزع والصعق واحدة، ثم النفخة الثانية نفخة القيام لرب العالمين؛ لحديث عبد الله بن عمرو المتقدم، وكذا حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، فهو صحيح وصريح في أنهما نفختان، والله أعلم.

أما البعث والنشور:

فالنشر في اللغة: البسط.

قال الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: نشر الثوب، والصحيفة، والسحاب، والنعمة، والحديث: بسطها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير][٣].

والبعث لغة: بَعَثَهُ يَبْعَثُهُ بَعْثًا: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٢، ٤١٣) باختصار.
(٣) المفردات (ص: ٥٤٥).

وابتعثه أيضًا، أي: أرسله فانبعث... يقال: انبعث فلان لشأنه: إذا ثار ومضى ذاهبًا لقضاء حاجته[(١)].

وشرعًا: إحياء الله تعالى الموتى من قبورهم فيُنزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت الزرع.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين] وغيرها من الآيات وهي كثيرة جدًّا تركتها خشية الإطالة.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» -قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ،أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ- قَالَ: «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ**»[(٢)] قال: «**وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ**[(٣)]، **وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٤)].

أما الحشر: فهو جمع الخلق -الجن والإنس- إلى أرض المحشر

---

(١) اللسان (١/ ٤٤٩).

(٢) البقل: من النبات ما ليس بشجرٍ دِقٍّ ولا جِلٍّ، قاله ابن سيده- اللسان (١/ ٤٧٦).

(٣) عَجْبُ الذنب: هو بفتح العين وإسكان الجيم، أي: العظم اللطيف الذي أسفل الصلب، وهو رأس العصعص- ويقال له (عجم) بالميم، وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه- مسلم بشرح النووي (٩/ ٣١٨).

(٤) **متفق عليه:** تقدم تخريجه قريبًا.

لفصل القضاء؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير، وتحشر الدواب ولا تحاسب بل للقصاص بينهم كما سيأتي، وهذا كله مما أجمعت عليه الأمة، والإيمان به واجب، وأنكره الكفار.

قال جل ذكره: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: ٧] والآيات التي تدل على البعث والنشور والحشر كثيرة جدًّا.

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ**[١]**، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ**[٢]» قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «**لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**[٣]»[٤].

مسألة: أصناف الناس الذين أنكروا البعث:

منكرو البعث على أربعة أصناف: صنف أنكروا المبدأ والمعاد، وزعموا أن الأكوان بطبيعتها، فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها ربّ يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء جمهور الفلاسفة الدهرية الطبائعية.

والصنف الثاني: من الدهرية يقال: لهم الدورية، وهم منكرون للخالق

---

(١) العفراء: بيضاء إلى حمرة- شرح مسلم للنووي (٩/ ١٤٨).
(٢) النقي: هو الدقيق الحوري، وهو الدرمك، وهو الأرض الجديدة- المصدر السابق.
(٣) ليس فيها معلم لأحد: أي ليس بها علامة سكنى أو بناء أو أثر- نفس المصدر.
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٨/ ٢٧٩٠).

أيضًا، ويعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا في المعقول وكذبوا المنقول، قبحهم الله تعالى.

وهاتان الطائفتان يعمهم قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران: الأول معنى قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾ أي: يموت الآباء ويحيا الأبناء هكذا أبدًا، وهو قول الطائفة الأولى.

والمعنى الثاني: أنهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبدًا، ولا حساب ولا جزاء، بل ولا موجد، ولا معدم، ولا محاسب، ولا مجازي، وهذا قول الدورية.

الصنف الثالث: الدهرية من مشركي العرب ومن وافقهم، وهم مُقرّون بالبداءة، وأن الله تعالى ربهم وخالقهم ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف: ٨٧] ومع هذا قالوا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ٣٥﴾ [الدخان]، فأقرّوا بالبداءة والمُبدي، وأنكروا البعث والمعاد، وهم المذكورون في حديث أبي هريرة الصحيح: «**وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ**»(١).

والصنف الرابع: ملاحدة الجهمية ومن وافقهم، أقروا بمعاد ليس على ما في القرآن، ولا فيما أخبرت به الرسل عن الله عز وجل، بل زعموا أن هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧٤) وغيره.

العالم يعدم عدمًا محضًا، وليس المعاد هو بل عالم آخر غيره، فحينئذ تكون الأرض التي تُحدث أخبارها وتُخبر بما عمل عليها من خير وشر ليست هي هذه، وتكون الأجساد التي تعذب وتجازى وتشهد على من عمل بها المعاصي ليست هي التي أعيدت بل هي غيرها، والأبدان التي تنعم في الجنة وتثاب ليست هي التي عملت الطاعة ولا أنها تحولت من حال إلى حال، بل هي غيرها تبتدأ ابتداء محضًا، فأنكروا معاد الأبدان وزعموا أن المعاد بداءة أخرى(١).

وقوله: «كذا وقوف الخلق للحساب»:

يعني: أنه كما يجب الجزم بالنفخ في الصور، والبعث والنشور والحشر، يجب أيضًا أن نؤمن بوقوف الخلق للحساب، وهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر]، وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، وقال تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص]، وقال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ

---

(١) معارج القبول للحكمي (٢/ ٧٧٦، ٧٧٧).

﴿فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقة].

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود]»[(١)].

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[(٢)].

من نوقش الحساب عذب:

عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨﴾ [الانشقاق] قَالَ: «ذَلِكِ العَرْضُ»[(٣)].

يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا قَالَ: «عُرِضَتْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).

عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ» ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(١).

الحساب يختلف بحسب أعمال العباد:

وقد دلت النصوص على ذلك وهم ينقسمون إلى أربعة أقسام:

الأول: الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهم سبعون ألفًا، كما جاء في حديث ابن عباس المتقدم.

الثاني: من يحاسب حسابًا يسيرًا، وهم المؤمنون أهل اليمين الذين يأخذون كتابهم بأيمانهم.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق].

الثالث: الذين يناقشون الحساب، فيذكرهم الله تعالى بذنوبهم ومعاصيهم، وهؤلاء لا نجاة لهم بل يهلكوا، وقد دل على ذلك حديث

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المتقدم.

الرابع: الكفار وحسابهم حساب توبيخ وتقرير لكفرهم، فهم ليس لهم حسنات والعياذ بالله، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

فينبغي للعاقل ألا يغفل عن يوم الحساب، وإن يحاسب نفسه في الدنيا لكي يخفف عنها الحساب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، يوم لا ينفع فيه المال، ولا الجاه، ولا السلطان، ولا الأنساب، إنما هي الحسنات والسيئات.

وقوله: «والصحف»:

بعد الحساب تتطاير الصحف التي كتبت الملائكة فيها أعمال العباد، وهذه الصحف هي التي في أيدي الملائكة، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [التكوير] أي: بسطت لكي يحاسب كل إنسان، فأما الأشقياء فيقولون كما قال سبحانه عنهم: ﴿يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

ثم يأخذ أحدهم كتابه بشماله أو من وراء ظهره، وقد أحاط به العذاب والخزي والإهانة فيندم غاية الندم على ما فرط في حق الله، قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء].

وقال جل وعلا: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحاقة].

وأما السعيد: فيأخذ كتابه بيمينه فحينئذ يكون في غاية السعادة والفرح، ومن شدة فرحه -بالفوز بالجنة والنجاة من النار- يريد أن يقرأ الجميع كتابه الذي كُتب فيه الحسنات، ويا لها من فرحة تستحق ورب العزة أن يهلك الإنسان نفسه في الحق من أجلها.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحاقة].

وقوله: «والميزان للثواب»:

عقيدة أهل السنة والجماعة أن الأعمال توزن على الحقيقة بأن توضع في الميزان، والميزان ميزان حقيقي حسي- كما هو ظاهر من أدلة الكتاب والسنة- وليس الميزان هو إقامة العدل كما زعمت المعتزلة، وحجتهم أن الأعمال شيء معنوي والذي يوزن هو الشيء الحسي، فقدموا العقل على النقل فضلوا وأضلوا.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

[الأنبياء] وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة]، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

وقال: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [المؤمنون].

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف].

أما الكافر: فلا يقيم الله تعالى له يوم القيامة وزنًا، ولا يقبل منه عدلًا ولا صرفًا، وعمله الذي عمله في الدنيا يجعله الله يوم القيامة هباءً منثورًا.

قال جل ثناؤه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف].

وقال تعالى ذكره: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها(١).

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧/ ١٤٦).

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[(١)].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[(٢)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢ / ٢١٣،٢٢١، ٢٢٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠، ٤٢١)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٥٥)، والطيالسي (٣٥٥)، وابن حبان (٧٠٦٩)، وأبو يعلي (٥٣٦٥)، والبزار (١٨٢٧)، والحاكم (٣/ ٣١٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد (١/ ١١٤)، وابن أبي شيبة (٣٢، ٣٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٩) عن علي رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٥٠، ٣١٩٢).

ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»(١).

قال أبو إسحاق الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان(٢) وكفتان، ويميل بالأعمال.

وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين(٣).

وأقوال السلف في ذلك يصعب استيفاؤها فتركتها خشية الإطالة(٤).

مسألة: هل الأعمال هي التي توزن أم صحائف الأعمال أم صاحب الأعمال؟

للعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

الأول: أن الأعمال هي التي توزن، وحجتهم في ذلك النصوص التي جاء فيها وزن الأعمال كما تقدم، وهذا قول الجمهور.

الثاني: الذي يوزن صحائف الأعمال، وحجتهم في ذلك حديث البطاقة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦، ٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، ومسلم (٣١/ ٢٦٩٤).

(٢) حديث البطاقة يدل على أن الميزان له كفتان، أما ذكر أن له لسانًا لم يأت به نص وإنما هو اجتهاد من العلماء.

(٣) الفتح (١٣/ ٥٤٨).

(٤) انظر: اعتقاد أهل السنة للالكائي (٦/ ٤٧٦)، وشرح السنة للبربهاري (ص: ٤٢)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (١٦٢)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني (ص: ٢٥٨) وغيرها.

المتقدم «**فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة...**» الحديث، فدل ذلك على أن الصحائف توزن.

الثالث: الذي يوزن هو صاحب العمل، وحجتهم في ذلك حديث ابن مسعود المتقدم.

قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قيل إنما توزن الصحف، وأما الأعمال فإنها أعراض فلا توصف بثقل ولا خفة[١].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والحق عند أهل السنة أن الأعمال حينئذ تُجسد أو تجعل في أجساد فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة، وأعمال المسيئين في صورة قبيحة ثم توزن.

ورجح القرطبي أن الذي يُوزن: الصحائف التي تكتب فيها الأعمال، ونقل عن ابن عمر، قال: توزن صحائف الأعمال، قال: فإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيرتفع الإشكال، ويقويه حديث البطاقة...

وفيه: «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة»[٢]. انتهى.

والصحيح أن الأعمال هي التي توزن، وقد أخرج أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان عن أبي الدَّرْدَاء عن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ شَيءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ**»[٣].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما سُئل عن الميزان: هل هو عبارة عن العدل

---

(١) الفتح (١٣/ ٥٤٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٠)، وأبو داود (٢٠٠٢، ٢٠٠٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٧٦).

أم له كفتان؟

فأجاب: الميزان: هو ما يوزن به الأعمال، وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة... وذكر النصوص كما تقدم.. إلى أن قال: وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس، فهو ما به تبين العدل، والمقصود بالوزن: العدل كموازين الدنيا.

وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أُخبرنا به من الغيب[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٢).

ثم قال صاحب النظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١١٧- كذا الصِّراطُ ثم حَوضُ المُصطفَى ... فيا هَنَا لِمَن بهِ نَالَ الشِّفا

١١٨- عنه يُذادُ المُفتري كما وَرَدْ ... وَمَن نَحَا سُبُلَ السَّلامةِ لم يُرَدْ

١١٩- فكُنْ مُطيعًا واقْفُ أهْلَ الطاعة ... في الحَوضِ والكَوثَرِ والشَّفَاعَة

١٢٠- فإنَّها ثَابتَةٌ للمُصطَفَى ... كَغَيْرِهِ مِنْ كُلِّ أَربَابِ الوَفَا

١٢١- مِن عَالمٍ كالرُّسلِ والأَبْرَارِ ... سِوَى التِي خصَّت بذِي الأَنوَارِ

الشرح

الصراط لغة: الطريق، قاله الجوهري(١).

وشرعًا: جسر ممدود على متن جهنم، قال أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ»(٢)، يمر عليه الأولون والآخرون، وعليه كلاليب وشوك، وأول من يمر عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته، فالمؤمنون ينجون، أما المنافقون والكافرون فيسقطون فيها، وأمّا أصحاب المعاصي إذا سقطوا في النار خرجوا منها إمّا بشفاعة أو بإنهاء عقوبتهم، وسرعة المرور على الصراط بحسب الأعمال، فمنهم من يمر كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، ومنهم المدفوع في النار، ولا يتكلّم أحَد حال المرور على الصراط لشدة الأهوال، ودعوى

---

(١) الصحاح (٥٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٧١) موقوفًا على أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وانظر: الفتح (١١/ ٤٦٢).

الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وهذا مما أجمع عليه سلَف الأمة وأئمتها.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين إنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم، في عرصات القيامة بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، قال: «عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ يَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، مِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ النَّخْلَةِ، وَمِنْهُمْ مَن نُورُهُ مِثْلُ الرَّجُلِ الْقَائِمِ، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُورُهُ فِي إِبْهَامِهِ يَتَّقِدُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ أُخْرَى»(١).

قال السّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا كان يوم القيامة، وكوّرت الشمس، وخسف القمر، وصار الناس في الظلمة، ونصب الصراط على متن جهنم، فحينئذ

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٧)، والأثر أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٢٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري.

ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فيمشون بأيمانهم ونورهم في ذلك الموقف الهائل الصعب، كل على قدر إيمانه... فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به، وهم قد طفئ نورهم وبقوا في الظلمات حائرين، قالوا للمؤمنين: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي: أمهلونا لننال من نوركم ما نمشي به، لننجو من العذاب، فـ «قيل» لهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ أي: إن كان ذلك ممكنًا، والحال أنّ ذلك غير ممكن، بل هو من المحالات[1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ»، قَالَ: «فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٣٩).

بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»، قَالَ: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ» وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا (١).

وفي حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ...» (٢).

وفي رواية: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» (٣).

وفي رواية: «وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ» (٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) واللفظ له، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٣١٦ - ١٩١) من حديث جابر رضي الله عنه.

القنطرة والقصاص:

القنطرة:

إذا نجا المؤمنون من السقوط في النار بعد أن عبروا الصراط، يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض.

عن أبي سَعِيد الخُدْري رضي الله عنه قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**»(١).

قال القرطبي رحمه الله: هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفد حسناتهم.

قلت (ابن حجر): ولعل أصحاب الأعراف منهم على القول الراجح آنفًا، وخرج من هذا صنفان من المؤمنين: من دخل الجنة بغير حساب، ومن أوبقه عمله(٢).

القصاص لغة: هو القود وهو القتل بالقتل، أوالجرح بالجرح... وتقاصَّ القوم إذا قاصَّ كل واحد منهم صاحبه في حساب أو غيره... يقال: أقصه الحاكم يقصه إذا مكنه من أخذ القصاص، وهو أن يفعل به مثل فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٥).
(٢) الفتح (١١/ ٤٠٦).
(٣) اللسان (٧/ ٣٩٠، ٣٩١).

فمن كمال عدل الله تعالى، وما اقتضته حكمته أن يقتص للمظلوم من الظالم، فيأخذ المظلوم حسنات من الظالم بقدر مظلمته، فإذا فنيت حسنات الظالم، وبقي للمظلوم مظلمة طرح عليه من سيئاته ثم يطرح في النار، وهذا القصاص بين جميع الخلائق، حتى بين الدواب، كما سيأتي في الأحاديث.

عن أبي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رَسُول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١).

وعن أبي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»(٢).

وعن جَابِر بن عَبْد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله ﷺ قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩-٢٥٨١).
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).
(٣) أخرجه مسلم (٥٦-٢٥٧٨).

وعن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»(١).

وقوله:

...........ثُم حَوضُ المُصطَفَى فَيـا هَنَـا لمن بـهِ نَـالَ الشِّفا

أي: نجزم بثبوت حوض النبي المصطفى، وقد سبق بيان الأدلة على اصطفاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢)، وذلك لأن أحاديث الحوض بلغت حد التواتر، وأجمع على ذلك أهل السنة، وأنكره الخوارج(٣) وبعض المعتزلة.

ومن شرب من الحوض شربة لم يظمأ بعدها، لذا قال المؤلف (فيا هنا لمن به نال الشفا) أي: أنه نال الشفا من ظمأ يوم الحساب، وكذا من الظمأ بعده، فلن يظمأ بعد أن يشرب من الحوض أبدًا.

بعض الأحاديث التي جاءت في الحوض، وصفته، وحرمان أقوام من الشرب منه:

عن عَبْد الله بن عَمْرو بن العَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا»(٤).

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ:

(١) أخرجه مسلم (٦٠-٢٥٨٢).
(٢) راجع شرح البيت الرابع.
(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٧٥).
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢).

«مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»(١).

عن مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ الحَوْضَ فَقَالَ: «كَمَا بَيْنَ المَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ»(٢).

عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قُلتُ: يا رَسُولَ الله، مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»(٣).

عن أبي حَازِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سَمِعتُ سَهْلًا يقول: سَمِعتُ النبي ﷺ يقول: «أَنَا فَرَطُكُمْ(٤) عَلَى الحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»(٥).

وفي رواية، قال: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ: «إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠١).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩١، ٦٥٩٢) ومسلم (٣٣-٢٢٩٨).
(٣) أخرجه مسلم (٣٦-٢٣٠٠) وغيره.
(٤) فرطكم: أي سابقكم إليه، كالمهيئ له- مسلم بشرح النووي (٨/ ٦٨).
(٥) أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١) ومسلم (٢٦-٢٢٩٠).
(٦) أخرجه البخاري (٧٠٥٠) ومسلم (٢٢٩١).

وعن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**»[(١)].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ في معرض شرحه لأحاديث الباب: أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان بها فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، ولا يتأول ولا يختلف فيه، قال القاضي: وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة[(٢)].

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: وظاهر هذا الحديث وغيره من الأحاديث أن الورود على هذا الحوض، والشرب منه، إنما يكون بعد النجاة من النار، وأهوال القيامة؛ لأن الوصول إلى ذلك المحل الشريف، والشرب منه، والوصول إلى موضع يكون فيه النبي ﷺ ولا يمنع عنه من أعظم الإكرام وأجل الإنعام، ومن انتهى إلى مثل هذا كيف يعاد إلى حساب أو يذوق بعد ذلك تنكيل خزي وعذاب؟! فالقول أوهى من السراب[(٣)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وقد قال القاضي عياض: ظاهر قوله ﷺ في حديث الحوض: «**مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا**» يدل على أن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار؛ لأن ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب بالنار، ولكن يحتمل أن من قدر عليه التعذيب منهم أن لا يعذب فيها بالظمأ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٣) ومسلم (٢٢٩٣).
(٢) شرح مسلم للنووي (٨/ ٦٨) وانظر: المفهم (٦/ ٩٠)، والفتح (١١/ ٤٧٥).
(٣) المفهم (٦/ ٩١).

بل بغيره، قلت: ويدفع هذا الاحتمال أنه وقع في حديث أُبي بن كعب عند ابن أبي عاصم في ذكر الحوض: «**وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ لَمْ يَرْوَ أَبَدًا**».

وعند عبد الله بن أحمد في زيادات المسند في الحديث الطويل عن لقيط بن عامر أنه وفد على رسول الله ﷺ هو ونهيك بن عاصم... إلى أن قال... الحديث بطوله في صفة الجنة والبعث وفيه: «**ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيُّكُمْ وَيَنْصَرِفُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ، فَيَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ يَطَأُ أَحَدُكُمُ الْجَمْرَةَ فَيَقُولُ: حَسْ، فَيَقُولُ رَبُّكَ** - أَوْ إِنَّهُ قَالَ: **فَيَطَّلِعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ عَلَى أَظْمِأ**... الحديث، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة والطبراني والحاكم، وهو صريح في أن الحوض قبل الصراط»[1].

حرمان أقوام من الشراب من الحوض:

وقوله:

عَنهُ يُذادُ المُفتري كما وَرَدْ   وَمَن نَحا سُبُلَ السلامةِ لم يُرَد

سبق بيان أن أقوامًا يردون الحوض ثم يُدفعوا عنه، ويمنعوا من الشرب منه، إما لأنهم أهل الردة، أو أنهم أصحاب البدع الذين بدلوا في دين الله، واستبدلوا بالسنة البدعة، لذا قال صاحب النظم: (من نحا سُبل السلامة لم يرد)، أي: لم يدفع عن الحوض بل يشرب منه كما تقدم في الأحاديث.

قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض شرحه لبعض أحاديث الباب: هذا دليل

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٧٤-٤٧٥) باختصار، وانظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٩٥).

لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة، ولهذا قال فيهم: سحقًا، ولا يقول ذلك في مذنبي الأمة بل يشفع لهم، ويهتم لأمرهم، قال: وقيل: هؤلاء صنفان: أحدهما: عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام، وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة.

والثاني: مرتدون إلى الكفر حقيقة، ناكصون على أعقابهم، واسم التبديل يشمل الصنفين[(١)].

وقوله:

فَكُنْ مطيعًا واقْفُ أهْلَ الطاعة ... في الحَوْضِ والكَوثَرِ والشَّفَاعَة

أي: كن مطيعًا لله ولرسوله باتباع أهل الطاعة من أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا الحوض والكوثر والشفاعة.

مسألة: هل الكوثر هو حوض النبي ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر].

عَن أَنَس بن مَالِك رضي الله عنه قال: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً[(٢)] ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» فَقَرَأَ: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر] ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ**

---

(١) شرح مسلم للنووي (٨/ ٧٣).

(٢) أغفى إغفاءة: أي نام- مسلم شرح النووي.

النُّجُوم، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ؟»[(١)].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ»[(٢)].

اختلف أهل التأويل في المراد بالكوثر، فذهب فريق إلى أنه نهر أعطاه الله لنبينا ﷺ؛ لحديث أنس الذي رواه البخاري كما تقدّم.

وقال آخرون: هو الخير الكثير[(٣)]، فالعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر: كوثرًا، فيسمى الحوض أو النهر كوثرًا لكثرة الواردة والشاربة من أمة محمد ﷺ[(٤)].

وقيل: الكوثر هو الحوض، وحجّتهم حديث أنس الذي رواه مسلم كما تقدّم، وهذه أشهر الأقوال، وثمَّ أقوال أخر.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: واختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ على ستة عشر قولًا:

الأول: أنه نهر في الجنة؛ رواه البخاري عن أنس... وساق الحديث كما تقدم.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣-٤٠٠) وغيره.
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨١).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤١٧-٤١٨).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٢١٤).

الثاني: أنه حوض النبي ﷺ في الموقف؛ قاله عطاء، وفي صحيح مسلم عن أنس... ثم ساق الحديث كما تقدّم.

وذكر سائر الأقوال، ثم قال: قلت: أصح هذه الأقوال الأول والثاني؛ لأنه ثابت عن النبي ﷺ نصٌّ في الكوثر[١].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأولى الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله ﷺ في الجنة، وصفه الله بالكثرة لعظم قدره[٢].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض شرحه لأحاديث الحوض: الكوثر نهر داخل الجنة كما تقدم ويأتي[٣]، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض الكوثر لكونه يمد منه[٤].

الراجح عندي: ما ذكره الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه فيه جمع بين الأحاديث الصحاح، والله تعالى أعلم.

هل لكل نبي حوض؟

ومن أهل العلم من قال: هو خاص بالنبي ﷺ للأحاديث التي تواترت بذكر حوضه[٥]، ومنهم من قال: إن لكل نبي حوضًا، وحجتهم حديث رواه الترمذي، واختلف في صحته عن رسول الله ﷺ.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢١٥-٢١٦) باختصار.
(٢) جامع البيان (١٥/ ٤١٨).
(٣) يشير إلى حديث قتادة عن أنس الذي رواه البخاري كما ذكرناه.
(٤) الفتح (١١/ ٤٧٤).
(٥) انظر: الفتح (١١/ ٤٧٥).

عن الحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»(١).

وقوله: «والشفاعة»:

الشفاعة لغة: الشفعُ ضمُّ الشيء إلى مثله، ويقال للمشفوع: شفعٌ، ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣﴾ [الفجر: ٣].

والشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصرًا له، وسائِلًا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حُرمَةً ومرتبةً إلى من هو أدنى، ومنه: الشفاعة يوم القيامة... ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً ﴾ [النساء: ٨٥]، ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً ﴾ [النساء: ٨٥] أي: من انضمَّ إلى غيره وعاونه وصار شفعًا له أو شفيعًا في فعل الخير والشر، فعاونه وقواهُ وشاركه في نفعه وضره(٢).

وشرعًا: سؤال الخير للغير، وهي ثابتة لنبينا ﷺ وسائر الأنبياء والرسل، والملائكة، والشهداء، والصالحين وغيرهم، يشفعون عند الله تعالى - بإذنه ولمن رضي قوله وعمله - للعباد، وهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

والشفاعة عند الله تعالى تكون بشرطين:

الأول: الإذن من الله جل في علاه، قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٣٤)، والطبراني في الكبير (٧/ ٢١٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٥٨٩) بمجموع طرقه، وأعله الحافظ بالإرسال، قال أبو عيسى الترمذي: الحديث عن الحسن عن النبي مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح - جامع الترمذي (٤٠٠)، وانظر: تحفة الأحوذي (٧/ ١١٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن (٢٩٠).

بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه].

وقال: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

الثاني: رضى الله عن المشفوع فيه، ولا بد أن يكون من الموحدين، فالشفاعة لا تكون لكافر - باستثناء شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب - فخُفف عنه العذاب مع خلوده في النار.

قال تعالى ذكره: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال جل في علاه: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

أما الكافر: فإن الله لا يقبل فيه شفاعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر]، وقال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر].

ذكر الأحاديث التي جاءت فيها الشفاعة:

ذكرنا بعض الآيات الدالة على الشفاعة، ونذكر هنا بعض الأحاديث الدالة على ثبوت الشفاعة للأنبياء والملائكة والمؤمنين ففي حديث أبي هُرَيرَة رضي الله عنه الطويل أنّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «... فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ،

فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا» وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠]، «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ»(١).

وحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ، وفيه: «ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣-٣٠٢).

وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً»(١).

شفاعة الشهيد لأقاربه:

عن المِقْدَاد بن مَعْدي كَرِب رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ؛ اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»(٢).

وقوله:

فَإِنَّهَا ثَابِتَةٌ لِلْمُصْطَفَى ... كَغَيْرِهِ مِنْ كُلِّ أَرْبَابِ الوَفَا

أي: فإن الشفاعة العظمى وغيرها من سائر الشفاعات- الآتي ذكرها- ثابتة بالنقل المتواتر للمصطفى صلى الله عليه وسلم كما أنها ثابتة لغيره من كل أصحاب الوفاء، بامتثال الأوامر والانتهاء عن الزواجر.

قوله: «من عالمٍ كالرسلِ والأبرار»:

أي: الشفاعة ثابتة لأرباب الوفا «من عالم» عامل بعلمه، معلم لغيره، وهم الربانيون، وهؤلاء هم ورثة الأنبياء، فكما نفعوا الناس في الدنيا بالتعليم، كذلك ينفعونهم بالشفاعة عند الله.

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٦-١٩١).

(٢) صحيح: سنن الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩).

«كالرسل» جمع رسول، وهو من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، وكذا الأنبياء[١]، وهؤلاء هم خواص الخلق عند الله، «والأبرار» وهم الأتقياء الأخيار.

فيجب أن نعتقد: أن غير النبي ﷺ من سائر الرسل والأنبياء، والملائكة، والصحابة، والعلماء، والشهداء، والصالحين، والأولياء، والأفراط، وغيرهم يشفعون عند الله بإذنه، لمن رضي قوله وعمله، كما ثبتت بذلك الأخبار عن النبي ﷺ وأجمع عليه المسلمون، قاله ابن قاسم.

وقوله: «سوى التي خصت بذي الأنوار»:

أي: سوى الشفاعات «التي خصت بذي الأنوار» أي: بصاحب الأنوار، وهو نبينا محمد ﷺ، فلا يشاركه فيها أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صِدّيق، ولا شهيد، ولا غيرهم، فهي خاصة بالنبي ﷺ؛ عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، وَخَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢].

وعَن أبي هُرَيْرَة قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الآخِرَةِ**»[٣].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي

---

(١) للعلماء في الفرق بين الرسول والنبي خمسة أقوال- وقد تقدمت المسألة – راجع شرح البيت الرابع.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩).

إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم]، وَقَالَ عِيسَى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ: مَا يُبْكِيكَ؟**» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: «**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ**»(١).

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على ثبوت الشفاعة لنبينا ﷺ، وهي أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى:

وهي المقام المحمود الذي ذُكر في القرآن في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤).

بِحَلْقَةِ البَابِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ مَقَامًا مَحْمُودًا، يَحْمَدُهُ أَهْلُ الجَمْعِ كُلُّهُمْ»(١).

وهي التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل، حتى تنتهي إلى نبينا ﷺ، وذلك حين يذهب الناس إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند ربهم لفصل القضاء بين العباد ليريحهم من مقامهم في الموقف كما في حديث الشفاعة الطويل.

عن أبي هُرَيرة رضي الله عنه قال: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْم، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ ﷺ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٥).

مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1].

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

النوع الثاني: شفاعتهُ أن يؤذن للمؤمنين بدخول الجنة:

كما في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي أخرجه مُسلم في صحيحه، وفيه أنّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»(١).

النوع الثالث: شفاعته في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب:

وهؤلاء هم السبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب؛ كما جاء في حديث أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّ النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هِيَ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ القَمَرِ»(٢).

النوع الرابع: تخفيف العذاب عن بعض الناس:

كشفاعته في عمه أبي طالب، كما جاء في حديث العَبَّاس بن عَبد المطَّلِب، أنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»(٣).

النوع الخامس: شفاعته لأهل الكبائر من أمته:

وقد دلّ على هذه الشفاعة حديث أَنَس بن مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»(٤).

قال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللهُ: قال ابن رسلان: لعل هذه الإضافة بمعنى «الـ»

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩).

(٤) صحيح: سنن أبي داود (٤٧٣٩)، ومسند أحمد (٣/ ٣١٣).

التي للعهد، والتقدير: الشفاعة التي أعطانيها الله تعالى، ووعدني بها لأمتي أدخرها (لأهل الكبائر من أمتي) أي الذين استوجبوا النار بذنوبهم الكبائر، فلا يدخلون بها النار، وأخرج بها من أدخلته كبائر ذنوبه النار ممن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، كذا في السراج المنير[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ساق جملة من أحاديث الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ:

فقد تضمنت هذه الأحاديث خمسة أنواع من الشفاعة:

أحدها: الشفاعة العامة التي يرغب فيها الناس إلى الأنبياء؛ نبيًّا بعد نبي، حتى يريحهم الله من مقامهم.

النوع الثاني: الشفاعة في فتح باب الجنة لأهل الجنة.

النوع الثالث: الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة.

النوع الرابع: الشفاعة في إخراج قوم من أهل التوحيد من النار.

النوع الخامس: في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار.

ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس:

أحدهما: في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها، وهذا النوع لم أقف إلي الآن على حديث يدل عليه[(٢)]، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون، فلم أظفر فيه بنص.

---

(١) عون المعبود (١٣/ ٥١).

(٢) هذا النوع ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢٠٤)، وعبد الرحمن آل الشيخ في فتح المجيد (٢١٩) وغيرهم.

والنوع الثاني: شفاعته ﷺ لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب ورفعة الدرجات، وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي ﷺ لأبي سَلمَة، وقوله: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ**»(١).

وقوله فِي حَديث أَبي مُوسَى: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ، واجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ**»(٢)، انتهى كلام ابن القيم(٣).

وهذه الشفاعة - شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر- ينكرها المعتزلة؛ لأن عندهم صاحب الكبيرة الذي مات ولم يتب منها هو في منزلة بين المنزلتين- لا هو كافر ولا هو مسلم- ويخلد في النار ولا يخرج منها.

وعند الخوارج: صاحب الكبيرة كافر ويخلد في النار، ولا يخرج منها، والفريقان على ضلال مبين، فقد خالفوا الكتاب والسنة وسلف الأمة وأئمتها.

وأما أهل السنة والجماعة فعقيدتهم كما بينا، فالزم طريق أهل الحق، وتمسك بما كانوا عليه تسلم.

اختلاف الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال:

الأول: المشركون والمبتدعون ومن وافقهم، ويجعلون الشفاعة عند الله يوم القيامة لمن كانوا يعظمونهم في الدنيا- سواء كانت أصنامًا أو مشايخ أو إنسانًا، كما فعلت النصارى- وغير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ

---

(١) أخرجه مسلم (٩٢٠) كتاب الجنائز.
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (١٦٥- ٢٤٩٨).
(٣) عون المعبود (١٣/ ٥٥-٥٦).

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر].

«قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنام، والخبر محذوف، أي قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾»[(١)].

قال قتادة: كانوا إذا قيل لهم: من ربكم وخالقكم؟ ومن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء؟ قالوا: الله، فيقال لهم: ما معنى عبادتكم الأصنام؟ قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى، ويشفعوا لنا عنده[(٢)].

وقال جل ذكره: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس].

«ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ظانِّين أن تلك الآلهة تنفعُهم شفاعتُها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تضر ولا تنفع، ولا تملك شيئًا، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبدًا»[(٣)].

القول الثاني: قول المعتزلة والخوارج -كما أسلفت- أنهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر؛ لأنهم يعتقدون أن صاحب الكبيرة مخلد في النار، لا يخرج منها.

القول الثالث: قول أهل السنة، كما بينا في هذا المبحث.

الشفاعة عند المخلوقين:

في قضاء حوائجهم عند الأمراء، والملوك، وأصحاب المناصب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٢٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥٦).

وغيرهم ممن يكون للعباد مصالح لا تقضى إلا بإذنهم.

وهذه الشفاعة جائزة إذا كانت في مقدور الإنسان، أي طُلب منه ما يقدر عليه، وهي نوعان: حسنة، وسيئة، كما جاء في القرآن والسنة.

قال جل ثناؤه: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٥].

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بُردَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ: «**اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ**»(١).

وعَن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ: مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعبَّاسٍ: «**يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا**» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ رَاجَعْتِهِ**»، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ**» قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ(٢). وغيرهما من الأحاديث.

قال أبو بكر ابن العربي رحمه الله: اختُلف في قوله: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ على ثلاثة أقوال:

الأول: من يزيدُ عملًا إلى عمل.

الثاني: من يُعين أخاه بكلمة عند غيره، في قضاء حاجة.

قال النبي ﷺ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا...**»، وساق الحديث كما تقدّم.

الثالث: قال الطبري في معناه: مَن يكن يا محمد شفعيًا لوتر أصحابك في

---

(١) أخرجه البخاري (٧٦٥)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨٣).

الجهاد للعدو، يكن له نصيب في الآخرة من الأجر، ومن يشفع وترًا من الكفار في جهادك، يكن له كفلٌ في الآخرة من الإثم، ثم قال:

والصحيح عندي: أنها عامة في كل ذلك، وقد تكون الشفاعة غير جائزة وذلك فيما كان سعيًا في إثم أو إسقاط حد بعد وجوبه فيكون حينئذ شفاعة سيئة(١).

وروت عَائِشَة أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ؛ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ**»، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وكل من أعان غيره على أمر بقوله أو فعله فقد صار شفيعًا له.

والشفاعة للمشفوع له، هذا أصلها، فإن الشافع يشفع صاحب الحاجة فيصير له شفعًا في قضائها لعجزه عن الاستقلال بها، فدخل في حكم هذه الآية كل متعاونين على خير أو شر بقول أو عمل ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وتأمل قوله تعالى في الشفاعة الحسنة: ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ﴾ وفي السيئة ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ فإن لفظ (كفل) يشعر بالحمل والثقل، ولفظ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(النصيب) يشعر بالحظ الذي ينصب طالبه في تحصيله، وإن كان كل منهما يستعمل في الأمرين عند الانفراد، ولكن لما قرن بينهما حسن اختصاص حظ الخير بالنصيب وحظ الشر بالكفل[١].

(١) بدائع التفسير (٢/ ٦٤- ٦٥) باختصار، وانظر: روضة المحبين (٣٤٥-٣٤٦).

فصل
في الكلام عن الجنة والنار

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٢٢- وكُـلُّ إنسَـانٍ وَكُـلُّ جِنَّـةِ   فِي دَارِ نَــارٍ أو نَعــيمِ جَنَّــةِ

الشرح

أي: أن كل إنسان من بني آدم سواء كان ذكرًا أو أنثى.

قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني بالإنسان آدم... والجمع: الناس، مذكر، وفي التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]، وقد يؤنث على معنى القبيلة أو الطائفة، حكى ثعلب: جاءتك الناس، معناه: جاءتك القبيلة أو القطعة...

وروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: إنما سُمي الإنسان إنسانًا لأنه عهد إليه فنسي(١).

والإنسُ: جماعة الناس، والجمع أُناسٌ وهم الإنس(٢).

وقوله: «وكل جنَّة»:

الجانُّ: أبو الجِنّ خُلق من نار...، والجِنة بالكسر: اسم للجنِّ(٣).

قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾ [الرحمن].

---

(١) لسان العرب (١/ ٢٤٠-٢٤١) مادة (أنس).
(٢) المصدر السابق.
(٣) اللسان (٢/ ٢٣٣).

مبحث عن الشيطان والجن والعفريت:

الشيطان والجن والعفريت عالم واحد مخلوقون من نار، وأبوهم إبليس.

معنى الشيطان لغة: الشيطان النون فيه أصلية، وهو من شَطَنَ.

أي: تباعد... وقيل: النون فيه زائدة من شَاطَ يشيطُ، احترق غضبًا، فالشيطان مخلوق من النار كما دلت عليه الآية: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن].

وقال أبو عبيدة: الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإنس والحيوانات، قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤] أي: أصحابهم من الجن والإنس.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات]، قيل: هي حيةٌ خفيفة الجسم، وقيل: أراد به عارم الجن فَتُشُبِّهَ به لقُبح تصورها[1]. انتهى.

وبناء على هذا، فالشيطان من الجن الكافر، ولا يكون مؤمنًا، ويطلق أيضًا على الإنسان كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٨٧، ٢٨٨)، وانظر: القاموس المحيط (ص: ١٠٩٠).

قـال ابـن كثيـر رَحِمَهُ اللَّهُ: أي لهـم أعـداء مـن شـياطين الإنـس والجـن، ومـن هؤلاء وهؤلاء، قبحهم الله ولعنهم(١).

معنى الجن لغة: جنّ الشيء يجنّه جنًّا: ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جنّ عنك، وجنّه الليل يجنّه جنًّا وجنونًا، وجن عليه يجُنّ -بالضم- جنونًا، وأجنه ستره، وبه سُمي الجنين لاستتاره في بطن أمه(٢).

أما الجن: فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، قال تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن].

ومن خصائص الجن: أنه يرانا، قال الله تبارك وتعـالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ﴾ [الأعراف: ٢٧].

قـال الطبـري رَحِمَهُ اللَّهُ: يعنـي جـل ثنـاؤه بـذلك: إن الشـيطان يـراكم هـو، و«الهاء» في ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائدة على الشيطان، «وقبيله»، يعني: وصنفه وجنسه الذي هو منه واحد جمع جيلًا وهم الجن(٣).

ومن خصائصه: أنه قد يتشكل في صورة إنسان:

كما جاء في حديث أبي هُرَيرَة الذي أخرجه البخاري مُعلقًا، وفيه أنَّ أبَا هُرَيرَة قال: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣١٩).
(٢) لسان العرب (١٣/ ٩٢).
(٣) جامع البيان (١٢/ ٣٩٦).

النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**مَا هِيَ؟**»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**»، قَالَ: لَا، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا (٢٣١١).

ومنها: أنه يتشكل في صورة حيوان:

عن أَبِي السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لِأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ**» فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً، فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا: ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا، فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٩-٢٢٣٦).

أما العفريت: من كل شيء: المبالغ، يقال: فلان عفريت نِفريْتُ، وعفريةٌ نفريةٌ... والعفرية: الداهية(١).

قال النحاس رَحِمَهُ اللهُ: يقال للشديد إذا كان معه خبث ودهاء: عِفر وعفرية وعفريت وعفارية... والعفريت من الشياطين: القوي المارد والتاء زائدة(٢).

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [النمل: ٣٩].

إمكان رؤية الإنس الجن، والجمع بين أحاديث الباب والآية:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف].

وعن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ -في رواية: تَفَلَّتَ-، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللهَ أَمْكَنَنِي مِنْهُ فَذَعَتُّهُ، فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ - أَوْ كُلُّكُمْ - ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥]، فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا»(٣).

اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة هو إمكان رؤية الإنس الجن إذا

---

(١) الصحاح (٧٢٠).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٣٣)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٢١١-٢١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦١، ١٢١٠، ٣٢٨٤، ٤٨٠٨)، ومسلم (٣٩-٥٤١).

تشكلوا في غير صورهم التي خلقوا عليها، وحجتهم في ذلك الأحاديث التي أوردتها آنفًا، وأنكرت المعتزلة[1] إمكان رؤية الإنس للجن.

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «**تفلت**» أي: تعرض لي فلتة، أي: فجأة، وفيه دليل على أن رؤية الجن غير مستحيلة، فأما قوله تعالى وتقدس: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فإنه حكم الأعم والأغلب من الآدميين، امتحنهم بذلك ليفزعوا إليه عز وجل، ويستعيذوا به من شرهم[2].

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا شك أن الله تعالى أوجدهم على صور تخصهم ثم مكنهم من التشكل في صور مختلفة[3]، فيتمثلون في أي صورة شاءوا أو شاء الله ... ثم قال في سياق شرحه لحديث أبي هريرة المتقدم وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن عفريتًا من الجن جعل يتفلت عليَّ البارحة...**»، وفي هذا دليل على رؤية بني آدم الجن، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، إخبار عن غالب أحوال بني آدم معهم، والله تعالى أعلم[4].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي في القرآن أنهم يرون الإنس من حيث لا يراهم الإنس، وهذا حق يقتضي أنهم يرون الإنس في حال لا يراهم الإنس فيها،

---

(١) انظر: عمدة القاري للبدر العيني (٧/ ١٠٢).
(٢) شرح السنة للبغوي (٣/ ٢٧٠).
(٣) تقدم ذكر الأحاديث الدالة على ذلك آنفًا.
(٤) المفهم (٢/ ١٥٠).

وليس فيه أنهم لا يراهم أحد من الإنس بحال، بل قد يراهم الصالحون وغير الصالحين أيضًا، لكن لا يرونهم في كل حال[١].

هل يمكن للإنس رؤية الجن على صورهم التي خلقوا عليها؟

اختلف العلماء في إمكان رؤية الإنس الجن على صورهم التي خلقوا عليها.

فذهب فريق إلى نفي رؤية الإنس الجن على صورهم الأصلية، وحجتهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، أما إذا تشكلوا في غير صورهم أمكن رؤيتهم، كما دلت الأحاديث التي أوردتها في المسألة على ذلك، أما رؤيتهم على صورهم الأصلية، فهذا مما اختص به الأنبياء.

وهذا مذهب الشافعي، والحافظ ابن حجر، وابن بطال، والبدر العيني، والقاضي عياض.

وقال آخرون: لا مانع من رؤية الإنس الجن على صورهم التي خلقوا عليها، وحجتهم في ذلك حديث أبي هريرة المتقدم في المسألة، وهذا مذهب النووي.

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن أبطلت شهادته؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٧).

[الأعراف: ٢٧]، إلا أن يكون نبيًّا(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر كلام الشافعي: وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها، وأما من ادعى أنه يرى شيئًا منهم بعد أن يتطور على صور شتى من الحيوان فلا يقدح فيه، وقد تواردت الأخبار بتطورهم في الصور(٢).

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: ورؤيته عليه السلام للعفريت هو ما خُص به كما خُص برؤية الملائكة، فقد أخبر أن جبريل له ستمائة جناح... ورأى الشيطان في هذه الليلة وأقدره الله عليه لتجسمه؛ لأن الأجسام ممكن القدرة عليها، ولكنه ألقى في روعه ما وُهِب سليمان فلم ينفذ ما قوي عليه من حبسه رغبة عما أراد سليمان الانفراد به، وحرصًا على إجابة الله دعوته، وأما غير الرسول ﷺ من الناس فلا يُمكَّن من هذا، ولا يرى أحد الشيطان على صورته غير الرسول؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، لكنه يراه سائر الناس إذا تشكل في غير شكله، وتصور في غير صورته، كما تشكل الذي طعنه الأنصاري حين وجده في بيته في صورة حية فقتله، فمات الرجل به(٣).

وهذا ما ذهب إليه البدر العيني، والقاضي عياض(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للشافعي (٢/ ١٩٤) جمع البيهقي.

(٢) فتح الباري (٦/ ٣٩٦).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ١٠٩-١١٠).

(٤) انظر على الترتيب: عمدة القاري للعيني (٨/ ٦٩٧-٦٩٨)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٢/ ٤٧٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله ﷺ: «فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ، حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ - أَوْ كُلُّكُمْ» فيه دليل على أن الجن موجودون، وأنهم قد يراهم بعض الآدميين.

وأما قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فمحمول على الغالب، فلو كانت رؤيتهم محالًا لما قال النبي ﷺ ما قال من رؤيته إياه، قال القاضي: وقيل: إن رؤيتهم على خلقهم وصورهم الأصلية ممتنعة لظاهر الآية، إلا للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ومن خرقت له العادة، وإنما يراهم بنو آدم في صور غير صورهم، كما جاء في الآثار.

قلت (النووي): هذه دعوى مجردة، فإن لم يصح لها مستند فهي مردودة[١].

الراجح: هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من نفي رؤية الإنس الجن على صورهم التي خلقوا عليها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ أما إذا تشكلوا على غير صورهم أمكن للإنس رؤيتهم، وقد دلت الأحاديث على ذلك، وعلى هذا فالآية تحمل على منع رؤيتهم في حال دون حال، وهذا القول يجمع بين الآية والأحاديث، والله تعالى أعلم.

وقوله: «في دار نارٍ أو نعيم جَنَّة»:

أي: أن كلًّا من الإنس والجن مآلهم إما إلى نار وهي دار الخزي والعار والبوار، وإما إلى جَنَّة وهي دار النعيم، أعدها الله تعالى لعباده الصالحين.

---

(١) شرح مسلم (٣/ ٣٤).

وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة في دخول أمم من الجن والإنس، الجنة أو النار، أما دخول عصاة الجن النار فهو ثابت بالنص والإجماع، وأما دخول مؤمنهم الجنة ففيه نزاع، والراجح دخولهم الجنة؛ لأنه يوافق عدل الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقال تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن].

وقال جل ذكره عنهم أيضًا: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لآية الأحقاف: منطوق هذه الآية أن من أجاب داعي الله محمدًا ﷺ وآمن به وبما جاء به من الحق غفر الله له ذنوبه، وأجاره من العذاب الأليم، ومفهومها أعني: مفهوم مخالفتها المعروف بدليل الخطاب، أن من لم يجب داعي الله من الجنّ ولم يؤمن به لم يغفر له، ولم يجره من عذاب أليم، بل يعذبه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء مصرحًا به مبينًا في آيات أخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة]... وذكر آيات أخرى.

ثم قال: أما دخول المؤمنين المجيبين داعي الله من الجنّ الجَنَّة فلم

تتعرض له الآية الكريمة بإثبات ولا نفي، وقد دلت آية أخرى على أن المؤمنين من الجنّ يدخلون الجنة، وهي قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن].

وبه تعلم أن ما ذهب إليه بعض أهل العلم قائلين إنه يفهم من هذه الآية أن المؤمنين من الجن لا يدخلون الجنة، وأن جزاء إيمانهم وإجابتهم داعي الله هو الغفران وإجارتهم من العذاب الأليم فقط، كما هو نص الآية، كله خلاف التحقيق.

وقد تمسك جماعة من العلماء منهم الإمام أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- بظاهر هذه الآية، فقالوا: إن المؤمنين المطيعين من الجن لا يدخلون الجنة، مع أنه جاء في آية أخرى ما يدل على أن مؤمنيهم في الجنة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ لأنه تعالى بين شمولها للجن والإنس بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ ويستأنس لهذا بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن] فإنه يشير إلى أن في الجنة جنًّا يطمثون النساء كالإنس... إلى أن قال: ولو سلّمنا أن قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ يفهم منه عدم دخولهم الجنة، فإنه إنما يدل عليه بالمفهوم، وقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ يدل على دخولهم الجنة بعموم المنطوق. والمنطوق مقدم على المفهوم كما تقرر في الأصول[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح آية الأحقاف: وقد استدل بهذه الآية من ذهب

(١) أضواء البيان (٧/ ٢٣٦، ٢٣٧).

من أهل العلم إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة، وإنما جزاء صالحيهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة، ولهذا قالوا: في هذا المقام، وهو مقام تبجح ومبالغة فلو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هذا لأوشك أن يذكروه.

والحق: أن مؤمنيهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة، كما هو مذهب جماعة من السلف، وقد استدل بعضهم لهذا بقوله عز وجل ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن]، وفي هذا الاستدلال نظر، وأحسن منه قوله جل وعلا: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن] فقد امتنَّ تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس، فقالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد، فلم يكن تعالى ليمتنَّ عليهم بجزاء لا يحصل لهم، وأيضًا فإنه إذا كان يجازي كافرهم بالنار -وهو مقام عدل-، فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة-وهو مقام فضل- بطريق الأولى والأحرى[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر جملة من الآيات الدالة على أن الجن مكلفون:

فإذا علم تكليفهم بشرائع الأنبياء ومطالبتهم بها، وحشرهم يوم القيامة للثواب والعقاب، علم أن محسنهم في الجنة كما أن مسيئهم في النار.

وقد دل على ذلك قوله تعالى عن مؤمنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ [الجن: ١٣] وبهذه الآية احتج

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٠).

البخاري.

ووجه الاحتجاج بها أن البخس المنفي هو: نقصان الثواب، والرهق: الزيادة في العقوبة على ما عمل، فلا ينقص من ثواب حسناته، ولا يزيد في سيئاته، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢] أي لا يخاف زيادة سيئاته، ولا نقصان حسناته، وأيضًا فقد قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن]، وذكر ما في الجنتين إلى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ وهذا يدل على أن ثواب محسنهم الجنة من وجوه... وساق أربعة أوجه لذلك[(١)].

وهذا هو الراجح عندي؛ لأنه يوافق مقتضى عدل الله ورحمته وفضله، والله أعلم.

أما الملائكة فهم يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار، وهم في الجنة مسخرون لأهلها.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

اختصاص النبوة بالإنس دون الجن:

إن الله تعالى شرف الرسل وأكرمهم بالنبوة والرسالة، فهم أفضل الخلق، أما الجن فمن ذرية إبليس وخلقوا من نار.

وقال جل ذكره عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ

---

(١) طريق الهجرتين (٤٢٤، ٤٢٥) وما بعدها.

﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

فكل الأنبياء والرسل من ذريته، وغير ذلك من الأدلة.

وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض شرحه للآية: وقد استدل بهذه الآية على أنه في الجن نذر، وليس فيهم رُسُل، ولا شك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقال عز وجل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] فكل نبي بعثه الله تعالى بعد إبراهيم من ذريته وسلالته، فأما قوله تبارك وتعالى في الأنعام: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فالمراد من مجموع الجنسين، فيصدق على أحدهما وهو الإنس، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن] أي أحدهما، ثم إنه تعالى فسر إنذار الجن لقومهم، فقال مخبرًا عنهم: ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠]... وقولهم: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المنزلة على الأنبياء قبله(١).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٨-٢٠٩).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٣- هُما مَصيرُ الخَلْقِ مِنْ كُلِّ الوَرَى   فالنَّـــارُ دَارُ مَـــنْ تَعـــدَّى وَافتَــرَى

انتقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر نهاية الثقلين، إما إلى جنة، وإما إلى نار، فبين في هذا البيت مصير الخلق من الورى، أي: الخلق من الجن والإنس، مرجعهم ومصيرهم إلى النار إذا تعدوا حدود الله ولم يجيبوا داعي الله.

قوله: «وافترى»:

فيما عبد من دون الله؛ صنم أو حجر أو ملك أو إنسان أو أتى بأي نوع من أنواع الكفر الذي يخرج من الملة، ولم يتب ومات على الكفر، فهو خالد في النار.

مبحث: في الجنة والنار:

اعلم أن من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان، ولا يفنيان، فوجودهما أبدي وليس أزليًّا، واعلم أن أهل الجنة مخلدون فيها أبدًا، وأهل النار- أي أصحاب النار وهم الكفار- مخلدون فيها أبدًا، وهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

الدليل على وجود الجنة والنار:

أولاً: دليل وجود النار الآن:

قول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى ذكره: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ [الفرقان] وغيرها من الآيات وهي كثيرة.

ثانيًا: دليل وجود الجنة الآن:

من القرآن: قال جلا وعلا: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران].

أما السنة: ففي حديث كسوف الشمس الطويل، وفيه أنّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، ثُمَّ جِيءَ بِالْجَنَّةِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي، وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ»[(١)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ...»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠-٩٠٤) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٠، ٦٣١٧، ٧٣٨٥)، ومسلم (٧٦٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ» قَالَ: «فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»[(٢)].

وفي حديث الإسراء الطويل، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «...ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ...»[(٣)].

وحديث أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وفيه أنّ رسُولَ الله ﷺ سَجَدَ، فَأَطَالَ السُّجُودَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَقَالَ: «قَدْ دَنَتْ مِنِّي الجَنَّةُ، حَتَّى لَوِ اجْتَرَأْتُ عَلَيْهَا، لَجِئْتُكُمْ بِقِطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا، وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ حَتَّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّ، وَأَنَا

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩ - ١٩١٤) بعد حديث رقم (٢٦١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤)، وأحمد (٢/ ٣٨٢)، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٧/ ٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٩، ١٦٣٦)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس بن مالك وأبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

مَعَهُمْ؟ فَإِذَا امْرَأَةٌ - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ - تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ، قُلْتُ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، لَا أَطْعَمَتْهَا وَلَا أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشِيشِ - أَوْ خَشَاشِ الأَرْضِ»[١].

وعن أبي هُرَيرَة قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»[٢].

وغيرها من الأحاديث الصحيحة وهي كثيرة.

الدليل على أن الجنة والنار باقيتان لا يفنيان، وأن أهل الجنة خالدون فيها أبدًا، وأهل النار- وهم الكفار- خالدون فيها أبدًا:

جاءت نصوص كثيرة تدل على ذلك، نذكر منها بعض النصوص التي جاء فيها أن الخلود فيهما أبدي، أما النصوص التي جاء فيها الخلود فيهما مطلقًا فهي كثيرة جدًّا يصعب استيفاؤها.

أولًا: من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ [النساء: ٥٧].

وقال سبحانه في أهل الجنة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة]، وقال تعالى ذكره: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦﴾ [الدخان] وقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨﴾ [الحجر].

وقال سبحانه وتعالى في أهل النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥﴾ [الأحزاب].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ٤٥﴾ [الشورى].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى]

ثانيًا: من السنة:

عن عَبْد الله بن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»[1].

وفي حديث أبي هُرَيْرَة أن النبي ﷺ قال: «...يُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَلأَهْلِ النَّارِ: خُلُودٌ لَا مَوتَ»[2].

أما المسلمون، فقد قدمنا الأدلة على أنهم لا يخلدون في النار، ولكن تمسهم بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها، ولا يخلدون فيها برحمة أرحم الراحمين ثم بشفاعة من أذن لهم سبحانه بالشفاعة، وقد تقدمت المسألة.

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان، لا تفنيان أبدًا، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدًا، وكذلك أهل النار- الذين هم أهلها خلقوا لها- لا يخرجون منها

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٥).

أبدًا... واستدل بحديث ابن عمر المتقدم(١).

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن قول أهل السنة أن الجنة والنار قد خلقتا، وقال عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]... وساق أدلة أخرى...

ثم قال: وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان، ولا يموت أهلوها، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت]... وذكر أدلة أخرى(٢).

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإيمان بأن الجنة والنار حق، والجنة والنار مخلوقتان، الجنة في السماء السابعة وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى(٣)، وهما مخلوقتان قد علم الله عدد أهل الجنة ومن

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٦٤).

(٢) أصول السنة (١٣٩).

(٣) قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطففين]، وفي حديث الْبَرَاءِ في الاحتضار أنّ رسولَ الله ﷺ ذَكَرَ نَفْسَ الْفَاجِرِ، وَأَنَّهُ يُصْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ فُلَانٌ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ﴾ [الأعراف]، فَيَقُولُ اللهُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى» رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩٧)، والطبري في جامع البيان (١٥/ ١٢٠).

يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها[(١)]، لا تفنيان أبدًا، بقاؤهما مع بقاء الله تبارك وتعالى أبد الآبدين ودهر الداهرين، وآدم كان في الجنة الباقية المخلوقة، فأخرج منها بعد ما عصى الله[(٢)].

---

(١) كما جاء في حديث عَليٍّ بن أبي طَالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «**أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ الآيات [الليل]، أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٢) شرح السنة (٤٨، ٤٩).

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٢٤- ومَن عَصى بِذَنبِهِ لَم يَخْلُدِ ... وإنْ دَخَلْها يا بَوارَ الْمُعتَدِي

١٢٥- وجَنَّةُ النَّعيمِ لِلأبرارِ ... مَصونَةٌ عَن سائِرِ الكُفَّارِ

١٢٦- واجزِمْ بِأَنَّ النَّارَ كالْجَنَّةِ فِي ... وُجُودِها وأَنَّها لَم تَتْلَفِ

الشرح

أي: أن المسلم الذي عصى ربه باقتراف الذنوب، ثم مات على الكبائر، ولم يتب منها، فهو في المشيئة، إن شاء الله عذبه ثم يخرج من النار بالشفاعة أو برحمة أرحم الراحمين، وإن شاء عفى عنه، فلا يخلد في النار من مات مسلمًا موحدًا، سواء أكانت ذنوبه متعلقة بالشهوات- كشرب الخمر والزنا والربا وغير ذلك- أو بالشبهات كالبدع بأنواعها ما لم تكن كفرًا.

وهذا ثابت بالنص والإجماع، وخالف أهلَ السنة المعتزلةُ والخوارجُ فهم يكفرون مرتكب الكبيرة وينكرون الشفاعة لأهل الكبائر، ويقولون بخلودهم في النار، وقد سبق بيان مذهبهم أكثر من مرة.

الأدلة من الكتاب والسنة على أن من مات من المسلمين على الكبائر لا يخلد في النار؛ لأنه لم يخرج من دائرة الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ فإن الله لا

يغفر الشرك به والكفر، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام[(١)].

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني يغفر ما دون الشرك لمن يشاء بلا عقوبة، وقد يعاقب بعضهم على ما اقترف من الذنوب ثم يعفو عنه ويدخل الجنة بإيمانه[(٢)].

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟! **قَالَ**: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**»، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ[(٣)].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(٤)].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن ذلك محمول على المستحل لتلك الكبائر،

---

(١) جامع البيان (٤/ ١٧٥)، وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٦)، وتفسير القرطبي (٥/ ٢٤٧) وغيرهم.

(٢) الاعتقاد (٢٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

(٤) **متفق عليه**: تقدم تخريجه.

وقيل: معنى ذلك: أن مرتكب الكبائر يسلب عنه اسم الإيمان الكامل أو النافع الذي يفيد صاحبه الانزجار عن هذه الكبائر[١].

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يسلب عنه اسم المدح الذي سُمي به أولياء الله المؤمنون، ويستحق اسم الذم الذي سمي به المنافقون والفاسقون[٢].

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تفسيره أن ينزع عنه نور الإيمان وهو قريب من الأول[٣]، انتهى.

وقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً**»[٤].

وذكر بنحو هذه الأحاديث في باب الشفاعة، وقد تقدم أيضًا بيان اختلاف العلماء في ضابط الكبيرة[٥].

وقوله: «وإن دخلها يا بوار المعتدي»:

البوار: هو الهلاك، والمعنى: وإن دخل المسلم النار لم يخلد فيها، يا أيها المعتدي، وهم المعتزلة والخوارج ومن وافقهم في مذهبهم، ووجه اعتدائه أنه تعدى نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأئمة على أن من مات

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٦/ ٢٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤١٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) راجع شرح البيت التاسع والسبعين.

على الكبائر ولم يتب فهو في المشيئة كما بينا.

وقوله: «وجنة النعيم للأبرار...»:

أي: أن جنة النعيم للأبرار المتقين، فلا يدخلها كافر، يتنعم المؤمن فيها ببدنه وروحه، من دخلها يشبُّ فلا يهرم، ويصح فلا يسقم، ويحيا فلا يموت، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ليس فيها همٌّ ولا حزن ولا غم ولا حسد ولا غل، إخوانًا على سرر مصفوفة.

الجنة عالية لا يسمعون فيها لاغية، فيها ثمار دانية، وعين جارية، وأنهار من عسل مصفى، وأخرى من لبن لم يتغير طعمه، ثياب أهلها السندس والاستبرق، وأساورهم من فضة، شرابهم طهور، فيها لحم طير مما يشتهون، أما نساء الجنة فلا يعلم حسنهن إلا الخالق البارئ المصور، أنشأهن خلقًا آخر، فجعلهن أبكارًا عربًا أترابًا، أما الحور فهن كاللؤلؤ المكنون، وكل ذلك جزاء بما كانوا يعملون، تفضلًا منه وإحسانًا، من غير ما إلزام، فهو الكريم المنان.

ذكر بعض الآيات والأحاديث التي جاءت في وصف الجنة ونعيمها:

أولًا: من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى ذكره: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة].

وقال سبحانه: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان]، وقال جل ثناؤه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

وغيرها من الآيات وهي كثيرة جدًّا، نسأل الله الكريم الرحمن الرحيم النعيم المقيم في جنات النعيم.

ثانيًا: من السنة:

فقد جاءت أحاديث كثيرة تبين عظيم قدر الجنة منها:

ما رواه مسلم من حديث المُغيرَة بن شُعْبَة ﵁ عَن رَسُول الله ﷺ أَنَّه قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا

أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، قَالَ: «وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة]» الْآيَةَ[1].

وقال رسُولُ الله ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[2].

وعن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة]»[3].

وقال رَسُولُ الله ﷺ لأم حارِثة عندما سألت عن ابنِها الذي خرج مع النبي ﷺ في غَزْوَة بَدْرٍ، وقد استُشْهِد، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ،

(١) أخرجه مسلم (١٨٩-٣١٢) باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها.
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٠)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤).

إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ»[(١)] وغيرها.

وقوله: «مصونة عن سائر الكفار»:

تقدم أن الجنة محرمة على الكفار، وهم مخلدون في النار، نسأل الله تعالى السلامة والعافية والثبات حتى يتوفانا على الإسلام.

وقوله:

واجـزِمْ بِـأَنَّ النَّـارَ كالْجَنَّـةِ فِـي وُجُودِهـا وأَنَّهـا لَـم تَتْلَـفِ

سبق بيان أن الجنة والنار مخلوقتان باقيتان، لا يفنيان أبدًا، وذكرنا الأدلة على ذلك، ولله الحمد.

مبحث: حكم من مات من أطفال المشركين والمسلمين ومن مات في الفَتْرَة:

جاء في حديث سَمُرَة بن جندب رضي الله عنه -الطويل- في رُؤيا النبي ﷺ، وفيه: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ» إلى أن سأل النبي ﷺ الملكين عن ذلك، فأجابا «... وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ»، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٢) وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

وعن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما قالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «**اللهُ إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[(١)].

وفي رواية أبي هريرة، قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[(٢)].

اختلف العلماء في حكم من مات من أولاد المشركين اختلافًا كثيرًا[(٣)]، وأظهر هذه الأقوال- والله أعلم- قولان:

الأول: أنهم في الجنة، لحديث سمرة بن جندب المتقدم وهو في الصحيحين.

والثاني: أنهم يُختبروا يوم القيامة، لقوله ﷺ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**» وقد تقدم الحديث.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في هذه المسألة على أقوال:

أحدها: أنهم في مشيئة الله تعالى، وهو منقول عن الحمّادين[(٤)] وابن المبارك وإسحاق، ونقله البيهقي في «الاعتقاد»[(٥)] عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٣) ومسلم (٢٦٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٤) ومسلم (٢٦-٢٦٥٩).

(٣) قال ابن القيم: «وأما أولاد المشركين، فاختلف أهل العلم فيهم على عشرة مذاهب... ثم ساق هذه المذاهب كلها - انظر: أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٨٦).

(٤) الحمادان هما: حماد بن زيد وحماد بن سلمة.

(٥) انظر: الاعتقاد للبيهقي (١٧٩-١٨٧).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو مقتضى صنيع مالك، وليس عنده في هذه المسألة شيء منصوص، إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة، وأطفال الكفار خاصة في المشيئة، والحجة فيه حديث: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(١).

ثانيها: أنهم تبع لآبائهم، فأولاد المسلمين في الجنة، وأولاد المشركين في النار، وحكاه ابن حزم عن الأزارقة من الخوارج، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح] وتعقبه بأن المراد قوم نوح خاصة، وإنما دعا بذلك لما أوحى الله إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، وأما حديث: «**هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ**» أو «**هُمْ مِنْهُمْ**»(٢) فذاك ورد في حكم الحربي.

وروى أحمد من حديث عائشة: سَأَلْتُ رسُولَ الله ﷺ عن ولدان المُسْلِمين، قال: «**فِي الجَنَّة**»، وعَن أوْلَاد المُشْرِكِين، قال: «**فِي النَّار**» فقلت: يا رسُولَ الله لم يُدْرِكُوا الأعْمَال، قالَ: «**رَبُّك أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ، ولو شِئْتِ أَسْمَعْتُكِ تَضَاغِيَهُمْ فِي النَّارِ**»، وهو حديث ضعيف جدًّا؛ لأن في إسناده أبا عقيل مولى بهية، وهو متروك.

ثالثها: أنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار؛ لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة، ولا سيئات يدخلون بها النار.

رابعها: خدم الجنة، وفيه حديث عن أنس ضعيف أخرجه أبو داود

---

(١) **متفق عليه**: تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٢، ٣٠١٣)، ومسلم (٢٦ - ١٧٤٥) من حديث ابن عباس عن الصعب بن جَثَّامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والطيالسي، وأبو يعلي، والطبراني، والبزار من حديث سَمُرَة مرفوعًا: «**أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، وإسناده ضعيف.

خامسها: أنهم يصيرون ترابًا، روي عن ثمامة بن أشرس.

سادسها: هم في النار، حكاه عياض عن أحمد، وغلطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه، ولا يحفظ عن الإمام أصلًا.

سابعها: أنهم يُمتحنون في الآخرة، بأن ترفع لهم نار، فمن دخلها كانت بردًا وسلامًا، ومن أبى عذب، أخرجه البزار من حديث أنس وأبي سعيد، وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل، وقد صحّت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات على الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في كتاب «الاعتقاد» أنه المذهب الصحيح، وتعقب بأن الآخرة ليست دار تكليف، فلا عمل فيها ولا ابتلاء، وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنة أو النار، وأما في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم].

وفي الصَّحيحين: «**أَنَّ النَّاسَ يُؤمَرون بالسُّجُود، فَيَصِير ظَهْرُ المُنَافِق طَبَقَةً؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْجُدَ**»[1].

ثامنها: أنهم في الجنة، وقد تقدّم القول فيه في «باب فضل من مات له ولد».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المحققون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة، فلأن لا يعذب غير العاقل من باب أولى، ولحديث سمرة المذكور في هذا الباب، ولحديث عمة خنساء المتقدم، ولحديث عائشة الآتي قريبًا[(١)].

تاسعها: الوقف.

عاشرها: الإمساك، وفي الفرق بينهما دقة[(٢)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وأطفال الكفار أصح الأقوال فيهم: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[(٣)] كما أجاب النبي ﷺ في الحديث الصحيح[(٤)]، انتهى.

وهذا ما ذهب إليه ابن القيم[(٥)]، وهو الراجح عندي، فهو أظهر الأقوال لكونه موافقًا لحديث رسول الله ﷺ المتفق عليه، والله تعالى أعلم.

حكم من مات من أطفال المسلمين:

أجمع العلماء على أن أطفال المسلمين في الجنة؛ لحديث جندب المتقدم وغيره.

فعن أبي هُرَيرَة، عن النبي ﷺ قالَ: «**لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ**

---

(١) انظر: شرح مسلم للنووي (٨/ ٤٦٢).

(٢) انظر: الفتح (٣/ ٢٩٠، ٢٩١)، والتمهيد لابن عبد البر (٤/ ٤٠٠، ٤٠١).

(٣) **متفق عليه**: تقدم تخريجه.

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٣).

(٥) انظر: طريق الهجرتين (٣٩٦-٣٩٩).

مِنَ الوَلَدِ تَمَسُّهُ النَّارُ، إلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ»[١].

وعَن أبي حَسَّان قالَ: قُلتُ لأبي هُرَيرَة: إنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: نَعَمْ، **«صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ، يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ -، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ** - أَوْ قَالَ: **بِيَدِهِ** -، **كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى** - أَوْ قَالَ: **فَلَا يَنْتَهِي - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ»**[٢]، وغيرها من الأحاديث.

قال ابنُ عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: قد أجمع العلماء على ما قلنا من أن أطفال المسلمين في الجنة، فأغنى ذلك عن كثير من الاستدلال، ولا أعلم عن جماعتهم في ذلك خلافًا، إلا فرقة شذت من المجبرة، فجعلتهم في المشيئة، وهو قول شاذ مهجور مردود بإجماع الجماعة، وهم الحجة الذين لا تجوز مخالفتهم، ولا يجوز على مثلهم الغلط في مثل هذا[٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأما أطفال المسلمين، فقال الإمام أحمد: لا يختلف فيهم أحد، يعني أنهم في الجنة[٤].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلفًا، وتوقف فيه

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٥٦) ومسلم (٢٦٣٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣٥) وغيره.
(٣) التمهيد (٤/ ٣٣٦).
(٤) طريق الهجرتين (ص: ٣٨٧).

بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا، وأجاب العلماء: بأنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع، كما أنكر على سعد بن أبي وقاص في قوله: أعطه إني لأراه مؤمنًا، قال: «**أَوْ مُسْلِمًا...**» الحديث[(١)].

ويحتمل أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة، فلما علم قال ذلك في قوله ﷺ: «**مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ، يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ**»[(٢)] وغير ذلك من الأحاديث، والله أعلم[(٣)].

حكم من مات من أهل الفترة:

الفترة لغة: الانكسار والضعف[(٤)].

قال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفتور سكون بعد حدة، ولين بعد شدة، وضعف بعد قوة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩] أي سكون حال عن مجيء رسول الله ﷺ وقوله: ﴿لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء] أي: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة[(٥)].

واصطلاحًا: «أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل، ولم يُرسل

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) شرح مسلم (٨/ ٤٦٢).

(٤) اللسان (٧/ ١٤)، والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٥٧)، والتعريفات (٢١٢).

(٥) المفردات (٤٠٨).

إليهم الأول، ولا أدركهم الثاني، يشمل بين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام»(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض تعريفه أهل الفترة: هي ما بين كل نبيين؛ كانقطاع الرسالة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ(٢).

حكمهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء].

عن الْأَحْنَفِ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سُرَيْعٍ، أنَّ النبي ﷺ قال: «أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي: يَدُلُّونَ عَلَى اللهِ بِحُجَّةٍ - رَجُلٌ أَصَمُّ لا يَسْمَعُ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونَنِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي فَتْرَةٍ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا آتَانِي الرَّسُولُ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ وَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا مَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ إِلَّا بَرْدًا وَسَلَامًا»(٣).

---

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٧٩)، وانظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٤٥٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٥٧)، والطبراني في «الكبير» =

وعن أبي هُرَيرَة ﷺ قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**»[(١)].

وعن ثَابِتٍ، عن أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «**فِي النَّارِ**»، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»[(٢)].

واعلم أن بين أهل العلم نزاع في حكم أهل الفترة، فذهب فريق إلى أنهم في النار لعموم الأدلة على خلود الكافر في النار كما في كتاب الله، وكذا حديث أبي هريرة، وحديث أنس كما في الباب.

وقال آخرون: يمتحنون يوم القيامة بأن يرسل إليهم: أن ادخلوا النار، فمن أجاب دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وحجتهم الآية وحديث الأسود بن سريع المتقدِّم.

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال الإمام النووي رحمه الله في معرض شرحه حديث: «... إن أبي وأباك في النار» فيه: أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد

=

(٨٤١)، والبزار في «كشف الأستار» (٢١٧٤)، والهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢١٦)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ١٨٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٣٤) و(٢٤٦٨).

(١) أخرجه مسلم (١٠٥-٩٧٦) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣ - ٣٤٧).

بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم»[١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن لم تبلغه دعوة رسول إليه كالصغير والمجنون والميت في الفترة المحضة فهذا يمتحن في الآخرة كما جاءت بذلك الآثار»[٢].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾: «والله تعالى أعدل العادلين لا يعذب أحدًا حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ثم يعاند الحجة، وأما من انقاد للحجة أو لم تبلغه حجة الله تعالى فإن الله تعالى لا يعذبه، واستدل بهذه الآية على أن أهل الفترات وأطفال المشركين لا يعذبهم الله حتى يبعث إليهم رسولًا؛ لأنه منزه عن الظلم»[٣].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر حجة كل فريق: الظاهر أن التحقيق في هذه المسألة التي هي: هل يعذر المشركون بالفترة أو لا؟ هو أنهم معذورون بالفترة في الدنيا، وأن الله يوم القيامة يمتحنهم بنار يأمرهم باقتحامها، فمن اقتحمها دخل الجنة، وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، ومن امتنع دخل النار وعُذب فيها، وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا؛ لأن الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل.

---

(١) شرح صحيح مسلم (٢/ ٨١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٧٧).
(٣) تفسير السعدي (٤/ ٢٦٦).

وإنما قلنا: إن هذا هو التحقيق في هذه المسألة لأمرين:

الأول: أن هذا ثبت عن رسول الله ﷺ، وثبوته عنه نص في محل النزاع، فلا وجه للنزاع البتة مع ذلك، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية التي نحن بصددها -بعد أن ساق الأحاديث الكثيرة الدالة على عذرهم بالفترة وامتحانهم يوم القيامة، رادًّا على ابن عبد البر تضعيف أحاديث عذرهم وامتحانهم بأن الآخرة دار جزاء لا عمل، وأن التكليف بدخول النار تكليف بما لا يطاق، وهو لا يمكن- ما نصه:

والجواب عما قال: أن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء، ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط، أفادت الحجة عند الناظر فيها.

وأما قوله: إن الدار الآخرة دار جزاء، فلا شك أنها دار جزاء، ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار، كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال، وقد قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢].

وقد ثبت في الصّحاح وغيرها: أَنَّ الْمُؤمنين يَسْجُدُونَ لله يَوْمَ الْقيامَة، وأنّ الْمُنافِقَ لَا يَسْتَطيع ذَلك، وَيعُود ظَهْرُهُ كالصَّفيحَة الوَاحِدَة طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ[١].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣ - ٣٠٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وفي الصّحيحين في الرّجل الذي يكون آخر أهل النار خروجًا منها، أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه ألا يسأل غير ما هو فيه، ويتكرر ذلك منه، ويقول الله تعالى: «يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ»، ثم يأذن له في دخول الجنة(١).

وأما قوله: فكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم؟ فليس هذا بمانع من صحة الحديث، فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط.

وأيضًا: فقد ثبتت السنة بأنّ الدَّجَّال يكُون مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ(٢)، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى أنه نار فإنه يكون عليه بردًا وسلامًا، فهذا نظير ذلك.

وأيضًا: فإن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم، فقتل بعضهم بعضًا..

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا -قبل هذا الكلام بقليل- ما نصه: ومنهم من ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة في عرصات المحشر، فمن أطاع دخل الجنة، وانكشف علم الله فيه بسابق السعادة، ومن عصى دخل النار داخرًا، وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة.

وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه.

وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد(١)، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد. انتهى محل الغرض من كلام ابن كثير- رحمه الله تعالى- وهو واضح جدًّا فيما ذكرنا.

الأمر الثاني: أن الجمع بين الأدلة واجب متى أمكن بلا خلاف؛ لأن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما، ولا وجه للجمع بين الأدلة إلا هذا القول بالعذر والامتحان...(٢).

الراجح: أن أهل الفترة الذين لم تبلغهم دعوة الرسل يمتحنون يوم القيامة لما تقدم من أدلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم.

أما من بلغتهم دعوة الرسل وماتوا على الكفر، فهؤلاء لا يمتحنون بل هم في النار، ومن أظهر ما يستدل به حديث أنس ﵁ المتقدم، وفيه أن رجلًا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «**فِي النَّار**»، فلما قفَّى دعاه، فقال: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّار**»، وحديث أبي هريرة المتقدم، قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**».

وقال ابن كثير ﵀: وإخباره ﷺ عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من عدة طرق متعددة أن أهل الفترة

(١) انظر: الاعتقاد للبيهقي (١٨٧).
(٢) أضواء البيان (٣/ ٧٣-٧٥) باختصار.

والأطفـال والمجـانين والصـم يمتحنـون في العرصـات يـوم القيامـة؛ كمـا بسطناه سندًا ومتنًا من تفسيرنا عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء]، فيكون فيهم من يجيب، ومنهم من لا يجيب، فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا منافاة[(١)].

وقال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ: وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة وقد كانوا يعبدون الأوثان، حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى ابن مريم عليه السلام، وكفرهم لا يقدح في نسبه عليه الصلاة والسلام؛ لأن أنكحة الكفار صحيحة، ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهن إذا كان مثله يجوز في الإسلام، وبالله التوفيق[(٢)]. انتهى.

وهذا ما ذهب إليه العلامة ابن باز[(٣)].

حكم أصحاب الأعراف في الآخرة:

الأعراف لغة: جمع عُرف وهو المكان المرتفع.

قال الجوهري رَحِمَهُ اللهُ: الجمع عرف وأعراف، ويقال: الأعراف الذي في القرآن: سورٌ بين الجنة والنار[(٤)].

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٤٢٩).
(٢) دلائل النبوة (١/ ١٩٢).
(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٥٠).
(٤) الصحاح (ص: ٦٩٥).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال غير واحد من العلماء: الأعراف: تَلٌّ بين الجنة والنار، حُبس عليه من أهل الذنوب بين الجنة والنار، واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف مَن هم؟ وكُلُّها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم: قوم استوت حسناتُهم وسيئاتُهم.

وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولًا منها: أنهم شهدوا أنهم صُلحاء تفرعوا من فرع الآخرة، دخلوا يطلعون على أخبار الناس، وقيل: هم الأنبياء، وقيل: ملائكة[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: والصحيح من ذلك أنهم قوم تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، فلا رجحت سيئاتهم فدخلوا النار، ولا رجحت حسناتهم فدخلوا الجنة، فصاروا في الأعراف ما شاء الله، ثم إن الله تعالى يدخلهم برحمته الجنة، فإن رحمته تسبق وتغلب غضبه، ورحمته وسعت كل شيء[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٩٠).

ثم قال صاحب النظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٧- فنَسألُ اللهَ النَّعيمَ والنَّظَر   لِرَبِّنا مِن غَيْرِ ما شَيْنٍ غَبَر

١٢٨- فإنَّهُ يُنظَرُ بالأبصارِ   كَما أتى فِي النَّصِّ والأخبارِ

١٢٩- لأنَّهُ سُبحانَهُ لَم يُحجَبِ   إلَّا عَن الكافِرِ والْمُكَذِّبِ

الشرح

الشين لغة: الشَّيْنُ: معروف خلاف الزين، وقد شانَهُ يَشِينُه شَيْنًا، قال أبو منصور الأزهري: والعرب تقول وجه فلان زَيْنٌ أي أحسن ذو زَيْنٍ، ووجه فلان شَيْنٌ: أي قبيح ذو شَيْنٍ، وقال الفراء: العَيْنُ والشَّيْنُ والشَّنَارُ: العَيْبُ، والمشَاين: المعايب[(١)].

والغَبَرُ لغة: مُحَرَّكة: التراب، وبِهَاءٍ: الغُبارُ، كالغُبْرَةِ بالضم واغبَر اليومُ اغبرارًا: اشتد غُبارُهُ[(٢)].

أي: نسأل الله الكريم الرحيم النعيم المقيم في جنة الخلد، ونسأله أن يمنَّ علينا بالنظر إليه، «من غير ما شين غبر» أي: من غير سابقة عذاب ولا مناقشة حساب ولا توبيخ وعتاب، ولا خزي ولا خذلان، وكل ما يشين العبد يوم القيامة على رؤوس الخلائق من الحساب وتطاير الصحف.

وقوله: «فإنه يُنظر بالأبصار...»:

أي: أن الله تعالى يراه المؤمنون بالأبصار يوم القيامة وفي الجنة، وهذا اعتقاد أهل السنة قاطبة، وخالفهم المعتزلة فزعموا أن المؤمن لا يرى الله

(١) اللسان (٥/ ٢٥٥) مادة (شين).
(٢) القاموس المحيط (٤٠٤) مادة (غبر).

عز وجل يوم القيامة وقوله: «كما أتى في النص والأخبار» أي أن أدلة ذلك جاءت في الكتاب والسنة والإجماع.

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على التصريح بنظر المؤمنين لربهم يوم القيامة:

قال تعالى ذكره: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق].

وقال تعالى في شأن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين].

وعن جرير قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»[1].

وعن صُهَيْبٍ رضي الله عنه، عَن النبي ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَلَا هَذه الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨١-٢٩٧) وغيره.

وعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟**»، قُلْنَا: لَا، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**»(١).

وفي الصحيحين عن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الناس قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فَإِنَّكم تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ..**»(٢).

وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»(٣).

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكر البيان أن رؤية الله التي يختص بها أولياءه يوم القيامة، هي التي ذكر في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

ويفضل بهذه الفضيلة أولياءه من المؤمنين، ويحجب جميع أعدائه عن النظر إليه؛ من مشرك، ومتهود، ومتنصر، ومتمجس، ومنافق، كما أعلم في

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).
(٣) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين].

وهذا نظر أولياء الله إلى خالقهم- جلّ ثناؤه- بعد دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيزيد الله المؤمنين كرامةً وإحسانًا إلى إحسانه تفضلًا منه وجودًا، بإذنه إياهم النظر إليه، ويُحجب عن ذلك جميع أعدائه... وساق جملة من الأدلة التي ذكرناها أول المسألة[(١)].

قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: مذهب أهل السنة: أن الله عز وجل يكرم أولياءه، برؤيته بأعينهم كما شاء فضلًا منه ومِنّة.

قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

وحكى الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين] لما حجب عنه الكفار دل على أن المؤمنين يرونه.

وروي عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل[(٢)].

---

(١) التوحيد (ص: ١٥٦).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٧١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٦٤)، والآجري في الشريعة (ص: ٢٥٧)، والدارقطني في «الرؤية» (١٩٣، ٢٠١)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ١٢٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٣/ ٤٧٤) كلهم عن طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به، وقال الشيخ الألباني: حديث موقوف صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين من الطريق الثانية، وكذا الأولى إلا مسلم بن نُذَير وهو لا بأس به، كما قال أبو حاتم لكن أبو إسحاق وهو السبيعي مدلس وقد عنعنه، لكن يشهد له الحديث المرفوع قبله «ظلال الجنة» (١/ ٢٠٦) قلت: يقصد بالحديث الذي قبله حديث صهيب الذي أخرجه مسلم،

قالوا: وفي قول الله عز وجل: ﴿فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ [الفرقان: ١٦] دلالة أنهم يرونه، لأن المحال أن لا يشاء أولياء الله وأهل طاعته الذين وحدوه وعبدوه أن يروا معبودهم جل جلاله....»[1].

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن قول أهل السنة: أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة وأنه يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه... وساق الأدلة كما تقدم من الكتاب والسنة[2].

قال البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: والإيمان بالرؤية يوم القيامة يرون الله بأبصار رءوسهم، وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان [3].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في ثنايا كلام عن الرؤية: رؤية الله بالأبصار هي للمؤمنين في الجنة، وهي أيضًا للناس في عرصات القيامة، كما تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ... وساق الأحاديث كما تقدم[4].

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: ويشهد أهل السنة: أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم، وينظرون إليه، على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ في قوله: «**إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»[5]. والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي[6].

=

وقد تقدم أول المسألة.

(١) الحجة في بيان المحجة (٥١٤، ٥١٥).

(٢) أصول السنة (ص: ١٢٠).

(٣) شرح السنة (ص: ٤٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩١).

(٥) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٦) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٦٣- ٢٦٤).

قال أبو سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر الآيات والأحاديث كما تقدم أول المسألة:

فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية على تصديقها والإيمان بها، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديمًا وحديثًا يرْوونها، ويؤمنون بها، ولا يستنكرونها، ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال.

بل كان من أكبر رجائهم، وأجزل ثواب الله في أنفسهم، النظر إلى وجه خالقهم، حتى ما يعدلون به شيئًا من نعيم الجنة(١).

أقوال العلماء في رؤية الكفار لله تعالى يوم القيامة:

للعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال، ذكرها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي كما قال:

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر ولا المسرّ له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد، وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغيرهم من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين، فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلي نحوه في حديث إتيانه - سبحانه وتعالى - لهم في الموقف، الحديث المشهور.

---

(١) الرد على الجهمية (ص: ١١٣).

الثالـث: أن الكفـار يرونـه رؤيـة تعريـف وتعـذيب- كـاللص إذا رأى السلطان- ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه، وقول غيرهم، وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل، وأبي سهل بن عبد الله التستري... وساق أدلة كل فريق.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والعمدة قوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ فإنه يعم حجبهم عن ربهم في جميع ذلك اليوم، وذلك اليوم ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين] وهو يوم القيامة، فلو قيل: إنه يحجبهم في حال دون حال لكان تخصيصًا للفظ بغير موجب، ولكان فيه تسوية بينهم وبين المؤمنين، فإن الرؤية لا تكون دائمة للمؤمنين، والكلام خرج مخرج بيان عقوبتهم بالحجب وجزائهم به، فلا يجوز أن يساويهم بالمؤمنين في عقاب ولا جزاء سواء، فعلم أن الكافر محجوب على الإطلاق بخلاف المؤمن، وإذا كانوا في عرصة القيامة محجوبين فمعلوم أنهم في النار أعظم حجبًا، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾ [الإسراء] وقال تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه] وإطلاق وصفهم بالعمى ينافي الرؤية التي هي أفضل أنواع الرؤية[(١)].

قوله: «... والْمُكَذِّبِ»:

يُحجب أيضًا عن «المكذب» برؤيته وتكليمه لعباده المتقين، وكما أشار الإمام عبد الله بن المبارك في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٨، ٥٠٢) باختصار.

لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

[المطففين]، قال: «بالرؤية» كما ذكره ابن أبي الدنيا[1].

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٢٦١).

الباب الخامس
في ذكر النبوة ومتعلقاتها

ذكر النبوة ومتعلقاتها

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٠- ومن عَظِيم منَّةِ السَّلامِ ولطفهِ بسائر الأنامِ

١٣١- أن أرشَدَ الخلق إلى الوصولِ مبينًا للحقِّ بالرسولِ

الشرح

المَنُّ لغة: قال الزجاج: جملة المنُّ في اللغة، ما يَمُنُّ الله عز وجل به مما لا تعب فيه ولا نصب(١).

أي: أن من عظيم منن وإحسان الله «السلام» وهو من أسمائه تعالى، ومعناه: ذو السلامة من كل عيب ونقص(٢)، فله الكمال في الأسماء والصفات والأفعال والأقوال.

قوله: «ولطفه...»:

أي رفقه ورحمته «بسائر الأنام» أي: بجميع الخلق، «أن أرشد» أي: هدى ودل «الخلق» والمقصود الخلق المكلف وهما الثقلان؛ الإنس والجن «إلى الوصول» أي إلى معرفته وعبادته وتوحيده.

قوله: «مبينًا للحقِّ»:

أي: مظهرًا وموضحًا لمنهج الحق بالرسول ﷺ، وإرسال الرسل أمر ضروري للعباد، لا غناء لهم عنه في معاشهم ومعادهم، وحاجتهم إليه فوق

---

(١) اللسان (٨/ ٣٧٧).

(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٤٥).

حاجتهم إلى الطعام والشراب، فهم روح العالم وحياته وهم حجة الله على عباده.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء]، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء].

ويجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع على ألسنتهم. قاله ابن قاسم.

ثم قال صاحب النظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٣٢- وشرطُ من أُكرمَ بالنبوةِ	حريةٌ ذكورةٌ كقوةِ
١٣٣- ولا تُنال رتبةُ النبوةِ	بالكسبِ والتهذيبِ والفتوة
١٣٤-لكنها فضلٌ من المولى الأجَلّ	لمن يَشا من خلقهِ إلى الأجَلْ

الشرح

والنبوة لها شروط، وقد بين المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئًا منها، فقال: «وشرط من أُكرم بالنبوة حرية» شرط: مبتدأ، حرية: خبره، من أكرم: أي من أكرمه الله وفضله بالنبوة: أي بالرسالة، فالرسالة إذًا إكرام من الله تعالى للعبد، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومن المعلوم أن أعلى أصناف بني آدم هم الرسل عليهم الصلاة والسلام، فالرسالة كرامة من الله عز وجل، سواء تمكن الرسول من بث رسالته وانتفع به الخلق أم لم يتمكن، فإن الرسول ﷺ رأى الأنبياء، رأى النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، وكلهم مكرمون، لكن لا شك أن مَنْ مَنَّ الله عليهم بكثرة الأتباع أعظم إكرامًا ممن دون ذلك.

وقوله: «وشرط من أكرم بالنبوة حرية ذكورة كقوة»:

شروط النبوة:

الشرط الأول: ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: «حرية» يعني شرطه أن يكون حرًّا لا رقيقًا، والرقيق هو المملوك، والعبد الذي يُباع ويشترى، فهذا لا يكون نبيًّا ولا رسولًا، وذلك لأن الرق وصف نازل عن الحرية فالرقيق مملوك يملكه سيده، يباع ويشترى ويستخدم فلا يمكن أن يكون هذا قائدًا؛ لأنه هو نفسه مقود، فكيف يكون قائدًا، إذا لابد أن يكون النبي حرًّا..

الشرط الثاني: قال: «ذكورة» فالنساء ليس منهن رسول؛ لأنهن لسن أهلًا لتحمل هذه القيادة العظيمة، والرسول ﷺ قال: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»[١].

ولو بالانتخاب، فإذا انتخبوا امرأة فإنهم لن يفلحوا، فكيف يمكن أن تكون امرأة رسولًا؟ ثم لو قدر أنها صارت نبيًّا، والنبي هو الذي يصلي بقومه، فإذا جاءها الحيض فلن تصلي؛ إذًا فلا يصح إطلاقًا أن تكون نبيًّا، لكن يصح أن تكون عالمةً، وهذا هو الدليل العقلي.

أما الدليل السمعي: فلقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ٧] فأخبر تعالى أنه لا يرسل إلا رجالًا، لا ملائكة، ولا إناثًا.

فإن قال قائل: إن هناك أقوامًا ولّوا أمرهم نساء وأفلحوا، فما الجواب عن ذلك؟

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٥) كتاب المغازي.

فالجواب عنه من أحد وجوه:

الوجه الأول: إما أن يراد بقول النبي ﷺ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**» يعني أولئك القوم، فيكون خاصًّا بهم، وإذا كان خاصًّا فليس هناك إشكال.

الوجه الثاني: أن يُقال: إن المرأة لن تتولى الأمر على وجه الإطلاق، بل الذي يدبر الأمر غيرها، لكن لها الرئاسة اسمًا لا حقيقة.

الوجه الثالث: أن يُقال: هؤلاء القوم لو أنهم ولّوا رجلًا لكان أفلح لهم، ويكون المراد بالنفي: «لن يفلح قوم...» نفي الفلاح التام، فيقال: هؤلاء القوم لو أنهم ولّوا رجلًا لكان أفلح لهم.

الوجه الرابع: أن يقال: إن قول النبي ﷺ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ**» هذا بناء على الأغلب والأكثر، وإلا فقد يفلحوا.

فهذه أربعة أوجه في الجواب عن هذا الحديث، والله أعلم.

والشرط الثالث: قال: «كقوة» يعني أن يكون عنده قدرة وقوة على إبلاغ الرسالة، فالقوة الطاقة والجمع قوى، فلا يمكن أن يكون أصم، ولا يمكن أن يكون أبكم لا يتكلم، ولا يمكن أن يكون مُنهك القوى البدنية، بل لا بد أن يكون عنده قوة؛ لأن إرسال مَن ليس ذا قوة عبث يُنزه الله عنه، فلا بد أن يكون النبي ذا عقل صحيح، وفهم رجيح، وعلم بالأمور الدينية، حسن الخَلْقِ والخُلُق ليسهل عليه تحمل الخلق في مخالطاتهم وتعليمهم لأمور الديانة، فإن الأنبياء منزهون عن جميع الرذائل من البخل والجبن واللهو واللغو وسائر الأخلاق الذميمة[1].

---

(١) «لوامع الأنوار البهية» (٢ / ٢٦٦).

ولا يشترط أن يكون ذا سيادة في قومه، لكن في الغالب أنه يكون ذا سيادة في قومه، لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [هود: ٩١] وهذا هو الغالب، وقد لا يكون ذا شرف في قومه وسيادة، لقول لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝٨٠﴾ [هود] كقبيلة مانعة لمنعتكم، وهذا بحسب الأسباب المحسوسة، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله، الذي لا يقوم لقوته أحد(١).

وقوله:

«ولا تُنال رتبةُ النبوةِ بالكسبِ والتهذيبِ والفتوة»

بضم أوله، أي: لم تُعط، «رتبة» نائب فاعل، والرتبة: المنزلة، «النبوة» وكذا الرسالة، «بالكسب» الجد والاجتهاد وتكلف أنواع العبادات وتهذيب النفوس.

«و» لا تنال بـ «التهذيب» أي: تنقية البدن وتصفية الأخلاق من الرذائل، والاتصاف بالفضائل، «و» لا تنال بـ «الفتوة» التي هي كرم النفس، وتخليصها من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف الممدوحة، قاله ابن مانع.

وقوله:

«لكنها فضلٌ من المولى الأجلّ لمن يشا من خلقهِ إلى الأجل»

أي: لكن النبوة وكذا الرسالة فضلٌ من المولى الأجل سبحانه وتعالى، يؤتيه لمن يشاء، أي: يكرم بالنبوة من خلقه من اصطفاه لها: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فلا يبلغها أحد بعلمه، ولا يستحقها

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٨٦).

بكسبه، ولا ينالها عن استعداد ولايته.

ومن زعم أنها مكتسبة فهو زنديق مخالف للكتاب والسنة؛ لأن مقتضي كلامه أنها باقية لا تنقطع، وهو خلاف ما دلنا عليه نبينا ﷺ، فإن محمدًا ﷺ خاتم النبيين.

«إلى الأجل» أي: أن النبوة فضل من الله يمنّ بها على من يشاء، وكان ذلك ممتدًا من آدم إلى أن بعث الله خاتم النبيين محمدًا ﷺ. قاله ابن قاسم.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٣٥- ولم تزل فيما مضى الأنباءُ ... من فضلهِ تأتي لمن يشاء

١٣٦-حتى أتى بالخاتم الذي ختم ... به وأعلانا على كلّ الأمم

الشرح

ولم تزل الأنباء-أي:الأنبياء- في الزمن الذي مضى من الأزمان، من فضل الله ولطفه، تأتي بإبلاغ الشرائع، وإيضاح السبل لمن يشاء من الأمم الماضية، والقرون الخالية، فلم تخل الأرض من داع يدعو إلى الله، من لدن آدم إلى أن بُعث محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي خَتم الله به النبيين والمرسلين، وأكمل به الدين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وفي الصحيحين عنه قال: «وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»[(١)] فلا نبي بعده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»[(٢)].

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) وغيرهما، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٤٩-٢٧٦٧).
(٣) أخرجه مسلم (٥١-٢٧٦٧).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أما رواية (يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب) فمعناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم، ويضع علي اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولابد من هذا التأويل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.. لكن لما أسقط سبحانه وتعالى عن المسلمين سيئاتهم وأبقى علي الكفار سيئاتهم، صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الإثم الباقي، وهو إثمهم.

ويحتمل أن يكون المراد أثامًا كان الكفار سببًا فيها؛ بأن سنّوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى، ويوضع علي الكفار مثلها، لكونهم سنوها، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها، والله أعلم[(١)].

«وأعلانا» أي: معشر أمة هذا النبي الكريم على كل الأمم الماضية، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: عدلًا خيارًا، وجعل علماءهم كأنبياء بني إسرائيل يحفظون ما أتى به هذا النبي الكريم ويبلغونه أمته، تقوم بهم حجة الله على خلقه، وفي الصحيحين: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»[(٢)].

وفي الصّحيحين: «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٣)] وفيهما أيضًا:

---

(١) مسلم بشرح النووي (٩/ ٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٠) وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(١).

وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته وهم أسبق الأمم خروجًا من الأرض، وإلى ظل العرش، وإلى الفَصل والقضاء، والجواز على الصراط، وعنه ﷺ: «أَنْتُمْ مُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ»(٢) صحّحه أحمد وغيره، قاله ابن قاسم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٠١)، وأحمد في المسند (٥/ ٣)، والحاكم (٦٩٨٧)، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٠١).

فصل

في التنبيه على بعض خصائصه ﷺ وهي كثيرة جدًّا

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٧- وخصَّه بذاكَ كالمقامِ ... وبعثه لسائرِ الأنامِ

١٣٨- ومَعجزٍ القرآنِ كالمعراجِ ... حقًّا بلا مينِ ولا اعوجاجِ

١٣٩- فكم حباه ربُّهُ وفضَّلَه ... وخصَّهُ سبحانهُ وخوَّلَه

الشرح

أي: خصه الله تعالى دون سائر الأنبياء والمرسلين «بذاك» أي: بكونه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده، كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال ﷺ: «وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»(١)، وقد سبق بيان أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان لا ينافي أنه ﷺ خاتم النبيين؛ لأن عيسى لا يحكم إلا بشريعته ولا يقبل إلا الإسلام، وقد سبق بيان ذلك(٢).

«كالمقام» ومما خص الله تعالى به نبينا ﷺ المقام المحمود وهي الشفاعة العظمى، كما قال جمهور أهل العلم.

وقوله: «وبعثه لسائر الأنام...»:

وهذا من خصائصه ﷺ أن الله تعالى بعثه للثقلين المكلفين الإنس

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) راجع شرح البيت الثامن بعد المائة.

والجن، وكان النبي يرسل إلى قومه خاصة، ولكن رسول الله ﷺ بعثه الله للناس عامة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال سبحانه ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وكما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»[(١)].

وقوله: «ومعجز القرآن»:

أي: أن الله جل في علاه خص نبينا ﷺ بالقرآن، والقرآن معجز، فالعرب أهل فصاحة وبلاغة ومع هذا فقد تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور من مثله، أو حتى بأقصر سورة منه، فعجزوا، قال الله عز وجل: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ ﴾ [الإسراء] وقوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ [هود: ١٣] وقوله: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالقرآن العظيم معجزة من وجوه كثيرة من فصاحته، وبلاغته، ونظمه، وتراكيبه، وأساليبه، وما تضمنه من الإخبار بالغيوب

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨) ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

الماضية والمستقبلة، وما اشتمل عليه من الأحكام المحكمة الجلية، فالتحدِّي ببلاغة ألفاظه يخص فصحاء العرب، والتحدِّي بما اشتمل عليه من المعاني الصحيحة الكاملة- وهي أعظم في التحدي عند كثير من العلماء- يعم جميع أهل الأرض من الملتين- أهل الكتابين- وغيرهم من عقلاء اليونان والهند والفرس والقبط وغيرهم من أصناف بني آدم في سائر الأقطار والأعصار(١).

فائدة:

معجزات الأنبياء الأفضل أن تسمى بالآيات كما ذكر الله تعالى(٢).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: لكن هنا ملاحظة على قول المؤلف: (ومعجز القرآن) هذا من باب إضافة الصفة إلى موصوفها لأن المعنى: والقرآن المعجز، وكان ينبغي له ألا يُعبر عن آيات الأنبياء بالإعجاز؛ لأن الإعجاز ليس من خصائص الأنبياء، فإن الساحر يُعجز والبهلواني يعجز، فلما كان اللفظ مشتركًا بين الحق والباطل كان الأولى أن نأتي بلفظ يتعين فيه الحق، وهو ما نطق الله به، وهو (الآيات) كما قال الله تعالى في القرآن ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، فالأولى أن يقول: آيات القرآن، بدل: معجز القرآن، والأولى في جميع ما يسمى بمعجزات الأنبياء أن نسميه آيات الأنبياء؛ لأن الآيات بمعنى العلامات الدالة على صدقه»(٣).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ١٧٦).

(٢) راجع: النبوات لابن تيمية (ص: ١٣) وما بعدها.

(٣) شرح السفارينية (ص: ٥٥٥).

ولا يجوز أن ننكر على من سمى آيات الأنبياء بمعجزات الأنبياء، فقد استعمل السلف -يرحمهم الله- لفظ المعجزة وهذا واضح باستقراء كتبهم، وابن تيمية استعمل لفظ المعجزة، ولكن الأولى قول آيات بدل معجزات، والله أعلم.

وقوله: «كالمعراج حقًّا بلا مين ولا اعوجاج»:

عرج: عَرَجَ في الدرجة والسُلّم يعرُج عروجًا إذا ارتقى.

والمعراج: السلم، ومنه ليلة المعراج، والجمع معارج ومعاريج، مثل مفتاح ومفاتيح(١).

ولذلك قال كالمعراج حقًّا ثابتًا بلا امتراء ولا كذب ولا ريب ولا اعوجاج.

فمن خصائص الرسول ﷺ أنه عُرج به إلى السماء السابعة إلى أن بلغ سدرة المنتهى، ووصل إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، فكان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء]. وقال جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم].

وعن جابر بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: سَمِعتُ رسُولَ الله ﷺ يقول: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ**

(١) الصحاح (ص:٦٨٦).

عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»[١].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ، - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الحِجْرِ - مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ، وَفَوْقَ الحِمَارِ أَبْيَضَ، - فَقَالَ لَهُ الجَارُودُ: هُوَ البُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ - يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠).

مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا

خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى

مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»[١].

ومن الأهمية بمكان ذكر مباحث تتعلق بهذه المسألة.

المبحث الأول: إثبات أن الإسراء والمعراج وقعا مرة واحدة في ليلة واحدة في اليقظة بروح وجسد النبي ﷺ:

اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة؛ فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل.

وقال بعض المتأخرين: كانت قصة الإسراء في ليلة، والمعراج في ليلة متمسكين بما ورد في حديث أنس من رواية شريك من ترك ذكر الإسراء، وكذا ظاهر حديث مالك بن صعصعة هذا، ولكن ذلك لا يستلزم التعدد بل هو محمول على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر.

وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان في اليقظة والمعراج كان في المنام، والاختلاف الحاصل في كونه يقظة أو منامًا خاصٌّ بالمعراج لا بالإسراء... ويؤيد وقوع المعراج عقب الإسراء في ليلة واحدة، رواية ثابت عن أنس عند مسلم، ففي أوله: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ» فذكر القصة إلى أن قال: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (162).

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن إسْحَاقَ: «**لَمَّا فَرَغْتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أُتِيَ بِالْمِعْرَاجِ**»، فذكر الحديث[(١)].

ووقع في أول حديث مالك بن صعصعة أنّ النبي ﷺ حدّثهم عن ليلة أسري به، فذكر الحديث، فهو وإن لم يكن فيه الإسراء إلى بيت المقدس فقد أشار إليه وصرح به في روايته، فهو المعتمد، قاله الحافظ ابن حجر[(٢)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: بل أُسري بجسده وروحه، وعرج بهما حقيقة في اليقظة لا منامًا ولا استغراقًا[(٣)].

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: ومما خص الله عز وجل به النبي ﷺ مما أكرمه به وعظم شأنه زيادة منه له في الكرامة، أنه أُسري بمحمد ﷺ بجسده وعقله حتى وصل إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماوات فرأى من آيات ربه الكبرى، رأى ملائكة ربه عز وجل، ورأى إخوانه من الأنبياء، حتى مولاه الكريم، فأكرمه بأعظم الكرامات وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات، وذلك بمكة في ليلة واحدة... وساق الأدلة من الكتاب والسنة كما تقدم[(٤)].

قال الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: قال بعض العلماء: قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، سبحان ههنا للتعجب؛ فوجب أن يحمل

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٤٠٣).

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٣٧، ٢٣٨) باختصار.

(٣) فتح الباري (٨/ ٤٧٥).

(٤) الشريعة (٣٧٧).

على ما هو أعجب، ولو كان عرج بروحه دون بدنه لم يكن فيه كبير عجب؛ لأن الرجل قد يرى في منامه أنه عرج به إلى السماء، فإذا أخبر به لم يتعجب منه، ولم يُنسب إلى الكذب.

وقال أبو حامد المقري رَحِمَهُ اللَّهُ: لو كان ذلك في النوم لما كان دلالة على النبوة، إذ مثل ذلك جائز على غير الأنبياء أن يروها في النوم ولا معنى لرد ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ[١].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره أقوال العلماء في المسألة: والحق من هذا والصحيح - إن شاء الله - أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدلّ الآية وصحيح الأخبار والاعتبار، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، إذ لو كان منامًا لقال: بروح عبده، ولم يقل: «بعبده» وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم] لو كان منامًا لما كانت فيه آية ومعجزة، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه[٢].

وهذا ما رجّحه أكثر العلماء منهم ابن كثير [٣] وابن القيم[٤] وغيرهما من المحققين من أهل السنة والجماعة، أن الإسراء والمعراج كان مرة واحدة في ليلة واحدة بجسد وروح النبي ﷺ، والله تعالى أعلم.

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢٦٣).
(٢) الشفا للقاضي عياض (١/ ١٢٤).
(٣) راجع: تفسير ابن كثير (٢/ ٦٢٣، ٦٢٤).
(٤) راجع: زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٣٩).

المبحث الثاني: هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج؟

اعتقاد أهل السنة والجماعة قاطبة أنه لن يرى اللهَ أحدٌ من المؤمنين في الدنيا، وحجتهم قول موسى عليه السلام كما في القرآن: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى (لن): قيل إنها لنفي التأبيد في الدنيا جمعًا بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة[(١)]، انتهى.

وعن ابن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ»[(٢)].

أما هذه المسألة ففيها نزاع بين السلف، فذهبت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ومَن وافقها أنَّ النبي ﷺ لم يَرَ الله ليلة المعراج، وحُجَّتهم في ذلك حديث أبي ذَرٍّ أنه قال: سَأَلتُ رَسُولَ الله ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[(٣)].

وفي رواية: «رَأَيْتُ نُورًا»[(٤)].

و عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ؛ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَّا

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣١) وغيره.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨) وغيره من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (١٧٨-٢٩٢) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام]، ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ [لقمان: ٣٤]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧] الآيَةَ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ»(١).

وفي رواية، قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ»(٢).

وفي رواية: عن مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم] قَالَتْ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الأُفُقَ»(٣).

ومذهب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومن وافقه أنَّ النبي ﷺ رأى رَبَّه ليلة المعراج، وحُجَّتهم في ذلك قول ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَتعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَالْكَلَامُ لِمُوسَى، وَالرُّؤْيَةُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (١٧٧) مطولًا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣٥)، ومسلم (١٧٧).

(٤) أخرجه ابن خزيمة (٢٧٢)، والآجري (ص: ٤٩١) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (١٤٥)، واللالكائي (٩٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٣٣، ٢/ ٣٠٩، =

وعن عِكْرِمَةَ: سُئِلَ ابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ قال: «نَعَمْ»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم] قال: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»(٢).

وثم قول ثالث: هو التوقف عن القطع بالنفي أو الإثبات في هذه المسألة، وقد رجح هذا جماعة منهم القرطبي في المفهم شرح مسلم(٣).

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية، قال: والحجج في هذه المسألة وإن كانت كثيرة لكنا لا نتمسك إلا بالأقوى منها، وهو حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.... وساق الأحاديث عن ابن عباس كما تقدم، ثم قال: والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة، والمرجوع إليه في المعضلات، وقد راجعه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه المسألة وراسله: هل رأى

=

٥٠٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٠٨): أخرجه النسائي بإسناد صحيح. وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٤٢)، وصححه الألباني.

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٧٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٧٣)، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (٩٢٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٣٧)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥-١٧٦).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٧٠).

محمد ﷺ ربه؟ فأخبره أنه رآه، ولا يقدح في هذا حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول: لم أر ربي، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا ﴾ [الشورى: ٥١]، ولقول الله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والصحابي إذا قال قولًا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية، وجب المصير إلى إثباتها، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد، وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس، ثم إنّ ابن عباس أثبت شيئًا نفاه غيره، والمثبت مقدَّم على النافي(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكر خلاف العلماء: فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء: أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء؛ لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ، هذا مما لا ينبغي أن يُتشكك فيه، ثم إن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته، وإنما

---

(١) انظر: شرح مسلم للنووي (٢/ ١٠، ١١).

اعتمدت الاستنباط من الآيات(١).

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن ذكر حديث عائشة المتقدم وغيره-: أكثر ما في هذا أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وأبا ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد اختلفوا: هل رأى النبي ﷺ ربه؟ فقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: لم ير النبي ﷺ ربه، وقال أبو ذر وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: قد رأى النبي ﷺ ربه، وقد أعلمت في مواضع في كتبنا أن النفي لا يوجب علمًا، والإثبات هو الذي يوجب العلم، لم تحكِ عائشة عن النبي ﷺ أنه أخبرها أنه لم ير ربه- عز وجل- وإنما تلت قوله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقوله: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١] ومن تدبر هاتين الآيتين وَوُفِّق لإدراك الصواب علم أنه ليس في واحدة من الآيتين ما يستحق رمي مَن قال: «إن محمدًا رأى ربه» بالفرية على الله، فكيف بأن يقول: قد أعظم الفرية على الله؟!...

إلى أن قال: فقد ثبت عن ابن عباس إثباته أن النبي ﷺ قد رأى ربه، وبيقين يعلم كل عالم أن هذا من الجنس الذي لا يدرك بالعقول والآراء والجنان والظنون، ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة، إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى، ولا أظن أحدًا من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس قال: رأى النبي ﷺ ربه برأي وظن، لا، ولا أبو ذر، لا، ولا أنس بن مالك، نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر اختلاف عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وابن عباس

---

(١) المصدر السابق.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه المسألة: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس، نقول: عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله، عالمة، فقيهة، كذلك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ابن عم النبي ﷺ قد دعا النبي ﷺ له أن يرزق الحكمة، وهذا المعني من الدعاء، وهو المسمى بترجمان القرآن[١]، ومَن كان الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأله عن بعض معاني القرآن فيقبل منه وإن خالفه غيره ممن هو أكبر سنًّا منه وأقدم صحبة للنبي ﷺ، وإذا اختلفا فمحال أن يقال: قد أعظم ابن عباس الفرية على الله؛ لأنه قد أثبت شيئًا نفته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والعلماء لا يطلقون هذه اللفظة وإن غلط بعض العلماء في معنى آية من كتاب الله أو خالف سنة أو سننًا من سنن النبي ﷺ لم تبلغ المرء تلك السنن، فكيف يجوز أن يقال: أعظم الفرية على الله، مَن يثبت شيئًا لم ينفه كتاب ولا سنة، فتفهموا هذا، لا تغالطوا...

وقد كنت قديمًا أقول: لو أن عائشة حكت عن النبي ﷺ ما كانت تعتقد في هذه المسألة أن النبي ﷺ لم ير ربه جل وعلا- وأن النبي ﷺ أعلمها ذلك، وذكر ابن عباس وأنس بن مالك، وأبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن النبي أنه رأى ربه، لعلم كل عالم يفهم هذه الصناعة أن الواجب من طريق العلم والفقه قبول قول من روي عن النبي ﷺ أنه رأى ربه، إذ غيرجائز أن تكون عائشة سمعت النبي ﷺ يقول: لم أر ربي، قبل أن يرى ربه عز وجل، ثم تسمع

---

(١) روي عن النبي ﷺ أنه دعا لابن عباس فقال: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ**» رواه البخاري (٧٥)، وبلفظ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» البخاري (١٤٣)، وبلفظ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ**» البخاري (٣٧٥٦).

غيرها يثبت أن النبي ﷺ قد رأى ربه بعد رؤيته ربه، فيكون الواجب من طريق العلم قبول خبر من أخبر أن النبي ﷺ رأى ربه(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد اختلف السلف في رؤية النبي ﷺ ربه، فذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها، واختلف عن أبي ذر، وذهب جماعة إلى إثباتها، وحكى عبد الرزاق عن معمر، عن الحسن أنه حلف أن محمدًا رأى ربه، وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس، وجزم به كعب الأحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون، وهو قول الأشعري وغالب أتباعه.

ثم اختلفوا: هل رآه بعينه أم بقلبه؟

وعن أحمد كالقولين. قلت: جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها، فمن ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح وصحّحه الحاكم أيضًا من طريق عِكْرِمَةَ عن ابن عبَّاس، قال: «أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَالْكَلَامُ لِمُوسَى، وَالرُّؤْيَةُ لِمُحَمَّدٍ»(٢).

وأخرجه ابن خزيمة بلفظ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ، وَاصْطَفَى مُوسَى بِالْكَلَامِ، وَاصْطَفَى مُحَمَّدًا بِالرُّؤْيَةِ»(٣).

وأخرج ابن إسْحَاق من طريق عَبْد الله بن أبي سَلَمَة أنَّ ابن عُمَر أرْسَلَ

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (١٨٨-١٩٠) باختصار.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

إلى ابن عَبَّاس: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فأرْسَلَ إليه أنْ: «نَعَم»[١].

ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم] قال: «رَأى رَبَّه بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»[٢].

وله من طريق ابن عباس قال: «رَآهُ بِقَلْبِهِ»[٣].

وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عَطَاء أيضًا عن ابْنِ عَبَّاسٍ، قال: «لَمْ يَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبَّهُ بِعَيْنَيْهِ، إِنَّمَا رَآهُ بِقَلْبِهِ»[٤].

وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عبّاس ونفي عائشة؛ بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب، ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم؛ لأنه ﷺ كان عالمًا بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلًا، ولو جرت العادة بخلقها في العين.

وروى ابن خُزيمة بإسنادٍ قويٍّ عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ»[٥].

وعند مسلم من حديث أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سَألَ النبي ﷺ عَن ذلك فقالَ:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤ - ١٧٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٤٢١).

(٥) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٨٧).

«نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[(١)].

ولمسلم أيضًا عنه، قال: «رَأَيْتُ نُورًا»[(٢)].

ولابن خزيمة عنه قال: «رَآهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ»[(٣)].

وبهذا يتبين مراد أبي ذر بذكره النور؛ أي النور حال بين رؤيته له ببصره.

وقد رجح القرطبي في «المفهم» قول الوقف في هذه المسألة، وعزاه لجماعة من المحققين، وقوَّاه بأنه ليس في الباب دليل قاطع، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل، قال: وليست المسألة من العمليات فيُكتفى فيها بالأدلة الظنية، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي.

وجنح ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» إلى ترجيح الإثبات، وأطنب في الاستدلال له بما يطول ذكره، وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه، وفيما أوردته من ذلك مقنع.

ومن أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام أحمد، فروى الخلال في «كتاب السنة» عن المروزي، قلت لأحمد: إنهم يقولون إنّ عائشة قالت: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ»[(٤)]، فبأي شيء يدفع قولها؟ قال: بقول رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي»، قول رسول الله ﷺ أكبر من

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم (٣١٠).

(٤) صحيح: تقدم تخريجه.

قولها.

وقد أنكر صاحب «الهدي» -يقصد: ابن القيم- على من زعم أن أحمد قال: رأى ربه بعين رأسه، قال: وإنما قال مرة: رأى محمد ربه، وقال مرة: بفؤاده.

وحكى عنه بعض المتأخرين: رآه بعيني رأسه، وهذا من تصرف الحاكي، فإن نصوصه موجودة [(١)].

قال شمس الدين ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت شيخ الإسلام أحمد بن تيمية يقول في قوله ﷺ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**» [(٢)] معناه: كان ثمَّ نور، وحال دون رؤيته نور فأنى أراه؟ قال: ويدل عليه أنّ في بعض ألفاظ الصحيح: هل رأيت ربك؟ فقال: «**رَأَيْتُ نُورًا**» [(٣)].

وقد أعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس، حتى صحّفه بعضهم، فقال: «نورًا إني أراه» على أنها ياء النسب، والكلمة كلمة واحدة، وهذا خطأ لفظًا ومعنى، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله ﷺ رأى ربه وكان قوله: «**أَنَّى أَرَاهُ**» كالإنكار للرؤية، حاروا في الحديث، ورده بعضهم باضطراب لفظه، وكل هذا عدول عن موجب الدليل.

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه «الرد» له [(٤)] إجماع

---

(١) فتح الباري (٨/ ٤٧٤-٤٧٥).

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٤) هو كتاب: «نقض الدارمي على بشر المريسي» (١٦٦، ١٦٧).

الصحابة على أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك، وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة فإن ابن عباس لم يقل: رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين، حيث قال: إنه رآه، لم يقل: بعيني رأسه، ولفظ أحمد كلفظ ابن عباس.

ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر: قوله ﷺ في الحديث الآخر: «**حِجَابُهُ النُّورُ**»[1] فهذا النور هو -والله أعلم- النور المذكور في حديث أبي ذر: «**رَأَيْتُ نُورًا**»[2].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الرؤية، فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: «رَأَى مُحَمَّد رَبَّه بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»[3] وعائشة أنكرت الرؤية، فمن الناس مَن جمع بينهما، فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد.

والألفاظ الثابتة عن ابن عبّاس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول: رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه.

وكذلك الإمام أحمد، تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول: رآه بفؤاده، ولم يقل أحد إنه سمع أحمد يقول: رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين، كما سمع بعض الناس مطلق

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) وغيره من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) احتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص (١٢- ١٣)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٥٠٨، ٥٠٩)، وزاد المعاد (٣/ ٣٥).

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه.

كلام ابن عباس ففهموا منه رؤية العين.

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل؛ كما في صحيح مسلم عن أَبِي ذَرٍّ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فقال: «نُورٌ، أَنَّى أَرَاهُ»(١).

وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء] ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وكذلك قوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم] ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ»(٢)، وهذه «رؤيا الآيات»؛ لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج، فكان ذلك فتنة لهم؛ حيث صدقه قوم وكذبه قوم، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر دونه(٣)، انتهى كلامه.

وهذا هو الراجح عندي، لموافقته نصوص الكتاب والسنة كما تقدم،

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٨) وغيره.

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٠، ٥١١).

والله تعالى أعلم وأعلى.

المبحث الثالث: متى كان الإسراء والمعراج؟

وهـل يشـرع الاحتفـال بليلـة الإسـراء والمعـراج إن صـح تعيـين تاريخها؟

لم يرد حديث صحيح في تعيين ليلة الإسراء والمعراج، والـذي اشـتهر عند الناس أنها ليلة سبع وعشرين مـن رجـب لا يصـح، أمـا الاحتفـال بليلـة الإسراء والمعراج، فهو من البدع المحدثة التي لـم يـأمر بها رسـول الله ﷺ أمر إيجاب أو استحباب، ولم يحتفـل بهـا الصـحابة رضي الله عنهم ولا التـابعون لهـم بإحسان.

قال القرطبي رحمه الله في معرض شرحه لسورة الإسراء: المسـألة الثانيـة: في تاريخ الإسراء، وقد اختلف العلماء في ذلك على ابن شـهاب، فـروى عنـه موسى بن عقبة أنه أُسري بـه إلـى بيـت المقـدس قبـل خروجـه إلـى المدينـة بسنة، وروى عنه يونس عن عروة عن عائشة قالت: تُوفيت خديجـة قبـل أن تفرض الصلاة.

قال ابن شهاب: وذلك بعـد مبعـث النبـي ﷺ بسـبعة أعـوام، وروي عـن الوقاصي قال: أسري به بعد مبعثه بخمس سنين.

وقال ابن إسحاق: أسري به من المسجد الحـرام إلـى المسـجد الأقصـى وهو بيت المقدس، وقد فشا الإسلام في مكة في القبائل.

وروى عنه يونس بن بكير، قال: صلت خديجة مع النبي ﷺ وسيأتي.

قال أبو عمر: وهذا يدلك على أن الإسراء كان قبل الهجرة بـأعوام؛ لأن

خديجة توفيت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: بثلاث، وقيل بأربع، وقول ابن إسحاق مخالف لقول ابن شهاب، على أن ابن شهاب قد اختلف عنه كما تقدم.

قال الحربي: أسري به ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة، وقال أبو بكر محمد بن علي بن القاسم الذهبي في تاريخه: أسري به من مكة إلى بيت المقدس، وعرج به إلى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهرًا.

قال أبو عمر: لا أعلم أحدًا من أهل السير قال ما حكاه الذهبي، ولم يسند قوله إلى أحد ممن يضاف إليه هذا العلم منهم، ولا رفعه إلى من يحتج به عليهم[(١)].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ -في معرض ذكر أقوال أهل العلم في تاريخ ليلة الإسراء والمعراج-:

وقال الواقدي: ليلة سبعة عشر من ربيع الأول.

وقال الحربي: ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر.

وقال ابن قتيبة: بعد سنة ونصف من رجوعه من الطائف.

وقال القاضي عياض: بعد البعثة بخمسة عشر شهرًا.

وقال ابن فارس: فلما أتت عليه إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به.

وعن السدي: كان قبل الهجرة بستة أشهر، حكاه عنه ابن سالم في

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢١٥، ٢١٦).

«ناسخه».

وقال ابن الجوزي في «الوفا»: كان قبل الهجرة بثمانية أشهر، وقيل: كان ليلة سبع وعشرين من رجب.

وعند ابن الأثير: قبل الهجرة بثلاث سنين... وذكر أقوالًا أخر[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر جملة من أقوال العلماء في تاريخ الإسراء والمعراج وردّه على من ادعى أنه كان قبل البعثة:

وأشبه هذه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق، إذ لم يختلفوا أن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صلت معه ﷺ بعد فرض الصلاة عليه، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة قيل: بثلاث سنين، وقيل: بخمس، ومنها أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء، فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه؟![(٢)].

وهل رأى النبي ﷺ الجنة والنار ليلة الإسراء والمعراج؟

نعم رأى رسول الله ﷺ الجنة ودخلها، ورأى النار، وأدلة ذلك أحاديث، نذكر منها:

حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تقدّم أوّل المسألة بطوله، وفيه «**ثُمَّ انْطَلَقَ جبريلُ حَتَّى أَتَى بِي سِدْرَةَ المُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ**»، قال: «**ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ**[(٣)] **اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ**»[(١)].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٩/ ٦٠، ٦١).

(٢) شرح مسلم للنووي (١/ ٤٩٥).

(٣) جنابذ: بالجيم المفتوحة وبعدها نون مفتوحة ثم ألف ثم باء موحدة ثم ذال معجمة وهي: القباب، واحدتها جنبذة، ووقع في كتاب الأنبياء من صحيح

وعن أَنس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ»(٢).

وعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»(٣).

وقوله:

فكـــم حبـــاه ربُّـــه وفضـــله ... وخصَّـــه ســـبحانه وخوَّلـــه

الحباءُ لغة: العطاء(٤).

وخوّل: أي ملَّك، قال الجوهري: خول: الخائلُ: الحافظ للشيء، يُقال: فلان يَخُولُ على أهله، أي يرعى عليهم، وخوَّلَهُ اللهُ الشيء، أي ملكه إياه(٥).

=

البخاري كذلك، ووقع في أول كتاب الصلاة منه (حبائل) بالحاء المهملة والباء الموحدة وآخره لام، قال الخطابي وغيره: هو تصحيف، والله أعلم- مسلم بشرح النووي (١/ ٥٠٢).

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨١).

(٣) سنن أبي داود (٤٨٧٨)، ومسند أحمد (٣/ ٢٢٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٣٣).

(٤) الصحاح للجوهري (٢٠٣).

(٥) الصحاح (٣٢٣) مادة (خول).

يعني: ما أكثر ما أعطاه الله تبارك وتعالى لنبينا ﷺ وكرّمه وفضله وخصه بخصائص لم تكن لنبي قبله، منها ما ذكرناه في شرح الأبيات السابقة، ومنها ما سنذكره قريبًا بإذن الله تعالى، وقد صنّف العلماء كتبًا ذكروا فيها من خصائص وفضائل النبي ﷺ[1].

---

(١) «الشمائل المحمدية» للترمذي، و«زاد المعاد» لابن القيم، و«الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير، و«السيرة النبوية» لابن كثير، و«بداية السُّول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام، و«غاية السُّول في خصائص الرسول» لابن الملقن، و«دلائل النبوة» للبيهقي، وغيرها، وينبغي التنبيه على أن هذه الكتب وغيرها من كتب السيرة تحتاج إلى تحقيق الأخبار والآثار.

فصل
في التنبيه على بعض معجزاته ﷺ

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٠- ومعجـزات خـاتم الأنبيـاء كثيــرة تجــلُّ عــن إحصــاءِ

١٤١- منها كلامُ الله معجزُ الـورى كـذا انشقاقُ البـدر مـن غيـر امتـرا

الشرح

المعجزة لغة: بفتح الجيم وكسرها، مفعلة من العجز: عدم القدرة، وفي الحديث: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ»(١).

والمعجزةُ: واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام(٢).

ومن معجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة(٣).

قال ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: المعجزة اسم فاعل، مأخوذة من العجز المقابل للقدرة، ومعجزة النبي: ما أعجز به الخصم عند التحدي(٤).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: يسميها النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك، وإذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولم يكن لفظ المعجزات موجودًا في

---

(١) أخرجه مسلم (١٨ - ٢٦٥٥)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) اللسان (٦/ ٩٧، ٩٨) مادة (عجز).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٦٦٣).

(٤) شرح السفارينية لمجموعة من العلماء (ص: ٧٣٥).

الكتاب ولا في السنة[١].

وقوله: «كثيرة تجلُّ عن إحصاءِ»:

أي: عن عدي وحفظي لكثرة أفرادها وتنوعها، من الأقوال والأفعال، التي ما سبقت لنبي من الأنبياء، ولم يبلغ أحد منهم ما بلغه ﷺ من أعلام نبوته، ولم يؤت أحد منهم آية أو فضيلة إلا وله ﷺ مثلها وزيادة، وهو دليل على مزيد التشريف والتكريم والاهتمام بشأنه[٢].

وقوله: «منها كلامُ الله مُعجز الورى»:

أي: من معجزات النبي ﷺ «كلام الله» القرآن الذي هو كلام الله تبارك وتعالى سمعه جبريل من رب العالمين، وسمعه النبي ﷺ من جبريل، «معجز الورى» أي: معجز الخلق جميعًا؛ إنسهم وجنّهم عربهم وعجمهم أولهم وآخرهم، وقد سبق بيان أن الله جل في علاه تحدى الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثل القرآن، وأعجز العرب - أهل البلاغة - على أن يأتوا بعشر سور مثله أو بسورة واحدة كسور القرآن، فآيات الكتاب فيها من المعجزات ما لا يحصى.

مبحث: الفرق بين معجزات الأنبياء والسحر:

تقدم بيان معنى السحر لغة واصطلاحًا[٣]، وكذلك بيان معنى المعجزة، والفروق بينهما كبيرة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فالسحر أمر معتاد في بني آدم، كما أن النبوة معتادة فيهم، كما أن العقلاء معتادون في بني آدم، والمجانين معتادون

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤١٢).
(٢) المصدر السابق.
(٣) راجع شرح البيت التاسع والثمانين.

فيهم... فإذا قالوا عن شخص: إنه مجنون، فإنه يعلم هل هو من العقلاء أو من المجانين بنفس ما يقوله ويفعله، وكذلك يعرف هل هو من جنس الأنبياء أو من جنس السحرة..

فإذا أتى مدعي النبوة بالأمر الخارق للعادة الذي لا يكون إلا لنبي، لا يحصل مثله لساحر ولا كاهن ولا غيرهما، كان دليلًا على نبوته، وكل من الساحر والكاهن يستعين بالشياطين، فإن الكهان تنزل عليهم الشياطين تخبرهم، والسحرة تعلمهم الشياطين، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة].

والساحر: لا يتجاوز سحره الأمور المقدورة للشياطين كما تقدم بيانه، والساحر كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] فهم يعلمون أن السحر لا ينفع في الآخرة ولا يقرب إلى الله، وأن من اشتراه ما له في الآخرة من خلاق، فإن مبناه على الشرك والكذب والظلم، ومقصود صاحبه الظلم والفواحش..

وقد علم بصريح العقل مع ما تواتر عن الأنبياء أنهم حرموا الشرك،

فمتى كان الرجل يأمر بالشرك وعبادة غير الله أو يستعين على مطالبه بهذا وبالكذب والفواحش والظلم علم قطعًا أنه من جنس السحرة لا من جنس الأنبياء.

وخوارق هذا يمكن معارضتها وإبطالها من بني جنسه وغير بني جنسه، وخوارق الأنبياء لا يمكن غيرهم أن يعارضها، ولا يمكن أحدًا إبطالها، لا من جنسهم، ولا من غير جنسهم[(١)].

وقال في موضع آخر رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد تقدم ذكر بعض الفروق بين آيات الأنبياء وغيرهم، وبينها وبين غيرها من الفروق ما لا يكاد يحصى.

الأول: أن النبي صادق فيما يُخبر به عن الكتب، لا يكذب قط، ومن خالفهم من السحرة والكهان، لابد أن يكذب كما قال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء].

الثاني: من جهة ما يأمر به هذا ويفعله، ومن جهة ما يأمر به هذا ويفعله، فإن الأنبياء: لا يأمرون إلا بالعدل وطلب الآخرة، وعبادة الله وحده، وأعمالهم البر والتقوى، ومخالفوهم: يأمرون بالشرك والظلم ويعظمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان.

الثالث: أن السحر والكهانة ونحوهما: أمور معتادة معروفة لأصحابها، ليست خارقة لعادتهم، وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم، ولمن اتبعهم.

الرابع: أن الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلُّمِهِ وسعيه واكتسابه، وهذا مجرب عند الناس، بخلاف النبوة فإنه لا ينالها أحد باكتسابها.

---

(١) النبوات لابن تيمية (٣٨-٤٠) باختصار.

الخامس: أن النبوة لو قدّر أنها تُنال بالكسب، فإنما تنال بالأعمال الصالحة والصدق والعدل، والتوحيد، لا تُحصل مع الكذب على من دون الله، فضلًا عن أن تحصل مع الكذب على الله، فالطريق الذي تحصل به لو حصلت بالكسب مستلزم للصدق على الله فيما يخبر به.

السادس: أن ما يأتي به الكهان والسحرة، لا يخرج عن كونه مقدورًا للجن والإنس، وهم مأمورون بطاعة الرسل، وآيات الرسل لا يقدر عليها جن ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كل من أرسل النبي إليه ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

السابع: أن هذه يمكن أن تعارض بمثلها، وآيات الأنبياء لا يمكن لأحد أن يعارضها بمثلها.

الثامن: أن تلك ليست خارقة لعادات بني آدم، بل كل ضرب منها معتاد لطائفة غير الأنبياء، وأما آيات الأنبياء فليست معتادة لغير الصادقين على الله، ولمن صدَّقهم.

التاسع: أن هذه قد لا يقدر عليها مخلوق، لا الملائكة ولا غيرهم، كإنزال القرآن، وتكليم موسى، وتلك تقدر عليها الجن والشياطين.

العاشر: أنه إذا كان من الآيات ما يقدر عليه الملائكة فإن الملائكة لا تكذب على الله، ولا تقول لبشر إن الله أرسلك ولم يرسله، وإنما يفعل ذلك الشياطين، والكرامات معتادة في الصالحين منا ومن قبلنا، ليست خارقة لعادة الصالحين، وآيات الأنبياء خارقة لعادة الصالحين، وهذه تنال

بالصلاح بدعائهم وعبادتهم، ومعجزات الأنبياء لا تنال بذلك ولو طلبها الناس؛ حتى يأذن الله فيها ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ [الأنعام: ٣٧].

الحادي عشر: أن النبي قد تقدمه أنبياء، فهو لا يأمر إلا بجنس ما أمرت به الرسل قبله، فله نظراء يعتبر بهم، وكذلك الساحر والكاهن له نظراء يعتبر بهم.

الثاني عشر: أن النبي لا يأمر إلا بمصالح العباد في المعاش والمعاد، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيأمر بالتوحيد والإخلاص والصدق، وينهى عن الشرك والكذب والظلم، فالعقول والفطر توافقه، كما توافقه الأنبياء قبله فيصدقه صريح المعقول وصحيح المنقول الخارج عما جاء به، والله أعلم[1]، انتهى.

وقوله: «كذا انشقاقُ البدر من غير امترا»:

أي: وكذا من معجزاته ﷺ ودلائل نبوته انشقاق البدر، أي: القمر «من غير امترا» أي: من غير شك ولا مراء ولا مجادلة؛ لقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر] فقد انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: «سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ»[2].

وعن أنس أيضًا قال: «انْشَقَّ القَمَرُ فِرْقَتَيْنِ»[3].

---

(١) النبوات (١٨٠، ١٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٤٦-٢٨٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٦٨)، ومسلم (٤٧-٢٨٠٢).

وقد أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «انْشَقَّ القَمَرُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ»(١).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: آية انشقاق القمر من أمهات آيات نبينا ﷺ ومعجزاته، وقد رواها عدة من الصحابة، وظاهر الآية أيضًا وسياقها، وما بعدها من تمادي قريش على التكذيب، يشهد بصحتها لقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر](٢).

قال أبو إسحاق الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد أنكرها بعض أهل البدع، وضاهى في ذلك مخالفي الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل في جهتها، إذ هو خلق من خلق الله، يفعل به ما يشاء، كما يفنيه ويكوره آخر أمره(٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما قول بعض الملاحدة: لو وقع هذا لنقل متواترًا، واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته، ولم يختص بها أهل مكة، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل، ومعظم الناس نيام غافلون، والأبواب مغلقة، وهم متغطون بثيابهم فقلّ من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر، ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل، يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد، ولا علم عند غيرهم، لما ذكرناه وكان هذا الانشقاق آية حصلت في الليل لقوم سألوها، واقترحوا رؤيتها، فلم يتنبه غيرهم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٦)، ومسلم (٤٨-٢٨٠٣).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٨/ ٣٣٣).

(٣) المصدر السابق.

لها، قالوا: وقد يكون القمر كان حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي ظهرت لبعض الآفاق دون بعض، كما يكون ظاهرًا لقوم غائبًا عن قوم، كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد، والله أعلم[1]. انتهى.

ودلائل نبوته ﷺ كثيرة جدًّا، صنف فيها العلماء قديمًا وحديثًا مصنفات لبيان ما خص به رب العالمين نبينا ﷺ من آيات دالات على نبوته، منها: تكثيره للماء وللطعام عند الحاجة، وانقياد الشجر له ﷺ، وحنين الجذع شوقًا له، وتسبيح الحصى في كفه، وشكوى البعير له، وغير ذلك، ونذكر أدلة ذلك من السنة بأسانيد صحيحة عن رسول الله ﷺ.

تكثيره ﷺ للماء:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ العَصْرِ، فَالْتُمِسَ الوَضُوءُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ، فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ[2].

وعن البَرَاءِ بن عَازِبٍ قالَ: كُنَّا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا، حَتَّى لَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَفِيرِ البِئْرِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ وَمَجَّ فِي البِئْرِ، فَمَكَثْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ اسْتَقَيْنَا حَتَّى رَوِينَا، وَرَوَتْ، أَوْ صَدَرَتْ رَكَائِبُنَا[3].

تكثيره ﷺ اللبن والطعام في مواطن:

عن أبي هُرَيْرَةَ أنه كان يقول: آللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ

(١) مسلم بشرح النووي (٩/ ١٦٠).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٣)، ومسلم (٢٢٧٩).
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٧).

بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الحَقْ**» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «**مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟**» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ، قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي**» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قَالَ: «**يَا أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**» قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ**» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**اقْعُدْ فَاشْرَبْ**» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «**اشْرَبْ**»

فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ(١).

وعن ابن مَسْعُود قال: كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فقَالَ: «يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟» فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «اقْلِصْ» فَقَلَصَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ»(٢).

وعن أَنَس بْنَ مَالِكٍ قال: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلَاثَتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِطَعَامٍ» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللهُ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٧٩)، وابن أبي شيبة (١١/ ٥١٠)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ١٠٦).

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا عِنْدَكِ؟**» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا(١).

انقياد الشجر وتسبيح الحصى في كفه ﷺ وحنين الجذع شوقًا له ﷺ:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ، الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمَ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي جَمَعَهُمَا - فَقَالَ: «**الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فَالْتَأَمَتَا.

قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٤٠).

فَيَبْتَعِدَ[١].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأنصاري قال: كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ[٢].

وعن ابن مسعود قال: «كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ»[٣].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قال: رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَغْلَتَهُ، وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا تَبَرَّزَ كَانَ أَحَبَّ مَا تَبَرَّزَ فِيهِ هَدَفٌ يَسْتَتِرُ بِهِ، أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ، فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا فِيهِ نَاضِحٌ لَهُ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ، حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ وَسَرَاتَهُ، فَسَكَنَ فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟» فَجَاءَ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: «**أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَاكَ إِلَيَّ وَزَعَمَ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**»، ثُمَّ ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْحَائِطِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ شَيْئًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا، فَحَرَّجْنَا عَلَيْهِ أَنْ يُحَدِّثَنَا، فَقَالَ: لَا أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ حَتَّى أَلْقَى اللهَ[٤]. والأيات في هذا كثيرة جدًّا.

(١) أخرجه مسلم (٣٠١٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٨٥).
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).
(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٥)، وأبو داود (٢٥٤٩).

فصل

في ذكر فضيلة نبينا وأُولي العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٢- وأفضلُ العالَمِ مِن غَيرِ امتِرا   نَبِيُّنا الْمَبعوثُ فِي أمِّ القُرى

١٤٣- وبَعدَهُ الأفضَلُ أهلُ العَزمِ   فالرُّسْلُ ثُمَّ الأنْبِيا بِالْجَزمِ

الشرح

التفاضل بين الناس واقع ثابت بدليل العقل والنص، فقد فضل الله تعالى الذكر على الأنثى، قال سبحانه: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقال جل جلاله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢].

فالعقل والنص يشهد أن العالم أفضل من العابد، وطالب العلم أفضل من المسلم العامي.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فقد أخرج الترمذي من حديث أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ قال: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»[(١)] وغير ذلك من النصوص، والمقام لا يتسع لبسطها.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٧).

وهـذا على وجه الإجمال، أما تفضيل شـخص بعينه على آخر فهذا اجتهاد بحسب ما يظهر من أخلاق وعلم وتقوى، وقد يُخطئ البعض في هذا التفضيل، فقد يُفضل عالمًا على عاميٍّ والأمر ليس كذلك، فقد يكون هذا العالم منافقًا أو مرائيًا، وقد يكون قلب الآخر سليمًا، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]، وقد يفضل رجلًا لوجاهته علي فقير، والأمر خلاف ذلك.

وتشهد السنة بذلك، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا»(١).

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وذكر فيه أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ فيه: «رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(٢).

وفي صحيح البخاري عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (١٥٤-٢٢٤٥).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٥٢-١٩٠٥).

فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»(١).

الشاهد أن لا نقطع لأحد بالجنة أو النار، وإنما نقول على أهل الصلاح: نحسبهم كذلك ولا نزكي أحدًا على الله، وندعو للعصاة بالتوبة والإقلاع عن المعاصي.

أما الأنبياء: فالتفاضل بينهم ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، قال تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء].

وقوله: «وأَفضلُ العَالَم من غَيْرِ امترَا نَبِيُّنا الْمَبعوثُ فِي أُمِّ القُرى»:

أي: أفضل الخلق من غير شك هو نبينا ﷺ الذي بعثه الله تعالى في أم القرى وهي مكة المكرمة، وتسمى مكة بأسماء كما جاء ذلك في كتاب الله: أم القرى، بكة، مكة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩١).

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٢٤﴾ [الفتح].

وقد تقدم أن النبي كان يبعث للناس خاصة، وأن نبينا ﷺ بعث للناس عامة، وبعث للجن أيضًا، وقد سبق استيفاء ذلك.

ومما يدل على فضله ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[(١)].

وقوله: «وَبَعدَه الأفْضَل أَهْلُ العَزْمِ»:

أفضل الأنبياء أُولو العزم من الرسل، وأفضل أولي العزم نبينا ﷺ، وأولو العزم من الرسل هم: النبي ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [آل عمران].

وقال جل ذكره: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض شرحه لآية الأحزاب: «يقول تعالى مخبراً عن أُولي العزم الخمسة وبقية الأنبياء، أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق... إلى أن قال: فبدأ في هذه الآية بالخاتم؛ لشرفه- صلوات الله عليه- ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم»(١).

مبحث: كيف نجمع بين مفاضلة الله عز وجل بين الأنبياء عليهم السلام وبين نهى النبي ﷺ عن المفاضلة بينهم؟

قال الله تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام].

هذه الآيات تدل على أن الله عز وجل فاضل بين الأنبياء، وجاءت

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٤).

أحاديث صحيحة تدل على النهي عن المفاضلة بين الأنبياء، وسيأتي بيان أنه لا معارضة بين الآيات والأحاديث.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ: «**لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟**» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي**»[(١)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنّ النَّبيّ ﷺ قال: «**لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى**»[(٢)].

وفي رواية أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**»[(٣)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»[(٤)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٨).
(٣) أخرجه مسلم (١٦٣-٢٣٧٤).
(٤) أخرجه البخاري (٤٦٠٣).

الْقِيَامَةِ»[١].

جمع العلماء بين الآيات والأحاديث من وجوه منها أن النهي في الأحاديث عن المفاضلة بين الأنبياء إذا كان ذلك يؤدي إلى المجادلة والمخاصمة، أو الانتقاص من قدرهم، أما الآيات ففيها اعتقاد التفاضل بينهم في الدرجات كما جاء ذلك صريحًا في القرآن، فلا تعارض بين النصين (الكتاب والسنة) لا في هذه المسألة ولا أي مسألة من مسائل الدين: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ۝٧﴾ [آل عمران].

ومن العلماء من قال: نهى النبي ﷺ عن تفضيله على الأنبياء تواضعًا منه، ومنهم من قال: النهي عن المفاضلة إذا كان بالهوى لا بالدليل.

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: ونحن نقول: إنه ليس ههنا اختلاف ولا تناقض، وإنما أراد أنه سيد ولد آدم يوم القيامة؛ لأنه الشافع يومئذ، والشهيد، وله لواء الحمد، والحوض، وهو أول من تنشق عنه الأرض.

وأراد بقوله: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ»[٢] طريق التواضع، وكذلك قول أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ»[٣].

وخصّ يونس؛ لأنه دون غيره من الأنبياء، مثل إبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم أجمعين، يريد: فإذا كنت لا أحب أن أفضل على يونس، فكيف غيره ممن هو فوقه[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٣-٢٢٧٨)، وغيره.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبراني في تاريخه (٣/ ٢١٠).

(٤) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص: ٣٦٨).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: وقوله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**» لم يقله فخرًا، بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم في الحديث المشهور: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ**»(١) إنما قاله لوجهين:

أحدهما: امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى].

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه، ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى.

وهذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم؛ لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة، وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم.

وأما الحديث الآخر: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**» فجوابه من خمسة أوجه:

أحدهما: أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به.

والثاني: قاله أدبًا وتواضعًا.

والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلي تنقيص المفضول.

والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة، كما هو المشهور في سبب الحديث.

والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص، وفضائل أخرى، ولابد من اعتقاد التفضيل، فقد قال الله تعالى ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣](٢).

قال المازري رَحِمَهُ اللَّهُ: أما قوله: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ**»(٣) فيحتمل أن

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٨)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) شرح مسلم للنووي (٨/ ٤٢، ٤٣).
(٣) صحيح: تقدم تخريجه قريبًا.

يكون ذلك قبل أن يوحى إليه بالتفضيل، وكان بعض شيوخي يقول: يحتمل أن يريد: لا تفضلوا بين أنبياء الله تفضيلًا يؤدي إلى نقص بعضهم، وقد خرج الحديث على سبب، وهو لطم الأنصاري وجه اليهودي، فقد يكون ﷺ خاف أن يفهم من هذه الفعلة انتقاص حق موسى عليه السلام فنهى عن التفضيل المؤدي إلى نقص الحقوق[(١)] انتهى.

وجمع رَحِمَهُ اللَّهُ بين حديث: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**» وبين قوله ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**» على أن ذلك قبل أن يوحى إليه بالتفضيل، ثم أُوحي بالتفضيل فقال به، لم يكن في ذلك من التعارض ما يغمض ويفتقر إلى التأويل[(٢)].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى هذا ترك التخيير بينهم على وجه الإزراء بعضهم، فإنه ربما أدى ذلك إلى فساد الاعتقاد فيهم والإخلال بالواجب من حقوقهم وبفرض الإيمان بهم، وليس معناه أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم؛ فإن الله سبحانه قد أخبر أنه قد فاضل بينهم فقال عز وجل: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣][(٣)].

وقوله: «فالرُّسْلُ ثُمَّ الأنْبيا بالْجَزم»:

أي: أفضلُ الرسل بعد أولى العزم سائرُ الرسل- صلوات الله عليهم-

---

(١) المعلم بفوائد مسلم للمازري (٣/ ١٣٤).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٨٦).

ثم الأنبياء، ويجب اعتقاد التفاضل بين الرسل كما سبق بيان ذلك بالأدلة فقد قال سبحانه: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ونعتقد أيضًا التفاضل بين الأنبياء لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقد تكلم العلماء في الفرق بين الرسول والنبي، وقد سبقت المسألة[١].

(١) راجع شرح البيت الرابع.

فصل

فيما يجب للأنبياء وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٤- وإنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنهُمْ سَلِمْ ... مِن كُلِّ ما نَقصٍ ومِن كُفرٍ عُصِمْ

١٤٥- كذاكَ مِن إفكٍ ومِن خِيانَةِ ... لِوَصفِهِم بِالصِّدقِ والأمانَةِ

١٤٦- وجائزٌ في حقِّ كُلِ الرُّسْلِ ... النَّومُ والنِّكاحُ مثل الأكْلِ

الشرح

قوله: «وإنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنهُمْ سَلِمْ مِن كُلِّ ما نَقصٍ ومِن كُفرٍ عُصِمْ»:

أي: كل واحد من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا - سلم من كل عيب ونقص يقدح في عدالته وديانته، أو يزيل حشمته ويسقط مروءته، فالأنبياء والمرسلون معصومون من ارتكاب الذنوب والمعاصي ومن كل كبيرة، واختلفوا في جواز وقوع الصغائر منهم، والذين جوّزوا وقوعها منهم، قالوا: فإن وقعت منهم - وهذا من النادر - فلا يكون عن قصد ولا إصرار، ولا تكرار، بل سرعان ما يرزقوا التوبة منها بفضل الله عليهم، ولعلمه بهم أنهم أعظم البشر طاعة لله جل في علاه، وأسبقهم إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات.

أما في التبليغ عن الله تعالى، فهم معصومون من الخطأ والنسيان، أما الكفر والجهل بالله والشك، فقد عصمهم الله تعالى من هذا، وهذا بإجماع السلف بل عصمهم من ذلك كله قبل النبوة؛ قال تعالى ذكره: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا

بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات، ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه.

وهو مذهب القاضي أبي بكر، ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع، وهو قول الكافة، واختاره الأستاذ أبو إسحاق.

وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ؛ لأن كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة، مع الإجماع على ذلك كافة.

والجمهور قائل بأنهم معصومون من ذلك من قِبل الله، معتصمون باختيارهم وكسبهم...

أما الصغائر جوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين[١].

وذهبت طائفة إلى الوقف وقالوا: العقل لا يحيل وقوعها منهم، ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين.

وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر، قالوا: لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك...

قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال بعض أئمتنا: ولا يجب على القولين أن

(١) وهو مذهب ابن تيمية- وسيأتي قريبًا.

يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها، إذ يلحقها ذلك بالكبائر، ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة، وأسقطت المروءة، وأوجبت الإزراء والخساسة، فهذا أيضًا مما يُعصم عنه الأنبياء إجماعًا؛ لأن مثل هذا يحط منصبه المتسم به، ويزري بصاحبه، وينفر القلوب عنه، والأنبياء منزهون عن ذلك.

بل يُلحق بهذا ما كان من قبل المباح، فأدى إلى مثله لخروجه بما أدَّى إليه عن اسم المباح إلى الحظر، وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدًا.

وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم، واتباع آثارهم وسيرهم مطلقًا، وجمهور الفقهاء على ذلك، من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة من غير التزام قرينة، بل مطلقًا عند بعضهم، وإن اختلفوا في حكم ذلك[(١)].

وقال في موضع آخر رَحِمَهُ اللَّهُ: والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك... وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان، بل على إشراق المعارف... ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدًا من الأنبياء ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك، ومستند هذا الباب النقل...

---

(١) الشفا للقاضي عياض (ص: ٣٧١-٣٧٣) باختصار يسير.

وأنا أقول: إن قريشًا قد رمت نبينا بكل ما افترته، وعيَّر كفار الأمم أنبياءهم بكل ما أمكنها واختلقته، مما نص الله تعالى عليه، أو نقلته إلينا الرواة، ولم نجد في شيء من ذلك تعييرًا لواحد منهم برفضه آلهتهم، وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه...

ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلًا إليه، إذ لو كان لنقل، وما سكتوا عنه، كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة، وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾ [البقرة: ١٤٢] كما حكاه الله عنهم[(١)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فجمهور المسلمين على أن النبي لابد أن يكون من أهل البر والتقوى، متصفًا بصفات الكمال، ووجوب بعض الذنوب أحيانًا مع التوبة الماحية الرافعة لدرجته إلى أفضل مما كان عليه لا ينافي ذلك...

والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها، والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم، يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها[(٢)].

وقوله: «كذاكَ مِن إفكٍ»:

الأنبياء مبرؤون من المعاصي كما تقدّم، ومن المعاصي الكذب؛ فلا يمكن أن يكذبوا أبدًا.

---

(١) الشفا (ص: ٣٤٥).

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/ ٣٩٧، ٤٠١).

فإن قيل: إن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات، كما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

نقول: لقد تأول العلماء هذه الأحاديث بتأويلات، يتبين منها أنه عليه السلام لم يكذب الكذب المذموم المعهود من أهل الكذب، وإنما فعل هذا نُصرةً لدين الله، ولكف ظلم وأذى الجبار عن زوجته سارة.

قال المازري رَحِمَهُ اللَّهُ: قد يقال: إن المراد تسميتها كذبًا على ظاهرها عندكم في مقتضى إطلاقكم عند استعمالكم اللفظ على حقيقته؛ ألا تراه يحكي عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لسارة: «**أَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ**»(٢).

ومن سمى المسلمة أختًا له قاصدًا أخوة الإسلام فليس بكاذب، لكنه ﷺ إنما أطلق عليه لفظة الكذب لما قلنا من أن الأخت في الحقيقة المشاركة في النسب، وأما المشاركة في الدين فأخت على المجاز، فأراد أنها كذبة على مقتضى حقيقة اللفظة في اللغة، وعلى أن قوله: «إِنَّهَا أُخْتِي» قد يكون في ذات الله إذا أراد بها كف الظلم وصيانة الحريم، لكن لما كان له فيها منفعة ميزها ﷺ عن الأولين اللتين لا منفعة له فيهما، هذا الذي يظهر

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١)، واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه مسلم (١٥٤ – ٢٣٧١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لي في تأويل هذا الحديث[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما قوله ﷺ: «**ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالى، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ**»[(٢)]، فمعناه: أن الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع، وأما في نفس الأمر فليست كذبًا مذمومًا لوجهين:

أحدهما: أنه ورَّى بها فقال في سارة: «أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ»، وهو صحيح في باطن الأمر...

والوجه الثاني: لو كان كذبًا لا تورية فيه لكان جائزًا في دفع الظالمين، وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنسانًا مختفيًا ليقتله أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصبًا، وسأل عن ذلك وجب على من علم ذلك إخفاءه وإنكار العلم به، وهذا كذب جائز بل واجب، لكونه في دفع الظالم، فنبه النبي ﷺ أن هذه الكذبات ليست داخلة في مطلق الكذب المذموم.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ردًّا على كلام المازري المتقدم: أما إطلاق لفظ الكذب عليها فلا يمتنع لورود الحديث به، وأما تأويلها فصحيح لا مانع فيه، قال العلماء: والواحدة التي في شأن سارة هي أيضًا في ذات الله؛ لأنها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة، وقد جاء ذلك مفسرًا في غير مسلم، فقال: ما فيها كذبة إلا بما حل بها عن الإسلام أي يجادل ويدافع، وقالوا: وإنما خص الثنتين بأنهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعًا له وحظًّا، مع كونها في ذات الله تعالى[(٣)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وإما إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قال

---

(١) المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٣١).
(٢) أخرجه مسلم (١٥٤ - ٢٣٧١).
(٣) مسلم بشرح النووي (٨/ ١٣٦-١٣٧).

قولًا يعتقده السامع كذبًا، لكنه إذا حقق لم يكن كذبًا؛ لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين فليس بكذب محض.

فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ [الصافات] يحتمل أن يكون أراد إني سقيم، أي سأسقم، واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيرًا، ويحتمل أنه أراد إني سقيم بما قدر عليّ الموت أو سقيم الحجة على الخروج معكم، وحكى النووي عن بعضهم أنه كان تأخذه الحمى في ذلك الوقت، وهو بعيد لأنه لو كان كذلك لم يكن كذبًا لا تصريحًا ولا تعريضًا، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] قال القرطبي: هذا قاله تمهيدًا للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة، وقطعًا لقومه في قولهم أنها تضر وتنفع، وهذا الاستدلال يتجوَّز فيه في الشرط المتصل، ولهذا أردف قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾ [الأنبياء].

قال ابن قتيبة: معناه إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا، فالحاصل أنه مشترط بقوله: ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾ [الأنبياء]، أو أنه أسند إليه ذلك لكونه السبب...

وقوله: «هَذِه أُخْتِي» يعتذر عنه بأن مراده أنها أخته في الإسلام(١).

قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقًا به ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٥٠-٤٥١).

الكذب منه، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك عن إبراهيم عليه السلام- يعني إطلاق الكذب على ذلك- إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه، وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعًا لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تذم، فإن الكذب وإن كان قبيحًا مخلًّا لكنه قد يحسن في مواضع وهذا منها(١).

وقوله: «ومن خِيانَةِ»:

تقدم بيان أن الأنبياء معصومون من ارتكاب الذنوب؛ لأن ذلك يقدح في نبوتهم ويفضي إلى عدم الثقة فيما ينقلون عن الله تعالى.

فهم مبرءون من الخيانة؛ لأنه من جملة الذنوب المحرمة، فلا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة عين فضلًا عن أن تكون له خيانة في أفعاله.

فعن مصعب بن سعد عن سعد، قال: لما كان يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ اخْتَبَأَ عبد الله بن سعد بن أَبِي سَرْحٍ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فجاءَ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ بَايِعْ عَبْدَ اللهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «**أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟**» فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا فِي نَفْسِكَ، أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ**»(٢).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سنن أبي داود (٤٣٥٩)، النسائي في السنن الكبرى (٣/ ٤٤٣)، الحاكم في

وقوله: «لِوَصفِهِم بِالصِّدقِ والأمانَةِ»:

الصدق والأمانة ضد الكذب والخيانة، والضدان لا يجتمعان، فالواجب أن نؤمن بأن الأنبياء والمرسلين هم أولى الناس اتصافًا بالصدق والأمانة، فقد اصطفاهم الله تعالى وجعلهم أمناء الوحي وكتب لهم العصمة كما سبق بيانه.

وقوله:

وجائزٌ في حَقِّ كُلِّ الرُّسْلِ   النَّومُ والنِّكاحُ مثلُ الأكْلِ

الأنبياء بشر، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء، وليسوا ملائكة لا يأكلون ولا يشربون، بل هم بشر، جائز في حقهم ما هو جائز في حق البشر، من الاحتياج للنوم والطعام والشراب والنكاح، وغير ذلك من المباحات، وبالجملة فهم يجري عليهم ما يجري على البشر من الأمور التي ليس فيها عيب ولا نقص في حقهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ [الفرقان].

وقال جل ثناؤه عن الرسل: ﴿إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ١١].

=

المستدرك (٣/ ٥٠)، البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٠٥)، مسند البزار (٣/ ٣٥٠)، أبو يعلى (١/ ٢١٦-٢١٧)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٤٤٩)، والألباني في الصحيحة (١٧٢٣).

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الرعد].

وقال رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ»(١).

وقال ﷺ: «لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ»(٢).

ومن خصائص نبينا ﷺ التي اختصه الله بها، أن عينه تنام ولا ينام قلبه، لكثرة انشغاله بالله جل في علاه وتعلق قلبه به.

قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها حين قالت له: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»(٣).

ومما يجوز على الأنبياء والمرسلين الموت فليس لأحد منهم الخلد.

قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وقال جل ذكره: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران].

مبحث: هل الأنبياء أحياء في قبورهم؟

نعم، الأنبياء أحياء في قبورهم حياة برزخية لا يعلم كنهها إلا الله تعالى،

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢) باب: السهو في الصلاة والسجود له.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (١٢٥-٧٣٨).

ولا يوجد مانع شرعي ولا عقلي من ذلك، فالشهداء أحياء عند ربهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران]، ولا شك أن الأنبياء أفضل من الشهداء، فتكون حياتهم في قبورهم أفضل وأكمل من حياة الشهداء.

ولكن حياتهم - صلوات الله عليهم - لا كحياتهم في الدنيا، يأكلون ويشربون ويتزوجون وغير ذلك من الأمور الجائزة على البشر في الدنيا كما يزعم أهل الضلال.

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»(١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»(٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٤-٢٣٧٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١)، والبيهقي (٥/ ٢٤٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤٤٩)، وقال النووي في رياض الصالحين (١٤٠٩): إسناده صحيح، وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٧٩): سنده جيد، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٦).

تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[(١)].

وعن أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ -؟ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»[(٢)].

وعن أنسٍ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**»[(٣)].

قال أبو المظفر ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما صلاة موسى في قبره فالذي أرى في ذلك أن دار الآخرة هي دار نيل الملاذ، وأن المؤمن قد يجد في صلاته وعبادته من اللذة ما لا توازيه لذة في الدنيا، فكيف بالأنبياء؛ فإن صلاته عليه السلام، مما قد التذَّ بها، فشرع فيها التذاذًا بها- لا تكليفًا- فغير بعيد؛ ولأن الأنبياء عليهم السلام أحياء في قبورهم[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود (٢٠٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٢٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البزار في المسند (٢٥٦)، وأبو يعلي (٣٤٢٥)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٢٧)، والديلمي (١/ ١١٩)، وابن عساكر (١٣/ ٣٢٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩٠)، وفي السلسلة الصحيحة (٦٢١).

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (٥/ ٣٧٥).

قال المُلا عليّ القاري رَحِمَهُ اللهُ: قد قدمنا أن الأنبياء لا يموتون كسائر الأحياء، بل ينتقلون من دار الفناء إلى دار البقاء، وقد ورد به الأحاديث والأنباء، وأنهم أحياء في قبورهم، فإنهم أفضل من الشهداء، وهم أحياء عند ربهم(١).

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون؛ لأنهم كالشهداء بل أفضل، والشهداء أحياء عند ربهم، وفائدة التقييد بالعندية(٢) الإشارة إلى أن حياتهم ليست بظاهرة عندنا، وهي كحياة الملائكة وكذا الأنبياء(٣).

وسئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: هل صح أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون؟ و كيفية عرض أعمال الأمة على النبي ﷺ في قبره؟ على روحه الكريمة أم تعاد روحه إلى جسده؟ وإذا صلَّى عليه أو سلَّم عليه العبد، هل يرد عليه السلام؟

الجواب: الحمد لله، الأنبياء أحياء في قبورهم، وقد يصلون كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَرَرْتُ بِمُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»(٤) وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ...**»(٥) وساق الحديث كما

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٧٦).

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران].

(٣) فيض القدير للمناوي (٣/ ١٨٤).

(٤) صحيح: تقدم تخريجه.

(٥) صحيح: تقدم تخريجه.

تقدم، وقال: «صَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»[١].

وقال: «أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ...»[٢]، وساق الحديث كما تقدم.

وأما عرض الأعمال عليه فإنها تعرض عليه، وهو حق، وأما محل ذلك فمما لا يتعلق به غرض، والله أعلم[٣].

وقال في موضع آخر رَحِمَهُ اللَّهُ - في معرض ذكره الأدلة على اتخاذ قبور الأنبياء مساجد-: فهذه النصوص الصريحة توجب تحريم اتخاذ قبورهم مساجد مع أنهم مدفونون فيها، وهم أحياء في قبورهم[٤].

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث[٥] للأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- إنما هي حياة برزخية، ليست من حياة الدنيا في شيء، ولذلك وجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها ومحاولة تكييفها وتشبيهها بما هو المعروف عندنا في حياة الدنيا، هذا هو الموقف الذي يجب أن يتخذه المؤمن في هذا الصدد: الإيمان بما جاء في الحديث دون الزيادة عليه بالأقيسة والآراء، كما يفعل أهل البدع الذين وصل الأمر ببعضهم إلى ادعاء أن حياته ﷺ في قبره حياة حقيقية، قال: يأكل ويشرب

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ١٩١)، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر أبو زيد.

(٤) مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ٩٧).

(٥) يشير إلى حديث أنس المتقدم أول المسألة.

ويجامع نساءه، وإنما هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى...

إلى أن قال في معرض تعليقه على حديث أنس المتقدم: إذًا صلاة الأنبياء في قبورهم عقيدة صحيحة يجب على المسلم أن يؤمن بها، لكن لا يتوسع في محاولة تكييف هذه الصلاة، فلا يقول مثلًا كيف يصلي موسى في قبره، والقبر لا يتسع لقيام موسى في القبر؟ لأننا نقول عالم الغيب لا يقاس على عالم الشهادة، عالم البرزخ لا يقاس إلا على عالم الآخرة، فلكل طبائعه وخواصه، فإذا أخبرنا الصادق المصدوق أنه رأى موسى عليه السلام قائمًا يصلي في قبره صدقناه وآمنا به، ووكلنا معرفة حقيقة هذه الصلاة إلى الله تبارك وتعالى.

وعلى هذا الميزان قوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**»[١].

فليست هذه الحياة بالحياة المادية، بحيث أننا إذا خاطبناهم يردون علينا ويسمعون كلامنا كما كانوا يسمعون كلام الناس في الدنيا حينما كانوا أحياء، لا نتوسع في مثل هذه التفاصيل؛ لأنه كما قلت أنفًا عالم الغيب لا يقاس على عالم الشهادة، على عالم المادة[٢].

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.
(٢) موسوعة الألباني في العقيدة (٨/ ١٥٤-١٥٥).

فصل

في ذكر الصحابة الكرام

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٧ - ولــيسَ في الأُمَّــةِ بــالتَّحقيقِ ... في الفَضــلِ والمَعْــروفِ كــالصِّدِّيقِ

١٤٨ - وبعـدَهُ الفـاروقُ مِـن غيـرِ افتِـرا ... وبعـــدَهُ عُثمـــانُ فـــاترُكِ الْمِـــرا

الشرح

قبل أن نشرع في شرح هذه الأبيات، ينبغي أن نعرف معنى الصاحب والصحابي في اللغة والاصطلاح.

الصاحب لغة: صَحِبَهُ صحابةً وصحبةً: رافقه، ويقال في الدعاء: صحبك الله: حفظك ورافقتك عنايته ... واصطحب فلانًا: اتخذهُ صاحبًا، ويقال: اصطحب القوم، صحب بعضهم بعضًا.

والصاحب: المرافق، ومالك الشيء والقائم على الشيء، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً﴾ [المدثر: ٣١] ويطلق على من اعتنق مذهبًا أو رأيًا فيقال: أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب الشافعي...

والصاحبة: الزوجة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن](١).

قال الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والصاحب مشتق من الصُّحبة، وهي وإن كانت تعم القليل والكثير، لكن العرف خصصها لمن كثرت ملازمته

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ٥٠٧).

وطالت صحبته[(١)].

وفي الاصطلاح: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام صغيرًا كان أو كبيرًا، طالت مدة اللقاء أو قصرت، ومن آمن به ولم يره لا يعد من الصحابة كالنجاشي رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيره.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه مَن طالت مجالستُهُ له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغزُ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا، ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

وقولنا: «**به**» يخرج من لقيه مؤمنًا بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أو لا يدخل؟ محل احتمال، من هؤلاء بحيرا الراهب ونظراؤه.

ويدخل في قولنا «**مؤمنًا به**» كلُّ مكلف من الجن والإنس، فحينئذ يتعين ذكر من حُفظ ذكرُه من الجن الذين آمنوا به بالشروط المذكورة، وأما إنكار ابن الأثير على أبي موسى تخريجه لبعض الجن الذين عرفوا في كتاب الصحابة، فليس بمنكر لما ذكرته.

وقد قال ابن حزم في كتاب الأقضية في المحلى: من ادعى الإجماع، فقد كذب على الأمة، فإن الله تعالى قد أعلمنا أن نفرًا من الجن آمنوا وسمعوا

---

(١) الكليات (ص: ٥٥٨).

القرآن من النبي ﷺ، فهم صحابةٌ فضلاء، فمن أين للمدعي إجماع أولئك؟

وهذا الذي ذكره في مسألة الإجماع لا نوافقه عليه، وإنما أردت نقل كلامِهِ في كونهم صحابة... وخرج بقولنا: ومات على الإسلام، مَن لقيه مؤمنًا به ثم ارتد ومات على ردّته – والعياذ بالله – وقد وجد من ذلك عددٌ يسيرٌ؛ كعبيد الله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة، فإنه أسلم معها وهاجر إلى الحبشة فتنصر هو، ومات على النصرانية، وكعبد الله بن خَطَل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة، وكربيعة بن أميّة بن خلف(١).

وقوله:

«وَلَيْسَ فِي الأُمَّةِ»:

أي: أمة محمد ﷺ وهي خير الأمم كما نص القرآن على ذلك.

قال تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

وإذا كانت أفضل الأمم، فالصديق أفضل البشر بعد الأنبياء والرسل.

قوله: «بالتَّحقيقِ في الفَضلِ والمعروفِ كالصِّدِّيق»:

أي: بالقول المحقق الذي دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ أن أفضل هذه الأمة – بعد نبينا ﷺ – أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهذا مجمع عليه من أهل السنة والجماعة، فهو أول من أسلم وآمن بالنبي ﷺ.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ٧، ٨)، وانظر: الكليات (ص: ٥٥٨)، والتعريفات للجرجاني (ص: ١٧٣).

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأئمة على أن أبا بكر الصديق أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما عنى جل ثناؤه بقوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ رسول الله ﷺ وأبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأنهما كانا اللذين خرجَا هاربيْن من قريش، إذ همُّوا بقتل رسول الله ﷺ واختفيا في الغار.

وقوله: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ يقول: إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار..

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ لأن الله معنا والله ناصرنا، فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا [(١)].

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي أحد اثنين، وللعرب في هذا مذهب، أن تقول خامس خمسة أي: أحد خمسة، ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر حين خرجا من مكة دخلا غارًا في جبل ثور

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٢٥٨).

ليخفيا على من خرج من قريش في طلبهم(١).

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: والاثنان أحدهما رسول الله ﷺ والآخر أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .... ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ قال الشعبي: عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعًا في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الزجاج وقوله تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ منصوب على الحال، المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين؛ أي: نصره منفردًا إلا من أبي بكر، وهذا معنى قول الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعًا في هذه الآية غير أبي بكر(٢) انتهى.

وهذا تفسير علماء أهل السنة قاطبة لهذه الآية الدالة على فضل أبي بكر الصديق على جميع الصحابة فضلًا عن سائر الأمة.

وقال جل ذكره: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران].

نزلت هذه الآية الكريمة في أبي بكر الصديق ومن كان معه من الصحابة، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث هِشَامٍ عن أبيه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران]، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي،

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٣٦٤)، معالم التنزيل (٢/ ٣٥٠).

(٢) زاد المسير (٢/ ٢٦٠). وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٠)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٠٦) وغيرهم.

كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ: الزُّبَيْرُ، وَأَبُو بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «**مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟**» فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَالزُّبَيْرُ[(١)].

وعن أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»[(٢)].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟![(٣)].

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ الذي أخرجه البخاري ومسلم أنّ رسُولَ الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ**»[(٤)].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: والمعنى: لو كنت أخص أحدًا بشيء من الدين لخصصت به أبا بكر، ففيه رد على الشيعة القائلين أنه خص عليًّا من الدين والقرآن ما لم يخص أحدًا[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (٢٤١٨).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).
(٣) صحيح: سنن ابن ماجه (٩٤)، والنسائي (٨١١٠)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٥٣).
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢).
(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٠/ ٢٤٧).

قال البدر العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «**إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ**» استثناء مفرغ ومعناه: لا تبقوا بابًا غير مسدود إلا باب أبي بكر، فاتركوه بغير سد.

قال الخطابي وابن بطال وغيرهما: في هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١)، انتهى.

وعن عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**» فَعَدَّ رِجالًا(٢).

وقال رسول الله ﷺ في جزء من حديث طويل أخرجه البخاري: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا(٣).

وعن عَائِشَةَ، أَنَّهَا سُئِلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَوِ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا(٤).

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»(٥).

---

(١) عمدة القاري (١١/ ٣٩١).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) وغيرهما.
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه مسلم (٢٣٨٥).
(٥) أخرجه مسلم (٢٣٨٧) وغيره.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض شرحه لهذا الحديث: هذا دليل لأهل السنة في تقديم أبي بكر ثم عمر للخلافة مع إجماع الصحابة... وأما ما تدّعيه الشيعة من النص على عليٍّ والوصية إليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين، والاتفاق على بطلان دعواهم من زمن عليٍّ وأوّل مَن كذبهم عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «مَا عِنْدَنا إِلَّا مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ»(١) الحديث، ولو كان عنده نص لذكره(٢).

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة(٣)، انتهى.

وغير ذلك من فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والتي لا يتسع المقام لذكرها.

وقوله: «وبعدَهُ الفاروقُ مِن غيرِ افترا»:

أي: بعد أبو بكر الصديق الذي يليه في الفضل الفاروق، لقبه بذلك رسول الله ﷺ؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل، إنه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القرشي العدوي كنيته: أبو حفص، والحفص(٤) في اللغة: الشبل ولد الأسد(٥).

شهد له رسول الله ﷺ بالعبقرية والإلهام، وقوة الدين والعلم، حتى إن الشيطان ليفر منه، شهد له بأن الله تعالى جعل الحق على لسانه وقلبه، وقد

---

(١) أخرجه البخاري (١١١، ١٨٧٠)، ومسلم (٢٠- ١٣٧٠).

(٢) شرح مسلم للنووي (٨/ ١٦٩).

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٤٦٧).

(٤) انظر: اللسان (٢/ ٥١١).

(٥) انظر: الإصابة لابن حجر (٢/ ١٣٠٧-١٣٠٨).

وافق رب العالمين في أمور كان يرغب أن ينزل فيها حكم، فنزلت الآيات توافق ما أراد، شهد له النبي ﷺ بالجنة، وغير ذلك من فضائله رضي الله عنه.

ذكر بعض الأحاديث وأقوال أهل العلم في فضائل عمر رضي الله عنه:

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**»(١).

وعن عبد الله بن عُمر عَن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، شَرِبْتُ - يَعْنِي: اللَّبَنَ - حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجْرِي فِي ظُفُرِي أَوْ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ**» فَقَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ؟ قَالَ: «**العِلْمَ**»(٢).

وقال ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ**» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الدِّينَ**»(٣).

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**»، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟!(٤).

---

(١) صحيح: أبو داود (٢٩٦٢)، ابن ماجه (١٠٨) مسند أحمد (٥/ ١٦٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩١).
(٣) أخرجه البخاري (٢٣) ومسلم (٢٣٩٨)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٤).

وعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ[(١)]، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ»[(٢)].

عن عَبْدِ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَمَا أَنَا عَلَى بِئْرٍ أَنْزِعُ مِنْهَا، جَاءَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الدَّلْوَ، فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَاسْتَحَالَتْ فِي يَدِهِ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، فَنَزَعَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ»[(٣)].

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ[(٤)].

وعن نافِعٍ عن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ: تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ

---

(١) قال ابن وهب: تفسير محدثون: ملهمون – شرح مسلم للنووي (٨/ ١٧٦).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٩)، ومسلم (٢٣٩٨).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٦)، ومسلم (٢٣٩٢).
(٤) أخرجه البخاري (٤٠٢)، ومسلم (٢٣٩٩) مختصرًا.

مُنَافِقٌ، وَقَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؟ قَالَ: «إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ - أَوْ أَخْبَرَنِي اللهُ - فَقَالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، فَقَالَ: سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ»، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة][١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: قال عمر: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر، هذا من أجلّ مناقب عمر وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء في هذه الرواية: (وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ)، وفسرها بهذه الثلاث.

وجاء في رواية أخرى في الصحيح: «اجْتَمَعَ نِسَاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الغَيْرَةِ»[٢]...

وساق الحديث الذي ذكره مسلم، وبعد هذا موافقته في منع الصلاة على المنافقين، ونزول الآية بذلك، وجاءت موافقته بتحريم الخمر[٣]، فهذه ست، وليس في لفظه ما ينفي زيادة الموافقة، والله أعلم[٤].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: قد عرفت أن في البخاري الموافقة في مقام إبراهيم، والحجاب، والتخيير بين أزواجه.

وقد عرفت أن في مسلم بدله: أسارى بدر، وهذه أربعة، وفيه أيضًا موافقته في منع الصلاة على المنافقين وهذه خمسة... إلى أن قال: ويشهد

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٦) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) في ثبوت الحديث بعض النزاع بين أهل العلم.
(٤) شرح مسلم للنووي (٨/ ١٨٠).

ما رواه الترمذي مصححًا من حديث ابن عمر: «مَا نَزَلَ بالنَّاسِ أَمْرٌ قَطُّ فَقَالُوا فِيه، وقَالَ فِيه عُمَرُ إلا نَزَلَ فِيه قُرْآن عَلى نَحو مَا قَالَ عُمَرُ...».

وقوله: «في ثلاث» قد أسلفنا أنها أكثر من ثلاث وقد أسلفنا أنه لا تنافي بينها[١].

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لما جعل الله الكريم فيه من الأحوال الشريفة الكريمة، والدليل على ذلك أنه لما علم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موضع عمر من الإسلام، وأن الله عز وجل أعز به الإسلام، وعلم موضعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلم قدر ما خصه الله الكريم به من الفضائل، فناصح أبو بكر ربه عز وجل في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستخلف عليهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلم أن الله مسائله عن ذلك، فما آلى جهدًا في النصيحة للمسلمين... إلى أن قال: وصدق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكيف لا يكون عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ**»[٢] وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْتَدُوا باللَّذَيْنِ من بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**»[٣]... وساق أحاديث أخر[٤].

---

(١) التوضيح شرح الجامع الصحيح (٥/ ٤٠٧، ٤٠٨).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٨٦)، وأحمد (٤/ ١٥٤)، والروياني في المسند (١/ ١٥٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٩٢)، وقال: هذا حديث حسن الإسناد ولم يخرجاه، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢/ ٢٨٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٢٧).

(٣) أخرجه الحميدي في مسنده (٤٥٤)، والترمذي (٣٦٦٣)، وأحمد (٥/ ٣٨٥، ٤٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٤٨، ١٠٤٩)، والطحاوي في المشكل (٢/ ٨٣، ٨٤)، والحاكم (٣/ ٧٥)، وصححه بطرقه الألباني في الصحيحة (١٢٣٣).

(٤) الشريعة (٤٥١).

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ في ثنايا كلامه عن إثبات الخلافة للخلفاء الأربعة: ثم خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باستخلاف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إياه، واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله سبحانه- بمكانه في إعلاء الإسلام وإعظام شأنه- وعده[1].

وقوله: «وَبَعدَهُ عُثمَانُ»:

أي: وبعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، ولي الخلافة بعد عمر باتفاق أهل الشورى[2]، وله من المناقب الكثير، فهو أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا؛ فقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة وبالجنة، كان سبَّاقًا إلى أبواب الخير، حفر بئر رومة، وجهز جيش العسرة، وهاجر الهجرتين، له من الحياء والدين ما جعل الملائكة تستحي منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جمع القرآن، وتزوج من بنتي رسول الله ﷺ فسمي ذو النورين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذكر بعض الأحاديث وأقوال أهل العلم في فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**» فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**» فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ**»،

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٩١).
(٢) انظر: الإصابة (٤/ ٣٧٧)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٩٢).

فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَزَادَ فِيهِ عَاصِمٌ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَاعِدًا فِي مَكَانٍ فِيهِ مَاءٌ، قَدِ انْكَشَفَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ أَوْ رُكْبَتِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عُثْمَانُ غَطَّاهَا» (١).

وَعَن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِي ﷺ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**» (٢).

وفضل مَن هاجر إلى المدينة مع رسول الله ﷺ معلوم بأدلة الكتاب والسنة، فما ظنك بمن هاجر الهجرتين؛ الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة؟!

عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، قَالَا: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الوَلِيدِ، فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ - قَالَ مَعْمَرٌ أُرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ - فَانْصَرَفْتُ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، فَهَاجَرْتَ الهِجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الوَلِيدِ. قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى العَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ، وَهَاجَرْتُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٥)، ومسلم (٢٤٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

الهِجْرَتَيْنِ، كَمَا قُلْتَ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَبَايَعْتُهُ، فَوَاللهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلاَ غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ، أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ؟ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الوَلِيدِ، فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالحَقِّ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا، فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِين[1].

الحياء شعبة من شعب الإيمان كما أخبر نبينا ﷺ فما ظنك بإيمان رجل بلغ حياؤه أن استحت منه الملائكة؟!

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[2].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ» فَجَهزه عثمان(١).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ يَحْفُرِ بِئْرَ رُومَة فَلَهُ الْجَنَّةُ» فحفرها عثمان(٢).

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللهُ: وخير هذه الأمة بعد وفاة نبيها: أبو بكر وعمر وعثمان، هكذا روي لنا عن ابن عمر، قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ بين أظهرنا: إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان، ويسمع النبي بذلك فلا يُنكره(٣)(٤).

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللهُ **في معرض كلامه عن عقيدة أهل السنة والجماعة:** «ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأنهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر رسول الله ﷺ خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن جُمْهان عن سَفينة: «**الخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً**»(٥) وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى المُلك العضوض، على ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم»(٦).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: وقد اتفق عامة أهل السنة- من العلماء،

---

(١) أخرجه البخاري مع الفتح معلقًا بصيغة الجزم (٧/ ٦٥).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم- انظر: فتح الباري (٧/ ٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٥، ٣٦٩٨) بنحوه، أما عدم إنكار النبي ﷺ فورد في حديث أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١١٩٣) وصححه الألباني في «ظلال الجنة».

(٤) شرح السنة للبربهاري (٥٣).

(٥) **صحيح**: سنن الترمذي (٢٢٢٦)، الطيالسي (٥/ ٥١)، مسند أحمد (٥/ ٢٢١)، أبو داود (٤٦٤٦، ٤٧٤٧)، ابن حبان كما في «الموارد» (١٥٣٤، ١٥٣٥)، وصححه لشواهده الألباني في الصحيحة (٤٥٩).

(٦) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٨٩، ٢٩٠).

والعباد، والأمراء، والأجناد- على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان رضي الله عنهم، ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير(١).

وقوله: «فَاتْرُكِ الْمِرَا»:

أي اترك الجدال، ولا تخوض مع الخائضين في الباطل الذي لا دليل عليه من الكتاب أو السنة، ولم ينقل عن أحد من الأئمة، فقد عرفت منزلته رضي الله عنه من السنة واتفاق الأئمة المعتبرين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٦).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٩- وبعدُ فالفَضلُ حَقيقًا فاسْمَعِ   نِظامِي هَذَا للبَطِينِ الأنزَعِ

١٥٠- مُجَدِّلِ الأبطالِ ماضي العَزمِ   مُفَرِّجِ الأوجالِ وافِي الْحَزمِ

١٥١- وَافِي النَّدَى مُبْدِي الهُدَى مُردِي العِدَا   مُجلِي الصَّدَى يا وَيْلَ مَنْ فِيهِ اعْتَدَى

١٥٢- فحُبُّهُ كَحُبِّهِم حَتمًا وَجَب   ومَنْ تَعَدَّى أو قَلَى فَقَد كَذَب

الشرح

هذه الأبيات ثناء من صاحب النظم على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقبل أن نشرع في شرح النظم ينبغي أن نذكر شيئًا من مناقبه وفضائله.

هو الخليفة الرابع، علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن، أول الناس إسلامًا في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فرُبي في حجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، فقال له بسبب استخلافه له بالمدينة: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»[(١)]، وزوجته هي فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، ولما آخى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه قال له: «أَنْتَ أَخِي»[(٢)] قاله الحافظ ابن حجر[(١)]...

---

(١) سيأتي تخريجه قريبًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤) مرسلًا.

إثبات الخلافة له، وذكر بعض مناقبه رضي الله عنه:

«والأحاديث التي جاءت بذكر مناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم يُنقل لأحد من الصحابة ما نقل لعليّ، وقال غيره: كان سبب ذلك بغض بني أمية له، فكان كل من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يثبته، وكلما أرادوا إخماده وهددوا من حدَّثَ بمناقبه، لا يزداد إلا انتشارًا.

وقد ذكر له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها، وتتبع النسائي ما خُص به من دون الصحابة، فجمع من ذلك شيئًا كثيرًا بأسانيد أكثرها جياد.

روى عن النبي ﷺ كثيرًا، وروى عنه من الصحابة ولداه: الحسن والحسين، وابن مسعود، وأبو موسى، وابن عباس، وأبو رافع، وابن عمر... وآخرون.

ومن التابعين من المخضرمين، أو من له رؤية: عبد الله بن شداد بن الهاد، وطارق بن شهاب، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام... وآخرون.

وكان أحد الشورى الذين نص عليهم عمر، فعرضها عليه عبد الرحمن بن عوف وشرط عليه شروطًا امتنع من بعضها، فعدل عنه إلى عثمان فقبلها فولاه، وسلم علي وبايع عثمان، ولم يزل بعد النبي ﷺ متصديًا لنشر العلم والفتيا»[2].

قال أبو عثمان الصابوني رحمه الله في معرض إثباته لخلافة علي رضي الله عنه: ثم خلافة علي رضي الله عنه، ببيعة الصحابة إياه، عرفه ورآه كل منهم، رضي الله عنه

=

(١) الإصابة (٢/ ١٢٩٤).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١٢٩٤، ١٢٩٥).

أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة، ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه[١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في ثنايا ذكره عقيدة أهل السنة: ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن غيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما دلت عليه الآثار..

وذلك لأنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله[٢].

من مناقب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

شهادة رسول الله ﷺ بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله؛ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللهُ فِي صَبَاحِهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ»** فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّايَةَ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ[٣].

وعن سَعْد بن أبي وقَّاص قال: قالَ رسولُ الله ﷺ لعَليٍّ: **«أَمَا تَرْضَى أَنْ**

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٩٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣، ١٥٤).
(٣) أخرجه البخاري (٣٧٠٢)، ومسلم (٢٤٠٧).

تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»[(١)].

وفي حديث البراء رضي الله عنه الذي أخرجه الشيخان، قال رسول الله ﷺ لعليّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»[(٢)].

تنبيه:

حديث البراء المتقدم، مما تمسك به الشيعة لإثبات الخلافة لعلي رضي الله عنه، وأنها كانت حقًّا له، لا لأبي بكر ولا عمر ولا عثمان - رضي الله عنهم جميعًا - ، وليس في الحديث ما يدل على ذلك لا بمفهومه، ولا بمنطوقه.

قال القاضي عياض رحمه الله في معرض شرحه للحديث: مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة وبعض المعتزلة في أن الخلافة كانت حقًّا لعلي، واستخلاف النبي - عليه الصلاة والسلام - له بذلك الحديث وأشباهه مما احتجوا به.

ثم اختلفوا بعد في تقديم غيره، فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره، ثم كفر بعضهم عليًّا لأنه لم يقم في طلب حقه، وهؤلاء استحق مذهبنا من أن يرد عليهم، وقد قالوا بأشنع من هذا فيمن هو أفضل مما ذكرنا.

ولا امتراء في كفر القائلين بهذا؛ لأن مَن كفَّر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة، وهدم الإسلام، وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك، فأما الإمامية وبعض المعتزلة فتخطئهم، وأما بعض المعتزلة فلا يقول ذلك لقولهم بجواز تقديم المفضول على الفاضل في

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٤٢٥١)، ومسلم (١٧٨٣).

الإمامة على ما تقدم من الخلاف في ذلك.

وهذا الحديث بكل حال لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه من فضائل عليّ ومنزلته ما لا يحط من منزلة غيره، وليس في قوله هذا دليل على استخلافه بعده؛ لأنه إنما قال له حين استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، فقال له ذلك لا لاستخلافه بعده؛ بدليل أن هارون الذي يستشهد به لم يكن خليفة بعد موسى، وإنما مات في حياته وقبل موت موسى بنحو أربعين سنة على ما قال أهل الخبر، إنما استخلفه موسى حين ذهب لمناجاة ربه[(١)]، انتهى.

ومن مناقب علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نزول قرآن في شأنه:

عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ قَسَمًا: إِنَّ هَـذِهِ الآيَةَ: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ [الحج: ١٩] نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةَ، وَعَلِيٍّ، وَعُبَيْدَةَ بْنِ الحَارِثِ، وَعُتْبَةَ، وَشَيْبَةَ، ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ[(٢)].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: قال مجاهد: سألت ابن عباس فقال: سورة الحج نزلت بمكة سوى ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة في ستة نفر من قريش: ثلاثة مؤمنون، وثلاثة كافرون، فالمؤمنون: عليّ وحمزة وعبيدة، وذكر الباقي مثل ما في الكتاب، فنزلت فيهم ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ إلى تمام ثلاث

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٤١١، ٤١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٦٩)، ومسلم (٣٠٣٣).

آيات[١].

من مناقبه أنه شهد بدرًا، وأهل بدر قد غفر الله لهم:

عن أبي إسحاق: «سَأَلَ رَجُلٌ البراء وَأَنَا أَسْمَعُ، قال: أَشَهِدَ عليٌّ بدرًا؟ قال: بَارَزَ وظَاهَرَ»[٢][٣].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله في الجواب: قال: بارز وظاهر، فيه حذف تقديره، قال: نعم شهد فإنه بارز فيها وظاهر.

قال رسول الله ﷺ في أهل بَدْر: «**وَمَا يُدرِيكَ لَعَلَّ الله أن يَكُونَ قد اطَّلَع على أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُم، فَقَد غَفَرْتُ لَكُم**»[٤][٥] انتهى.

ذكر صاحب النظم في الأبيات السابقة الثناء على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد قدمنا شيئًا من فضائله.

قوله: «وبعد..»: أي بعد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «فالفضل حقيقًا» أي أن الفضل حقيقة في الأمر من غير شك لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «فاسمع نظامي هذا» الذي أدرجت في هذه العقيدة التي تبين منهج أهل السنة، فهم مجتمعون على أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصحابة بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة.

وقوله: «للبطين الأنزع...»:

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢١/ ٤١).

(٢) ظاهر: لبس درعًا على درع- فتح (٨/ ٣٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٧٠).

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٦٤).

(٥) فتح الباري (٨/ ٣٤٨).

أي: عظيم البطن، وهذا وصف ليس فيه ذم. وقيل: باطنه عظيم لتضلعه في العلوم والمعارف. «الأنزع» أي: المنحسر شعر رأسه عن جانبي جبهته.

قوله: «مجدل الأبطال...»: جدله صرعه، أي: ملقي الأبطال على الأرض، والأبطال جمع بطل وهو الشجاع، وكان قد قتل من الأبطال عددًا منهم: الوليد، ومرحب، وغيرهما. «ماضي العزم» إشارة إلى شدة قوته، ومضى في الأمر: نفذ، والعزم: الجد والصبر، «مفرج الأوجال» أي: كاشف الهموم والغموم في المواقف الصعبة. «وافي الحزم» إشارة إلى وفرة عقله وفطنته، والحزم: ضبط الرجل أمره.

وقوله: «وافي الندى مبدي الهدى مُردي العدا..»:

أي كثير السخاء والكرم والعطاء، مظهر العلوم والفهوم والرشاد والدلالة، مُهلك أعداءه ومتلفهم.

قوله: «مجلي الصدى»: مزيل الصدى، أي: العطش، والأولى جالي، والمراد: كاشف الكرب.

قوله: «يا ويل من فيه اعتدى»: دعاء بالحزن والهلاك على من يخوض في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه «اعتدى» بانتقاصه وهضم حقوقه أو غلا فيه، قاله ابن قاسم.

وقوله: «فحبه كحبهم حتمًا وجب..»:

أي: أن حب علي رضي الله عنه واجب كحب الخلفاء الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم جميعًا؛ لعموم الأدلة الدالة على وجوب محبة المؤمنين عامة والصحابة خاصة، وعليٌّ رضي الله عنه من أكابر الصحابة، فهو

رابع الخلفاء الراشدين.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكل من كان في قلبه غلٌّ على أحد من الصحابة، ولم يترحم عليهم جميعهم، فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية؛ لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين، والأنصار، والتابعين[(١)].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظًّا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم[(٢)]، انتهى.

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ: «**أَنْ لا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**»[(٣)].

وقد تقدم حديث سَلَمة وفيه أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**»[(٤)].

فكيف لمؤمن لا يحب من أحبه الله ورسوله، وأحب الله ورسوله،

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ٦١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٣١-٧٨) وغيره.

(٤) متفق عليه: تقدم تخريجه.

فمحبة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تابعة لمحبة الله ورسوله؛ لأن كل محبوب لغيره، إلا الله تعالى فهو محبوب لذاته، فمحبة غير الله تابعة لمحبة الله جل في علاه.

وقوله: «ومن تعدى أو قلى فقد كذب»:

أي: من تعدى في حبه وغلا في محبته «أو قلى» أي: أو كرهه وتركه وهجره وهضم حقه الثابت بالنص والإجماع «فقد كذب» أي: فقد كذب على الله ورسوله، ورد النص والإجماع، إما بالغلو فيه كما فعل الشيعة الروافض أو بانتقاصه كما فعل الخوارج.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكما لبَّس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا علي بن أبي طالب، حمل آخرين على الغلو في حبه فزادوه على الحد، فمنهم من كان يقول: هو الإله، ومنهم من يقول: هو خير من الأنبياء[(١)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في عليّ بدعوى الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له، ولهذا كان مبدؤه من النفاق[(٢)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما عليّ فأبغضه وسبه- أو كفره- الخوارجُ، وكثير من بني أمية وشيعتهم الذين قاتلوه وسبوه، فالخوارج تكفر عثمان وعليًّا وسائر أهل الجماعة[(٣)].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي (١٠١).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٤).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٥).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٣- وبعدُ فالأفضلُ باقي العَشَرَةْ فأهلُ بَدرٍ ثُمَّ أهلُ الشَّجَرَةْ

١٥٤- وقيلَ أهلُ أُحُدٍ الْمُقَدَّمَةْ والأوَّلَ أَوْلَى للنُّصوصِ الْمُحكَمَةْ

١٥٥- وَعائِشَة فِي العِلمِ مَعَ خديجةْ فِي السَّبْقِ فَافهَم نُكْتَةَ النَّتِيجَةْ

الشرح

«**وبعد فالأفضل**»: أي: أفضل الصحابة بعد الخلفاء الراشدين «**باقي العشرة**» الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»(١).

مسألة: هل بشر رسول الله ﷺ أحدًا من الصحابة بالجنة غير هؤلاء العشرة؟ وهل يجوز أن نشهد لأحد بالجنة غير الذين بشرهم النبي ﷺ أنهم من أهل الجنة؟

نعم، لقد بشر النبي ﷺ آخرين بالجنة غير هؤلاء العشرة الكرام منهم: الحسن والحسين، عمار بن ياسر وآله، سعد بن معاذ، بلال، حارثة بن سراقة، حارثة بن النعمان، عمرو بن الجموح، أبو الدحداح وغيرهم، رضي

(١) صحيح: سنن الترمذي (٣٧٤٧)، سنن أبي داود (٤٦٤٩) من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله عنهم جميعًا.

ومن النساء: خديجة، فاطمة، عائشة، وزوجاته، وأم سليم بنت حرام بن ملحان (امرأة طلحة) وغيرهن، رضي الله عنهن جميعًا.

ذكر الأحاديث التي جاءت فيها البشارة بالجنة من رسول الله ﷺ لهؤلاء الصحابة الكرام:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحسَنُ والحُسَينُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجنَّة**»(١).

عَن أَبي الزُّبَيْرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِآلِ عَمَّارٍ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ لَهُمْ: «**أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**»(٢).

وعَن أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةُ سُنْدُسٍ وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا**»(٣).

وعن جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سَمِعتُ النبي ﷺ يقول: «**اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**»(٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الفَجْرِ: «**يَا بِلَالُ**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٦٢، ٦٤، ٨٢)، والترمذي (٣٧٦٨)، والحاكم (٣/ ١٦٦، ١٦٧)، وأبو يعلي (٢/ ٣٩٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٢٢٥)، وله شواهد كثيرة صححه بها الألباني في الصحيحة (٧٩٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٨٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٨، ٣٨٩)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٨)، ومسلم (٢٤٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦).

حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ[(١)].

وعن حميد قال: سمعتُ أَنَسًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «**وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ**»[(٢)].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ**» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ**» وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ»[(٣)].

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ؟ -وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرْجَاءَ-، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». فَقَتَلُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ**» فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨٢).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ١٥١، ١٦٧)، وأبو يعلي (٧/ ٣٩٩)، والحاكم (٣/ ٢٠٨)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠١١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٥٦).

ﷺ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ(١).

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً، وَإِنَّمَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَأْمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ**» فَأَبَى، فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي. قَالَ: فَفَعَلَ. قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي، فَاجْعَلْهَا لَهُ، وَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ**» -قَالَهَا مِرَارًا- قَالَ: فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ؛ فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَتْ: رَبِحَ الْبَيْعُ -أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا(٢).

ومن النساء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٩٩)، وابن أبي شيبة في تاريخ المدينة المنورة (١/ ١٢٨-١٢٩)، عن أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وله شاهد عند ابن حبان في صحيحه (٧٠٢٤) عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣١٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن النضر الأنصاري، وهو ثقة، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٣/ ٢١٦)، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (ص: ١٤٦)، وفي تحقيقه لفقه السيرة (ص: ٢٦٧).

(٢) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب (١٣٣٢)، وابن حبان في «موارد الظمآن» (٢٢٧١) وأصله عند مسلم (٩٦٥) عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَـالَ: خَـطَّ رَسُـولُ اللهِ ﷺ فِـي الْأَرْضِ أَرْبَعَـةَ خُطُوطٍ، قَالَ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَـمُ. فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ»[(١)].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ الأَسَدِيِّ قَالَ: لَمَّا سَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى البَصْرَةِ، بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَدِمَا عَلَيْنَا الكُوفَةَ، فَصَعِدَا المِنْبَرَ، فَكَانَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ المِنْبَرِ فِي أَعْلَاهُ، وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنَ الحَسَنِ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَسَمِعْتُ عَمَّارًا يَقُولُ: «إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى البَصْرَةِ، وَوَاللهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلَاكُمْ؛ لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ»[(٢)].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ، ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَإِذَا بِلَالٌ»[(٣)].

وهل يجوز أن نشهد لأحد بالجنة غير الذين بشرهم النبي ﷺ أنهم من أهل الجنة؟

بينَ أهل العلم نزاع في هذه المسألة، فذهب فريق إلى أنه لا يجوز أن نشهد لأحد بالجنة لم يشهد له النبي ﷺ أنه من أهل الجنة؛ لأنه من الغيب

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٩٣)، والحاكم (٢/ ٥٩٤) (٩/ ١٦٠، ١٨٥)، والطحاوي في المشكل (١/ ٥٠)، والطبراني في الكبير (١١٩٢٨)، وصححه لشواهده الألباني في «الصحيحة» (١٥٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠) وغيره.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٥٧) وغيره.

الذي لا يعلمه إلا الله أو أعلمه لنبيه ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام.

وقال آخرون: يجوز أن نشهد لأهل الصلاح- الذين اتفق المسلمون على أنهم من أهل التقوى- أنهم من أهل الجنة، ومِن أظهر ما استدلوا به لقولهم حديثُ أنس بن مالك رضي الله عنه الذي أخرجه الشيخان، وفيه أنه قال: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَجَبَتْ**» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ**» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»[(١)].

قال ابن تيمية رحمه الله: فمن شهد له النبي بالجنة شهدنا له بالجنة، وأما من لم يشهد له بالجنة، فقد قال طائفة من أهل العلم: لا نشهد له بالجنة، ولا نشهد أن الله يحبه، وقال طائفة: بل من استفشى من بين الناس إيمانه وتقواه، واتفق المسلمون على الثناء عليه؛ كعمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، وعبد الله بن المبارك رضي الله عنهم، وغيرهم، شهدنا لهم بالجنة؛ لأن في الصحيح، أن النبي ﷺ مر عليه بجنازة.. وساق الحديث كما تقدم[(٢)]. وهو الراجح عندي للحديث المتقدم، والله أعلم.

وقوله: «فأهل بدر»:

أي أن أهل غزوة بدر أفضل الصحابة بعد العشرة المبشرين بالجنة،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) واللفظ للبخاري.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٥١٩).

وأهل بدر هم الذين قاتلوا مع رسول الله ﷺ مع قلة عددهم، والعشرة أيضًا من أهل بدر، وكانت بدر في رمضان من السنة الثانية من الهجرة[(١)]، وكان النصر للمسلمين، فقد استغاث رسول الله ﷺ ربه، فاستجاب له سبحانه وأمده بالملائكة تقاتل معه هو وأصحابه، وقد بشرهم أن الله قد غفر لهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وقال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من شهر رمضان.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تستجيرون به من عددكم وتطلبون منه الغوث والنصر.

وروي عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٥٥).

الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ - وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ(١).

﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم﴾ مرسل إليكم مددًا وردءًا لكم، بألفٍ من الملائكة مردفين(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر](٣).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ(٤).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا شَاوَرَهُ فِي قَتْلِ حَاطِبِ بن أبي بَلْتَعة: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) وغيره.

(٢) تفسير البغوي (٢/ ٢٧٢، ٢٧٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ١٩١)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٠، ٢٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٥٢).

أَهْلِ بَدْرٍ، فقال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم»(١).

وقوله: «ثم أهل الشجرة..»:

أي في الأفضلية بعد أهل بدر، أهل بيعة الرضوان، الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة بالحديبية.

قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة... وأنهم كانوا ألفًا وأربعمائة، وأن الشجرة كانت سمُرة بأرض الحديبية(٢).

وَعَنِ البَرَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَاهَا، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا، فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابَنَا»(٣).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ، ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ، فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٠).
(٣) أخرجه البخاري (٤١٥٠).

صَعِدَهَا خَيْلُنَا، خَيْلُ بَنِي الْخَزْرَجِ، ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ**» فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ، يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ، قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ»(١).

وقوله: «وقيل أهل أُحد المقدَّمة...»:

أي أن بعض أهل العلم قالوا: أهل غزوة أُحد أفضل من أهل الشجرة؛ لأن غزوة أحد مقدمة في الزمن، وقعت في السنة الثالثة للهجرة «**وَالأَوَّل أوْلَى للنُّصُوص المُحْكَمَة**» أي: أن القول الأول بأن أهل بيعة الرضوان أفضل من أهل غزوة أحد، فالفضل ثابت لهم بنص الكتاب والسنة، فأهل الشجرة كُتب لهم الرضوان كما سبق بيانه، أما أهل أحد فقد عاتبهم الله تعالى ثم عفا عنهم، قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالتحقيق أن أهل بيعة الرضوان يلون أهل بدر في الأفضلية... لأن الله تعالى قال في أهل بيعة الرضوان ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال في أهل غزوة أحد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران] وفي الآية الأخرى ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٥٢] فوصفهم في الموضعين بالعفو، ووصف أهل البيعة بالرضى،

---

(١) أخرجه مسلم (١٢-٢٧٨٠).

وهو أعلى وأسنى، وأفضل من العفو، وهذا ظاهر، والله تعالى أعلم[(١)].

تنبيه: تفضيل نوع على نوع، لا يقتضي تفضيل كل فرد:

المراد بالأفضلية من حيث الجملة، ولا يلزم تفضيل كل فرد مثلًا من المهاجرين على كل فرد من الأنصار، وإنما نقول: الصحبة أفضل من غيرها، ولا أحد من غير الصحابة يساوي أحدًا من الصحابة، وكذلك الهجرة، وكذلك كل ما امتازت به جملة على غيرها من غير هضم للمفضول من الفضائل والكمالات التي امتاز بها على غيره، من غير تلك الحيثية التي فضله فيها غيره... والله أعلم[(٢)].

وقوله:

وَعائِشَةُ فِي العِلمِ مَعَ خَديجَةْ   فِي السَّبْقِ فافهَم نُكْتَةَ النَّتِيجَةْ

أي: وعائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهي الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، وزوج رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، وأحب الناس إلى رسول الله ﷺ[(٣)]، وقد جاء بها الملَك لرسول الله ﷺ في حَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ قَبْلَ أَنْ يتزوجها ﷺ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُكِ فِي المَنَامِ يَجِيءُ بِكِ المَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقَالَ لِي: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ»[(٤)].

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٨٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع شرح البيت الثالث والخمسين بعد المائة.

(٤) أخرجه البخاري (٥١٢٥)، ومسلم (٢٤٣٨).

فهي من أفضل نساء أهل الأرض، وقد نزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو في لِحَافِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(١)، وهذه منقبة اختصت بها دون زوجاته، ولـم يتزوج بكرًا إلا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وكانت بركة على الأمة كلها فقد كانـت سببًا في نـزول آيـة التيمم(٢)، فهي العابدة الفقيهة العالمة، كان يأتي إليها أكابر الصحابة يسألوها إذا أُشكل عليهم أمر من أمور الدين، لكثرة ما تحمله من علم أخذته عن رسول الله ﷺ.

قال الـذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: مسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين(٣). انتهى.

وغير ذلك من مناقبها وهي كثيرة.

أما خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال، كانت أول امرأة يتزوجها، وكان عُمْر رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة خمسًا وعشرين(٤).

قال ابـن هشـام رَحِمَهُ اللَّهُ: تزوجهـا رسـول الله ﷺ ولـم يتـزوج عليهـا غيرهـا حتى ماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وولدت لرسول الله ﷺ ولده كُلهـم -إلا إبـراهيم-، وهـم: القاسم، وبه كان يُكنى ﷺ، وأما أم إبراهيم فهي مارية القبطية، وأما الطاهر، والطيب، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة -عليهم السلام- كلهم من

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٧٧٥).
(٢) انظر: صحيح البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٨).
(٤) انظر: البداية والنهاية (٢/ ٣٢٥).

خديجة رضي الله عنهم جميعًا[١].

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: فولدت لرسول الله ﷺ ولده كُلهم -إلا إبراهيم-: القاسم وبه يُكنى رسول الله ﷺ، وقال ابن إسحاق: فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا في الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ.

قال ابن هشام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما إبراهيم فأمه مارية القبطية[٢]. انتهى.

«ومات وهو ابن ثمانية عشر شهرًا... وجزم الواقدي بأنه مات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر، وقال ابن حزم: مات قبل النبي بثلاثة أشهر»[٣].

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد آمنتْ بالنبي ﷺ وصدقته ونصرته، فهي أفضل نساء النبي ﷺ في السبق إلى الإسلام ومؤازرة الرسول ﷺ.

ولذلك قال صاحب النظم «**فافهم**» فهم تحقيق وإذعان «**نكتة النتيجة**» أي: أثر فائدة الخلاف، والناتج أن خديجة أفضل بحسب السبق والمؤازرة، وعائشة بالعلم ومحبة رسول الله ﷺ وتفضيلها على سائر أزواجه، وفي الصحيحين أنَّ الله بعث إلى خديجة بالسَّلام، وبشَّرَها بِبيت في الجنَّة مِن

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام (١/ ١٢٢)، أشرف على تحقيقه شيخنا مصطفى بن العدوي حفظه الله.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: فتح الباري (٣/ ٢٠٨).

قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ ولَا نَصَبَ[١].

وعائشة: سلم عليها جبرائيل على لسان رسول الله ﷺ[٢]، ولـم يتـزوج بكـرًا غيرهـا، وقـال: «**فَضْـلُ عَائِشَـةَ عَلَى النِّسَـاءِ، كَفَضْـلِ الثَّرِيـدِ عَلَى سَـائِرِ الطَّعَامِ**»[٣]، وأُنزل في براءتها آيات تتلى إلى يـوم القيامـة، وشـهد بأنهـا مـن الطيبات، ومناقبها وسائر أزواج النبي ﷺ كثيرة شهيرة، قاله ابن قاسم.

---

(١) أخرجـه البخـاري (٣٨٢٠)، ومسـلم (٢٤٣٢) وغيرهمـا مـن حـديث أبـي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) يشير إلى حديث عائشة وفيه قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا: «**يا عائشة هذا جبريل يُقْرئك السلام**» فقالت: وعليه السـلام ورحمـة الله وبركاتـه، تَـرَى مـا لا أَرَى، تريـد رسول الله ﷺ، أخرجه البخاري (٣٧٦٨) ومسلم (٢٤٤٧) وغيرهما.

(٣) أخرجـه البخـاري (٣٧٦٩)، ومسـلم (٢٤٣١) وغيرهمـا مـن حـديث أبـي موسـى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فصل

في ذكر الصحابة الكرام وبيان مزاياهم على غيرهم والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل وتقبيح مَن آذاهم

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

١٥٦- وَلَيْسَ فِي الأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ فِي الفَضْلِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِصَابَةِ
١٥٧- فَإِنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا المُخْتَارَ وَعَايَنُوا الأَسْرَارَ وَالأَنْوَارَ
١٥٨- وَجَاهَدُوا فِي اللهِ حَتَّى بَانَا دِينُ الهُدَى وَقَدْ سَمَا الأَدْيَانَا
١٥٩- وَقَدْ أَتَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي لِلغَلِيلِ
١٦٠- وَفِي الأَحَادِيثِ وَفِي الآثَارِ وَفِي كَلامِ القَوْمِ وَالأَشْعَارِ
١٦١-مَا قَدْ رَبَا مِنْ أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي عَنْ بَعْضِهِ فَاقْنَعْ وَخُذْ عَنْ عِلْمِي

الشرح

تَقَدَّمَ أَنَّ الصَّحَابِيَّ هو من لقي النَّبيَّ ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، صغيرًا كان أو كبيرًا، طالت مُدَّةُ اللِّقَاءِ، أو قَصُرَتْ(١).

فَقَوْلُهُ: «وَلَيْسَ فِي الأُمَّةِ كالصَّحابة...»:

أي: وليس في أُمَّةِ رَسُولِ الله ﷺ كالصَّحابة- رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم- «**فِي الفَضْلِ والمَعْرُوفِ**»؛ لأنَّهم أَفْضَلُ الأُمَّةِ المحمَّديَّة، والأمَّة المحمَّديَّة أفضل الأمم بِنَصِّ القرآن؛ قال تعالى ذِكْرُهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

(١) راجع إن شئت شرح البيت السابع والأربعين بعد المائة.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

والمَعْرُوفُ ضِدُّ المُنْكَرِ[1]؛ فَالمَعْرُوفُ يَدْخُلُ فيه كلُّ خيرٍ، كما أنَّ المُنْكَرَ يدخل فيه كلُّ شَرٍّ؛ فالصَّحَابَةُ -رضوانُ الله عليهم- اجْتَمَعَ لَهُمْ مِنْ صِفَاتِ الخير والصَّلاح والتَّقوى والبرِّ ما لم يجتمع لغيرهم، وهذا بِنَصِّ القُرْآنِ والسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ أَئِمَّةِ العلم.

ذكر بعض فضائل الصحابة من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

وقد زكَّى الله عَقَائِدَهُم؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

---

(١) انظر: الصحاح (ص: ٦٩٤).

وقال جلَّ وعلا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر]، وقال سبحانه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾ [الحشر: ٩]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

كَتَبَ لهم الرّضوان- سبحانه وتعالى- من فوق سبع سماوات، وقد عَلِمَ في علمه الأزليِّ الأبديِّ أنَّ هؤلاء الصَّحابة الكرامَ لهم من الصِّفات التي لم تجتمع لِبَشَرٍ غَيْرِهِم إلاَّ للأنبياء، فرضي عنهم، وكتب لهم الرِّضوانَ في آياتٍ تُتْلَى إلى يوم القيامة؛ قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح]، وَوَعَدَهُمْ- جَلَّ ذِكْرُهُ- بالجنَّة فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

وقد استدلَّ غيرُ واحِدٍ من أهلِ العلم بقَوْلِ الله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أنَّ جميع الصَّحابة بدون استثناء من أهل الجنَّة، مقطوع بذلك[1].

بل جعل النَّارَ مصيرَ مَن خَالَفَهم في عقائدهم، وأصول إيمانهم؛ قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) انظر: أحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٢٣٣)، وتفسير السعدي (ص: ٨٣٨)، وغيرهما.

﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

قال البَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾؛ أي: يُخَالِفُهُ. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾؛ التَّوحيد والحدود. ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: غير طريق المؤمنين. ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: نَكِلُهُ في الآخِرَةِ إلى ما تولَّى في الدُّنيا ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ١١٥﴾»(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلُّ ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتَّقين والمحسنين ومَدْحِهِم والثَّناء عليهم؛ فهم- أي الصَّحابة- أوَّلُ من دخل في ذلك من هذه الأمَّة، وأفضلُ مَنْ دَخَلَ من هذه الأمَّة»(٢).

بعض فضائل الصحابة من السنة المطهرة:

سَبَقَ ذِكْرُ بَعْضِ فَضَائِلِ أفرادٍ من الصَّحابة، وها هنا أذكر بعض الأحاديث التي جاء فيها فَضْلُ الصَّحابة جميعًا:

فقد رَوَى البخاريُّ وَمُسْلِمٌ في «صَحِيحَيْهِمَا» من حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَجَبَتْ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**»(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»(٤).

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٢٨٧).
(٢) منهاج السنة (٢/ ٤٩).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(١)، فبيَّنَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ بَقاءَهُ أَمَانٌ لأَصْحَابِهِ، وبَقاءَ أَصْحَابِهِ أَمَانٌ لِلأُمَّةِ.

عن أبي بُرْدَةَ، عن أبيه، قال: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ. قَالَ: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «**مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ. قَالَ: «**أَحْسَنْتُمْ**» أَوْ: «**أَصَبْتُمْ**» قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»(٢).

وأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ الله تعالى يفتح بهم البلاد؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ الرَّسُولَ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَغْزُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ الرَّسُولَ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ**»(٣).

وَأَخْبَرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الأمَّة لا تزال بخير ما دام فيها الصَّحابة، أو مَن رأى الصَّحابة؛ قال رسولُ الله ﷺ: «**لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآنِي**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٧- ٢٥٣١).
(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (٢٠٨- ٢٥٣٢).

وَصَاحَبَنِي، وَاللهِ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَ مَنْ صَاحَبَنِي»(١).

شهادة النبي ﷺ بأنَّ من أغضب الصَّحابة فقد أغضب الله تعالى:

عن عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**» فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا. يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي(٢).

مسألة: حكم من سب الصحابة الكرام؟

اعلم أن سبَّ الصَّحابة حرام بالإجماع؛ لأنَّه شقاقٌ لله ورسوله، وقد تنازع أهل العلم في حكم مَن سبَّ صحابة رسول الله ﷺ فمنهم من قال: فاسقٌ، مبتدعٌ، يُضرب، يُؤدَّب، ومنهم من حكم بكفره.

ومن العلماء من فصَّل في المسألة، فحكم بكفر من طعن في عدالتهم وعقيدتهم؛ لأنَّ هذا الطَّعن تكذيبٌ لله ورسوله؛ لأنَّ الله تعالى زكَّاهم في كتابه، وكتب لهم الرِّضوان، وكذا زكَّاهم رسول الله ﷺ كما ذكرنا أدلَّة ذلك آنفًا.

ومنهم من كفَّر من سبَّ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا على وجه الخصوص؛ لأن براءتها نزلت في كتاب الله عزَّ وجلَّ، ومنهم من كفَّر مَن سبَّ أبا بكر وعمر، ومن شهِد له النبي ﷺ بالجنَّة، ومنهم من قال: من سبَّ الصَّحابة عاصٍ ملعونٌ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٧٦)، كتاب الإيمان.

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقد خاب وخسر من سَبَّ أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنَّه خَالَفَ الله ورسوله، وَلَحِقَتْهُ اللَّعْنَةُ من الله - عزَّ وجلَّ - وَمِنْ رَسُولِهِ، ومن الملائكة، ومن جميع المؤمنين، ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا - لا فَرِيضَةً ولا تَطَوُّعًا - وهو ذَلِيلٌ في الدُّنيا، وَضِيعُ القَدْرِ، كَثَّرَ الله بهم القبور، وأخلى منهم الدُّورَ»[1].

قال القاضي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَسَبُّ آل بَيْتِهِ وأزواجه وأصحابه ﷺ وَتَنَقُّصُهُم حَرَامٌ، مَلْعُونٌ فَاعِلُه». ثُمَّ ساق جُمْلَةً من الأحاديث الدَّالَّة على مَنَاقِبِ الصَّحابة... إلى أن قال: «وقد اختلف العلماء في هذا؛ فَمَشْهُورُ مَذْهَبِ مالك في ذلك الاجْتِهَادُ والأَدَبُ المُوجِعُ»[2].

قال مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ ﷺ قُتِلَ، وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابَهُ أُدِّبَ» وقال أيضًا: «مَنْ شَتَمَ أَحَدًا من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضَلالٍ وَكُفْرٍ، قُتِلَ، وإن شَتَمَهُمْ بغير هذا مشاتمة النَّاس، نُكِّلَ نَكَالًا شديدًا...».

وروي عن مالك: «من سَبَّ أبا بكر جُلِدَ، ومن سَبَّ عائشة قُتِلَ. قيل له: لم؟ قال: مَنْ رَمَاهَا، فَقَدْ خَالَفَ القُرْآنَ»[3].

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أنَّ سَبَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَرَامٌ مِنْ فَوَاحِشِ

---

(١) الشريعة (ص: ٧١٦).

(٢) الشفا (ص: ٤٩٢).

(٣) المصدر السابق.

المحرَّمات؛ سَوَاءٌ من لَابَسَ الفِتَنَ منهم وَغَيْرُهُ؛ لأَنَّهم مجتهدون في تلك الحروب، متأوِّلون... ».

وقال القاضي عياض: «وَسَبُّ أَحَدِهِم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنَّه يُعَزَّرُ، ولا يُقْتَلُ، وقال بَعْضُ المالكيَّة: يُقْتَلُ»[1].

قال ابن حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اخْتُلِفَ في سَابِّ الصَّحَابِيِّ، فقال عِيَاضُ: ذهب الجمهور إلى أنه يُعَزَّرُ، وعن بعض المالكية يقتل، وخصَّ بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسنين، فحكى القاضي حسين في ذلك وجهين، وقوَّاه السُّبْكِيُّ في حَقِّ مَن كفَّر الشيخين، وكذا من كفَّر مَن صَرَّحَ النَّبِيُّ ﷺ بإيمانه، أو تبشيره بالجنة، إذا تواتر الخبر بذلك عنه؛ لما تضمَّن من تكذيب رسول الله ﷺ»[2].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ- في معرض كلامه عن حكم مَن سَبَّ الصحابة-:
«أَمَّا مَنِ اقْتَرَنَ بِسَبِّهِ دَعْوَى أَنَّ عَلِيًّا إله، أو أنَّه كان هو النَّبيَّ، وإنَّما غلط جبرائيل في الرِّسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شَكَّ في كفر من توقف في تكفيره.

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وَكُتِمَتْ، أو زعم أن له تأويلات باطنة تُسْقِطُ الأعمالَ المشروعة، ونحو ذلك، وهؤلاء يُسَمَّوْنَ القرامطة، والباطنية، ومنهم التَّنَاسُخِيَّةُ، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

وأما مَن سَبَّهُم سَبًّا لا يقدح في عدالتهم، ولا في دينهم، مثل وصف

---

(١) شرح مسلم (٨/ ٣٣٤).
(٢) الفتح (٧/ ٤٤).

بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك، فهذا مَحَلُّ الخلاف فيهم؛ لتردد الأمر بين لعن الغيظ، ولعن الاعتقاد.

وأمَّا من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدُّوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضع عشرة نفسًا، أو أنَّهم فسقوا عامَّتهم، فهذا لا ريب أيضًا في كفره؛ لأنه مكذِّب لما نَصَّهُ القرآن في غير موضع من الرِّضا عنهم، بل مَن يَشُكُّ في كفر مثل هذا فإن كفره متعيِّن؛ فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران]، وخيرُها هو القرن الأول، كان عامتهم كفارًا أو فساقًا، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام...

وبالجملة فمن أصناف السَّابَّة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يُحكم بكفره، ومنه من تُردد فيه»[(١)].

الراجح:

أَنَّ مَن سَبَّ الصَّحابة- رضوان الله عليهم- أو طعن في عدالتهم، أو عقيدتهم، أو ادَّعَى أنَّهم ارتدُّوا بعد موت النَّبيِّ ﷺ أو ما أشبه ذلك، فهو كافر بلا ريب؛ لأسباب:

الأوَّل: أنَّ الطَّعنَ في الصحابة يُعَدُّ تكذيبًا للقرآن الذي جاء فيه في أكثر من موضع تزكية الله تعالى لهم، وقد ذكرتُ آنفًا الآيات الدالة على فضل الصحابة.

---

(١) الصارم المسلول (ص: ٤٣٧).

الثاني: أَنَّ الطَّعْنَ في الصحابة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - تكذيب للرَّسول ﷺ الَّذي زكَّاهم، وَشَهِدَ لِكَثِيرٍ منهم بالجنَّة، وقد تَقَدَّمَ بيانُ ذلك بالأحاديث الصَّحيحة الثَّابتة عن النَّبيِّ ﷺ.

الثَّالث: أَنَّ الطَّعْنَ فيهم طَعْنٌ في الدِّينِ كُلِّهِ - الكِتَابِ والسُّنَّة - فلا يَخْفَى على أَحَدٍ أَنَّ الَّذي جَمَعَ القرآنَ هم الصَّحابة الكِرَامُ، وهم الَّذين نَقَلُوا لنا السُّنَّة؛ فَقَدْ رضي الله عنهم، وَاخْتَارَهُمْ لِصُحْبَةِ نبيِّه ﷺ وإقامة دينه وشرعه، وجعلهم ورثته ﷺ مِنْ بَعْدِهِ.

أَمَّا من سَبَّ الصَّحَابَةَ تَغَيُّظًا غير معتقد فَسَادَ دِينِهِم، أو عدالتِهم، فهذا فَاسِقٌ عَاصٍ يؤدَّب، ولا يكفَّر، وهو على خَطَرٍ عَظِيمٍ. وهذا ما اختاره شيخُ الإسلام، وغيرُه، والله تعالى أعلم.

وقوله: «والإصابة»:

ذكر صاحب النَّظْمِ رَحِمَهُ اللهُ في أوَّل هذا البيت أن ليس في الأمَّة كالصَّحابة في الفضل والمعروف، وقد تقدَّم شرحُ البيت.

ثمَّ قال في آخر البيت: «والإصابة» أي: إنَّهم أحقُّ النَّاس في الإصابة للأحكام الشَّرعيَّة؛ فهم أقرب النَّاس إلى الصَّواب، فقد تلقَّوا العلم من رسول الله ﷺ ويا لها من منزلة؛ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله:

فَإِنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا الْمُخْتَارَ ... وَعَايَنُوا الأَسْرَارَ وَالأَنْوَارَ

يواصل المصنف رَحِمَهُ اللهُ الكلام عن فضل الصَّحابة، وأنهم أقرب الناس

إلى الصواب ومعرفة الحق، كما سبق بيانه، مُعَلِّلًا ذلك بأنهم قد شاهدوا «**المختار**» أي: رسول الله ﷺ الذي اختاره ربُّ العالمين لتبليغ رسالته للجنِّ والإنس، وجعله خاتم النَّبيين، وسيِّد المرسلين، وقد تقدَّم ذكرُ شيء من فضائل نبيِّنا ﷺ.

«**وعاينوا**» أي: رأوا في صحبتِهم لرسول الله ﷺ.

«**الأسرار**» أسرار القرآن، فعلموا مُحْكَمَه ومتشابهه، وأسباب نزول آياته، وما فيه من أحكام، وأخبار الأمم السابقة، وكذا عاينوا السنة المطهرة، وحفظوا الأحاديث عن رسول الله ﷺ، فهم الذين نقلوا لنا الشَّريعة.

«**والأنوار**» أي: أنوار الوحيَين الكتاب والسُّنَّة.

قال تعالى ذكرُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝١٧٤﴾ [النساء].

وقوله:

وَجَاهَدُوا فِي اللهِ حَتَّى بَانَا ... دِينُ الهُدَى وَقَدْ سَمَا الأَدْيَانَا

أي أنَّ الصَّحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- قد جاهدوا في سبيل الله؛ لنصر دينه، وسنَّة نبيِّه ﷺ ولم يبخلوا بشيء، بل بذلوا الغالي والثَّمين، وضحَّوا بأغلى ما عندهم؛ تركوا الدِّيار والأهل، وهاجروا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وما ضعفوا، وما استكانوا، وما تردَّدوا في نصرة الدِّين.

«**حتَّى بانا دينُ الهدى**» حتَّى ظهر هذا الدِّين، وانتصر.

«**وقد سما الأديانا**» أي: علا هذا الدِّين على سائر الأديان، فأيُّ دين غير

الإسلام باطل؛ فالإسلام دينُ الحقِّ، ولا يقبل الله تعالى من العباد غيرَه؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وقوله:

وَقَدْ أَتَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ ... مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي لِلغَلِيلِ

أي: وقد جاء في محكم التَّنزيل؛ أي: كتاب الله المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه «**من فضلهم**» أي: من فضل الصَّحابة رضوان الله عليهم «**ما يشفي الغليل**» أي: المريض، مريض القلب، الشَّاكَّ في فضلهم، الحاقدَ عليهم؛ وقد أثنى سبحانه وتعالى عليهم في أكثر من موضع في كتابه، وقد ذكرتُ أدلة ذلك[1].

وقوله:

وَفِي الأَحَادِيثِ وَفِي الآثَارِ ... وَفِي كَلامِ القَوْمِ وَالأَشْعَارِ

أي: أتى فضل الصَّحابة أيضًا في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وقد بيَّنَّا ذلك أيضًا.

«**وفي الآثار**» التي وردت عن الصحابة والتابعين «**وفي كلام القوم**» من أئمة العلم والدين والفقهاء الذين نهجوا نهج الصحابة، ومن تبعهم بإحسان «**والأشعار**» أي: الشعر المباح المنضبط بضوابط الشَّرع؛ مثل شعر حسَّان بن ثابت وغيره؛ الذي جاء فيه الثَّناء على الصَّحابة بما يُرضي الله تعالى.

---

(١) راجع البيت السادس والخمسين بعد المائة.

وقوله:

مَـا قَـدْ رَبَـا مِـنْ أَنْ يُحِـيطَ نَظْمِـي عَنْ بَعْضِهِ فَاقْنَعْ وَخُذْ عَـنْ عِلْمِي

رَبَا الشَّيْءُ يَرْبُو رُبُوًّا وَرِبَاءً: زاد، ونما [(١)]؛ يعني: أنه قد قيل من الأشعار ما زاد وعلا «**من أن يحيط نظمي**» به في هذه الأبيات ويضيق «**عن بعضه**» فضلًا أن يحيط بكله «**فاقنع وخذ عن علمي**» أي: اقنع بما أشرت إليه في هذا النظم، وما ذكرتُ من أدلة، خذ ذلك؛ لأنه عن علم ويقين ومعرفة.

(١) اللسان (٤/ ٥٤).

قال صاحب النظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٢ - وَاحْذَرْ مِنَ الخَوْضِ الَّذِي قَدْ يُزْرِي بِفَضْلِهِمْ مِمَّا جَرَى لَوْ تَدْرِي

١٦٣ - فَإِنَّهُ عَنِ اجْتِهَادٍ قَدْ صَدَرْ فَاسْلَمْ أَذَلَّ اللهُ مَنْ لَهُمْ هَجَرْ

١٦٤ - وَبَعْدَهُمْ فَالتَّابِعُونَ أَحْرَى بِالفَضْلِ ثُمَّ تَابِعُوهُمْ طُرًّا

الشرح

الخَوْضُ لُغَةً: اللَّبْسُ فِي الأَمْرِ. والخوض من الكلام: ما فيه الكذب والباطل، وقد خاض فيه، وفي التَّنزيل العزيز: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨]، وخاض القوم في الحديث: تخاضُّوا؛ أي: تفاوضوا فيه[(١)].

أي: واحذر «**من الخوض**» أي الكلامَ الَّذي فيه الكذب والباطل. «**الذي قد يُزْرِي**» أي: يَحُطُّ وينقص «**بفَضْلِهِم**» أي: فَضْل وَقَدْر الصَّحابة الكرام «**ممَّا جرى**» أي: ممَّا وقع بينَهم وشَجَرَ بينَهم عن اجتهاد، لا للسَّعي وراء دنيا أو ملك؛ فهم أبعد النَّاس عن هذه الأمور المذمومة، وقد سبق بيان تزكية الله تعالى لهم، وتزكية رسوله ﷺ.

وأيضًا سبق بيان حكم من سَبَّ صحابةَ رسول الله ﷺ، فهو من أعظم الذُّنوب على الإطلاق «**لو تدري**» أي: ليتك تدري شؤمَ الانتقاص والحطِّ من قَدْرِهم «**فإنَّه عَنِ اجْتِهَادٍ قد صَدَر**» أي أنَّ ما وقع بين الصَّحابة، وما جرى بين عليٍّ ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من قتال، كان عن اجتهاد من كلا الفريقين،

(١) اللسان (٤/ ٥٤).

لا أحد منهم كان يقاتل لدنيا، أو خلافة، وسيأتي بيان ذلك.

ومعلوم أنَّ المجتهد إذا أصاب أو أخطأ له أجر؛ قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أجران، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»(١).

وقوله: «فاسْلم أذلَّ الله مَن لهم هجر»:

أي: احرص على سلامة دينك، مما يَشِينُكَ عند الله بسبب الخوض فيما شجر بينهم، «**أذلَّ الله مَنْ لهم هَجر**» دعاء على كل من طعن في الصَّحابة الكرام، وعاداهم، وهجرهم، ولم يوالهم، كما يفعل الرَّوافض والنَّواصب ومن وافقهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في معرض ذكره أصول أهل السنة والجماعة:

«ويتبرأون من طريقة الروافض الذين يُبْغِضُونَ الصحابة، ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة.

ويقولون: إن هذه الآثار في مساوئهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغُيِّرَ عن وجهه الصحيح منه، هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون[١]، وأن المُدَّ من أحدهم إذا تصدَّق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم[٢]...

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما مَنَّ الله به عليهم من الفضائل، علم يقينًا أنهم خير الخَلْقِ بعد الأنبياء؛ لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصَّفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم، وأكرمها على الله تعالى[٣].

مطلب: بيان الحق فيما وقع بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

قد سبق بيان فضل الصَّحابة من الكتاب والسُّنَّة، وفضل الخلفاء، وأنَّ رابعَهم عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أمَّا معاوية فالأمَّة مجمعة على عَدِّهِ من الصَّحابة؛ فهو بلا شكٍّ داخل في عموم هذه النُّصوص التي جاء فيها الثَّناء من الله ورسوله على الصَّحابة، وذكر فضائلهم ومحاسنهم؛ فمعاوية صحابيٌّ جليل، ومِن كُتَّابِ الوحي المنزَّل من ربِّ العالمين على رسولنا الأمين.

قال ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: واتَّفق العلماء على أنَّ معاويةَ أفضلُ ملوك هذه الأمَّة؛ فإنَّ الأربعة قبلَه كانوا خلفاء نبوَّة، وهو أوَّل الملوك، كان ملكُه ملكًا ورحمة، كما جاء في الحديث: «**يَكُونُ المُلْكُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا**

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٥ - ١٥٦) باختصار.

وَرَحْمَةً، ثُمَّ مُلْكًا وَجَبْرِيَّةً، ثُمَّ مُلْكًا عَضُوضًا[(١)]»[(٢)]، وكان في ملكِه من الرَّحمة والحلم والعفو ونفع المسلمين ما يُعْلِمُ أنه كان خيرًا من ملك غيره.

وأمَّا من قبله فكانوا خلفاء نبوَّة؛ فإنه ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ- أَوْ مُلْكَهُ- مَنْ يَشَاءُ**»[(٣)][(٤)].

وأذكر هنا باختصار ما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما حتى يتبين لك الحق:

إنَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه لمَّا قُتِلَ مظلومًا، انعقدت الخلافة على أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم ينقل أحدٌ أنَّ معاوية نازع عليًّا في الخلافة، ولكنَّه خرج يطالب عليًّا أن يقتل قتلة عثمان قصاصًا، ولكنهم قد انتشروا في عسكر المسلمين، وكان عليٌّ كما قال الحافظ ابن حجر[(٥)]: «ينتظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه، فإذا ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان، اقتصَّ منه، فاختلفوا بحسب ذلك». انتهى كلامه.

وإن كان عليٌّ هو المحقَّ، كما جاءت الأحاديث الدَّالَّة على ذلك، فإن معاوية وإن كان مخطئًا فهو مجتهد.

أمَّا دليل أن عليًّا هو ومن معه أولى بالحق من معاوية وأصحابه، ما أخرجه البخاري في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخُدْرِيِّ، وفيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ،**

---

(١) عضوض؛ أي: يُعَضُّ. اللسان (٦/ ٣٠٠)، والمعنى: يُتَمَسَّكُ بالملك.
(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٨٤٠٦) بنحوه، وصححه الألباني في الصحيحة (٥).
(٣) صحيح: سنن أبي داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، وأحمد (٥/ ٢٢٠).
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٧).
(٥) انظر: الفتح (١٣/ ٦١).

وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ»[١].

وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ أيضًا، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»[٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بعد أن ذكر حديث أبي سعيد الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بطُرُقِه-: «فهذا الحديث من دلائل النُّبوَّة؛ لأنَّه قد وقع الأمر طبقَ ما أخبر به الرَّسول ﷺ، وفيه الحكمُ بإسلام الطَّائفتين: أهل الشَّام، وأهل العراق، لا كما تزعمه فرقة الرَّافضة أهل الجهل والجَور من تكفيرهم أهل الشَّام، وفيه أنَّ أصحابَ عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أدنى الطَّائفتين إلى الحقِّ.

وهذا مذهبُ أهلِ السُّنَّة والجماعة؛ أنَّ عَلِيًّا هو المصيبُ، وإن كان معاوية مجتهدًا في قتاله له، وقد أخطأ، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن عليًّا هو الإمام المصيب إن شاء الله تعالى، فله أجران، كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَان، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»»[٣].

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في معرض شرحه لحديث أبي سعيد بطرقه-: «هذه الرِّوايات صريحة في أن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان هو المصيبَ المحقَّ، والطَّائفة الأخرى أصحاب معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كانوا بُغاةً متأوِّلين، وفيه تصريح بأنَّ الطَّائفتين مؤمنون، لا يخرجون بالقتال عن الإيمان، ولا يفسَّقون، وهذا

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧).
(٢) أخرجه مسلم (١٥٠/ ١٠٦٥).
(٣) متفق عليه: تقدم تخريجه قريبًا.

مذهبنا، ومذهب موافقينا»[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة، بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله- تعالى- عن المخطئ في الاجتهاد[٢]، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأنَّ المصيبَ يؤجَر أجرين»[٣].

قال أبو عثمان الصَّابونيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في ثنايا ذكر عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة-: «ويرون الكفَّ عمَّا شجر بين أصحاب رسول الله- صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمَّن عيبًا لهم، ونقصًا فيهم، ويرون التَّرحُّم على جميعهم، والموالاة لكافَّتهم.

وكذلك يرون تعظيمَ قَدْرِ أزواجه- رضي الله عنهن- والدُّعاء لهنَّ، ومعرفة فضلهنَّ، والإقرار بأنَّهنَّ أمَّهات المؤمنين»[٤].

كلام نفيس للآجري يتبين منه العلة في الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ:

قال محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي لمن تدبر ما رسمنا من

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٥٩، ٦٠).

(٢) عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» صحيح ابن ماجه (٢٠٤٣)، والبيهقي في الكبرى (١١/ ٢٦٣)، والإرواء (٨٢).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٤٢).

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٩٤).

فضائل أصحاب رسول الله ﷺ وفضائل أهل بيته- رضي الله عنهم أجمعين- أن يحبهم ويترحم عليهم ويستغفر لهم، ويتوسل إلى الله الكريم بهم ويشكر الله العظيم إذ وفقه لهذا، ولا يذكر ما شجر بينهم، ولا ينقر عنه، ولا يبحث.

فإن عارضنا جاهل مفتون قد خطئ به عن طريق الرشاد فقال: لم قاتل فلان لفلان ولم قتل فلان لفلان وفلان؟ قيل له: ما بنا وبك إلى ذكر هذا حاجة تنفعنا، ولا اضطررنا إلى علمها.

فإن قال: ولم؟ قيل له: لأنها فتن شاهدها الصحابة رضي الله عنهم فكانوا فيها على حسب ما أراهم العلم بها، وكانوا أعلم بتأويلها من غيرهم، وكانوا أهدى سبيلًا ممن جاء بعدهم؛ لأنهم أهل الجنة، عليهم نزل القرآن، وشاهدوا الرسول ﷺ وجاهدوا معه، وشهد لهم الله- عز وجل- بالرضوان والمغفرة والأجر العظيم، وشهد لهم الرسول ﷺ أنهم خير قرن، فكانوا بالله- عز وجل- أعرف، وبرسوله ﷺ وبالقرآن وبالسنة، ومنهم يؤخذ العلم، وفي قولهم نعيش، وبأحكامهم نحكم، وبأدبهم نتأدب، ولهم نتبع، وبهذا أمرنا.

فإن قال: وإيش الذي يضرنا من معرفتنا لما جرى بينهم والبحث عنه؟ قيل له: ما لا شك فيه؛ وذلك أن عقول القوم كانت أكبر من عقولنا، وعقولنا أنقص بكثير، ولا نأمن أن نبحث عما شجر بينهم فنزل عن طريق الحق ونتخلف عما أمرنا فيهم.

فإن قال: وبم أمرنا فيهم؟ قيل: أمرنا بالاستغفار لهم والترحم عليهم والمحبة لهم والاتباع لهم. دل على ذلك الكتاب والسنة وقول أئمة

المسلمين، وما بنا حاجة إلى ذكر ما جرى بينهم. قد صحبوا الرسول ﷺ وصاهرهم وصاهروه، فبالصحبة يغفر الله الكريم لهم، وقد ضمن الله- عز وجل- في كتابه أن لا يخزي منهم واحدًا، وقد ذكر لنا الله تعالى في كتابه أن وصفهم في التوراة والإنجيل؛ فوصفهم بأجمل الوصف ونعتهم بأحسن النعت وأخبرنا مولانا الكريم أنه قد تاب عليهم، وإذا تاب عليهم لم يعذب واحدًا منهم أبدًا ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة].

فإن قال قائل: إنما مرادي من ذلك لأن أكون عالمًا بما جرى بينهم فأكون لم يذهب علي ما كانوا فيه؛ لأني أحب ذلك ولا أجهله. قيل له: أنت طالب فتنة؛ لأنك تبحث عما يضرك ولا ينفعك، ولو اشتغلت بإصلاح ما لله – عز وجل- عليك فيما تعبّدك به من أداء فرائضه واجتناب محارمه كان أولى بك.

وقيل: ولا سيما في زماننا هذا مع قبح ما قد ظهر فيه من الأهواء الضالة.

وقيل له: اشتغالك بمطعمك وملبسك من أين هو؟ أولى بك، وتكسبك لدرهمك من أين هو؟ وفيما تنفقه أولى بك.

وقيل: لا يأمن أن يكون بتنقيرك وبحثك عما شجر بين القوم إلى أن يميل قلبك، فتهوى ما لا يصلح لك أن تهواه، ويلعب بك الشيطان، فتسب وتبغض من أمرك الله بمحبته والاستغفار له وباتباعه، فتزل عن طريق الحق وتسلك طريق الباطل.

فإن قال: فاذكر لنا من الكتاب والسنة وعمن سلف من علماء المسلمين ما يدل على ما قلت؛ لترد نفوسنا عما تهواه من البحث عما شجر بين الصحابة

- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- قيل له: قد تقدم ذكرنا لما ذكرته مما فيه بلاغ وحجة لمن عقل»[(١)].

وقوله: «وبعدهم فالتَّابعون أحرى بالفضل...»:

أي: وبعد الصَّحابة في الفضل والدين ومكارم الأخلاق وكل الصفات الحميدة، هم التابعون لهم بإحسان؛ فهم «**أحرى بالفضل**» أي: أجدر وأحقّ النَّاس بأن يوصَفوا بالفضل من غيرهم. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة]. وقال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[(٢)].

فالتَّابعون كان لهم الفضل؛ لكونهم صاحبوا أصحابَ رسول الله ﷺ وتلقَّوا منهم العلمَ الذي أخذوه عن رسول الله ﷺ.

وقوله: «ثمَّ تابعوهم طرًّا»:

أي: إنَّ أَحَقَّ النَّاس بالفضل بعد التَّابعين «**تابعوهم**»أي: تابعي التَّابعين «طُرًّا»؛ أي: جميعًا[(٣)]؛ لأنَّهم هم القرن الثَّالث الَّذي أثنى عليه رسول الله ﷺ كما تقدَّم في الحديث.

---

(١) الشريعة، للآجري (ص: ٧٠٨- ٧٠٩)، طبعة دار الحديث- القاهرة.
(٢) صحيح: تقدم تخريجه.
(٣) اللسان (٥/ ٥٨٢).

فصل

في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها

قال المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٥- وَكُلُّ خَارِقٍ أَتَى عَنْ صَالِحِ ... مِنْ تَابِعٍ لِشَرْعِنَا وَنَاصِحِ

١٦٦- فَإِنَّهَا مِنَ الكَرَامَاتِ الَّتِي ... بِهَا نَقُولُ فَاقْفُ لِلأَدِلَّةِ

١٦٧- وَمَنْ نَفَاهَا مِنْ ذَوِي الضَّلالِ ... فَقَدْ أَتَى فِي ذَاكَ بِالمُحَالِ

١٦٨- فَإِنَّهَا شَهِيرَةٌ وَلَمْ تَزَلْ ... فِي كُلِّ عَصْرٍ يَا شَقَا أَهْلِ الزَّلَلِ

الشرح

انتقل المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بعد الانتهاء من ذكر فضائل الصَّحابة والتَّابعين وتابعي التابعين، إلى ذكر أصل من أصول أهل السُّنَّة والجماعة، ألا وهو ذكرُ كرامات الأولياء.

قوله: «وكلُّ خارق أَتَى عَنْ صَالِحٍ مِنْ تَابِعٍ لِشَرْعِنَا وَنَاصِحِ»:

«**وكل خارق**» أي: كلّ خارق للعادة؛ مرادُه بذلك الكرامة؛ وهي أمر خارق للعادة من قبل شخص مقارن للاعتقاد الصحيح والأعمال الصالحة، غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح فهو استدراج، وما قُرن بدعوى النبوة فهو معجزة[1]، ولذلك قال المصنف: «**أتى عن صالحٍ**» لأنَّ الطَّالح والدجَّال والمشعوذ وما يجري على أيديهم

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٨١)، وانظر: التعريفات للجرجاني (ص: ٢٣٥).

من أمور الدجل والشعوذة فهو فتنة، وليس كرامة.

فالحاصل أنَّ الأمر الخارق للعادة لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: الآيات أو المعجزات التي تجري على يد الأنبياء، يظهرها الله تعالى لتكون تأييدًا لهم في دعوتهم. وقد سبق بيان معجزات الأنبياء.

الثاني: الكرامة يمن بها الله على أوليائه؛ إكرامًا لهم.

الثالث: ما يجري على يد الدَّجَّالين من أمور خارقة للعادة تكون من مساعدة الشَّياطين لهم، كما يظهر هذا عندَ بعض السَّحرة والمشعوذين.

فالمعجزة للأنبياء، والكرامة للأولياء، والشَّعوذة للأشقياء.

مبحث: في كرامات الأولياء والفرق بينها وبين الأحوال الشيطانية:

ابتداءً لا بُدَّ أن نعرف مَنْ هم أولياء الله، ومن هم أولياء الشَّيطان؛ حتَّى نستطيع أن نفرق بين أحوال كلا الفريقين.

أولياء الرحمن هم المؤمنون المتقون، جاءت صفتهم في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس].

فَالوَلِيُّ هو المؤمن التَّقيُّ، ومن المعلوم أن أعلى طرق تفسير القرآن أن يُفَسَّرَ القرآن بالقرآن، وقد سبق بيان ذلك(١)، وذكر أنواع الولاية(٢).

وفي الحديث القدسي الذي رواه النبي ﷺ عن رب العزة قال: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ

---

(١) راجع تفسير الطبري (١١/ ١٣٢)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٢).

(٢) راجع إن شئت شرح البيت الثالث والخمسين.

إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١).

أما أولياء الشيطان: فقد ذكر الله تعالى أولياء الشَّيطان، فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝١١٩﴾ [النساء]، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٧﴾ [الأعراف]، وقال جلَّ جلاله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران]، وغير ذلك من الآيات.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ - في ثنايا تفريقِه بين أولياء الرحمن وأولياء الشَّيطان، وبعد أن ذكر جملة من الآيات والأحاديث-: «ومن ادَّعى محبَّة الله، ولم يتَّبع الرَّسول ﷺ فليس من أولياء الله، وإن كان كثير من النَّاس يظنُّون في أنفسهم، أو في غيرهم، أنَّهم من أولياء الله، ولا يكون من أولياء الله؛ فاليهود والنَّصارى يَدَّعُونَ أنهم أولياء الله وأحباؤه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة].

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله؛ لسكناهم مكة، ومجاورتهم البيت، وكانوا يستكبرون به على غيرهم، كما قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَـٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال] فبيَّنَ- سبحانه- أنَّ المشركين ليسوا أولياءه، ولا أولياء بيته، إنما أولياؤه المتقون.

وثبت في «الصحيحين» عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول جهارًا من غير سر: «**إِنَّ آلَ فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ**- يَعْنِي طَائِفَةً مِنْ أَقَارِبِهِ- **إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**»(١). وهذا مُوافِقٌ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [التحريم]. وصالح المؤمنين هو من كان صالحًا من المؤمنين؛ وهم المؤمنون المتَّقون أولياء الله»(٢).

وقال في موضع آخر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اتَّفق أهل المعرفة والتَّحقيق أنَّ الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يُتَّبَعْ إلَّا أن يكون موافقًا لأمر الله ورسوله، ومن رأى من رَجُل مُكَاشَفَةً أو تأثيرًا فاتبعه في خلاف الكتاب والسُّنَّة، كان من جنس أتباع الدَّجَّال؛ فإنَّ الدَّجَّال يقول للسَّماء: أمطري. فتمطر، ويقول للأرض: أنبتي. فتنبت، ويقول للخربة: أخرجي كنوزك. فتخرج معه كنوز الذَّهب والفضَّة. ويقتل رجلًا، ثم يأمر أن يقوم، فيقوم،

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ١٦٣- ١٦٤).

وهو مع هذا كافر، ملعون، عدو لله...

وقال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ دَجَّالُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**»(١)، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء].

ومن لم يفرِّق بين الأحوال الشَّيطانيَّة والأحوال الرَّحمانيَّة، كان بمنزلة من سوَّى بين محمَّد رسول الله، وبين مسيلمة الكذَّاب؛ فإنَّ مسيلمة كان له شيطان يَنْزِلُ عليه، ويوحي إليه.

ومن علامات هؤلاء أنَّ الأحوال إذا تنزَّلت عليهم وَقْتَ سَمَاعِ المُكَاءِ والتَّصدية، أزْبدُوا وأرْعدُوا كالمصروع، وتكلَّموا بكلام لا يُفْقَهُ معناه؛ فإنَّ الشَّياطين تتكلَّم على ألسنتهم، كما تتكلَّم على لسان المصروع.

والأصل في هذا الباب أن يعلم الرَّجل أنَّ أولياء الله هم الَّذين نَعَتَهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]؛ فكلُّ مَنْ كَانَ مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا». وساق الحديث القدسيَّ كما تقدم(٢). انتهى.

فالحاصل أنَّ الكرامة لا تكون إلَّا لأولياء الله، العارفين بالله، وبأسمائه، وبصفاته، الخاشعين، الصَّادقين، المخلصين، الحافظين لحدود الله، والمعظِّمين أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، المواظِبينَ على فعل الواجبات والمستحبَّات،

---

(١) أخرجه مسلم (٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣١٤- ٣١٦) باختصار.

أفعالُهم وأقوالُهم منضبطة بالكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمَّة.

الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة على ثبوت كرامات الأولياء:

من كرامات الأولياء التي جاءت في القرآن:

قصة أصحاب الكهف: الذين ناموا، وبقُوا أحياء أكثر من ثلاثمائة سَنَةً؛ قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ

مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ
يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ
بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ
سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ
أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر
رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي
كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف].

وقصَّة مريم: عندما اعتزَلَتْ الأهلَ والنَّاس، واتَّخذت مكانًا للتَّعبُّد، فكانت صالحةً قانتةً لله تعالى، حافظةً لفرجها، فلمَّا كانت كذلك، رزقها الله تعالى من غير أسباب، وبغير حساب؛ قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

وَرُزِقَتْ عيسى عليه السَّلام -وهو من أُولِي العَزْمِ من الرُّسل- بغير أَبٍ؛ فقد أرسل الله تعالى جبريل عليه السَّلام فنفخ فيها من روح الله عزَّ وجلَّ؛ أي: روحًا من عند الله، فكان عيسى؛ قال تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم]، وقال سبحانه: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ

ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران].

وقصَّة أصحاب البقرة: لَمَّا قُتِلَ رجل من بني إسرائيل، واختلفوا فيمن قتله، فأمر الله- تعالى- موسى أن يأمرهم أن يذبحوا بقرة، ويضربوه ببعضها، ففعلوا، فأحياه الله بإذنه، وَأَخْبَرَ عن الرَّجل الَّذي قتَلَهُ.

ولا شكَّ أنَّها كرامة لهؤلاء النَّاس؛ قال جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة].

وقصة الرَّجل الَّذي مَرَّ على القرية: وقد بَادَ أَهْلُهَا، وَسَقَطَتْ بيوتُها، ولم يَبْقَ منها شيء حَيٌّ، فَلَمَّا تعجَّب كيف يُحْيِي الله هذه القرية بعد أن أَفْنَى أهلَها وسقطت بيوتُها، أماته الله تعالى، ثمَّ بَعَثَهُ بعد مائة عام، ولا شكَّ أنَّ هذه كرامة لهذا الرَّجل؛ فقد ثَبَتَ عندَه اليقينُ على البعث، وقُدْرَةُ الله تعالى على إحياء الموتى؛ قال تبارك وتعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة]، وغير ذلك من الآيات الدَّالَّة على كرامات الأولياء.

ومن السنة:

إِضَاءَةُ نُورٍ بَيْنَ يَدَيْ أُسَيْدِ بن حُضَيْرٍ وعبَّاد بن بِشْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ؛ فعن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رجلين خرجا من عند النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة مظلمة، وإذا نُورٌ

بَيْنَ أيديهما حتَّى تفرَّقا، فتفرَّق النُّور معهما.

وقال مُعَمَّرٌ، عن ثَابِتٍ، عن أَنَس: إنه أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، وَرَجُلٌ من الأنصار.

وقال حَمَّادٌ: أخبر ثَابِتٌ، عن أَنَسٍ، أنَّهما كانا: أُسَيْدَ بْنَ حُضَيرٍ، وَعَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ عند النَّبِيِّ ﷺ [(١)].

وَأُسَيْدُ بنُ حُضَيرٍ رضي الله عنه بينما كان يقرأ القرآن، نَزَلَتِ الملائكةُ من السَّماء في الظُّلَّة، ودَنَتْ منه تَسْمَعُهُ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخرَى، فقرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا. قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا.

قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأِ ابْنَ حُضَيرٍ**» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأِ ابْنَ حُضَيرٍ**» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأِ ابْنَ حُضَيرٍ**» قَالَ: فَانْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠٥).

(٢) أخرجه البخاري معلَّقًا (٥٠١٨)، وَوَصَلَهُ مسلم (٧٩٦)، واللفظ له.

وقصَّةُ أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا ذَهَبَ بثلاثة أضياف معه إلى بيته، ودعا بطعام، فأكلوا وشَبِعُوا، فكانوا لا يرفعون لُقْمَةً إلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ منها؛ فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِضَيْفٍ لَهُ- أَوْ بِأَضْيَافٍ لَهُ- فَأَمْسَى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ، قَالَتْ لَهُ أُمِّي: احْتَبَسْتَ عَنْ ضَيْفِكَ - أَوْ عَنْ أَضْيَافِكَ - اللَّيْلَةَ؟!

قَالَ: مَا عَشَّيْتِهِمْ؟ فَقَالَتْ: عَرَضْنَا عَلَيْهِ - أَوْ عَلَيْهِمْ - فَأَبَوْا - أَوْ فَأَبَى - فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ، فَسَبَّ وَجَدَّعَ، وَحَلَفَ لَا يَطْعَمُهُ، فَاخْتَبَأْتُ أَنَا، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، فَحَلَفَتِ الْمَرْأَةُ لَا تَطْعَمُهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ- أَوِ الأَضْيَافُ- أَنْ لَا يَطْعَمَهُ- أَوْ يَطْعَمُوهُ- حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَأَنَّ هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ.

فَدَعَا بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لَا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: «وَقُرَّةِ عَيْنِي، إِنَّهَا الآنَ لَأَكْثَرُ قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ» فَأَكَلُوا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا[(١)].

وَعُمَرُ بنُ الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا أَرسَلَ جيشًا، أَمَّرَ عليهم رجلًا يسمَّى «سَارِيَةَ» فَبَيْنَما عُمَرُ يَخْطُبُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصِيحُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ. قَالَ: فَقَدِمَ رَسُولُ الْجَيْشِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا، وَإِنَّ الصَّائِحَ لَيَصِيحُ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ. فَشَدَدْنَا ظُهُورَنَا بِالْجَبَلِ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ. فَقِيلَ لِعُمَرَ: إِنَّكَ كُنْتَ تَصِيحُ بِذَلِكَ[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٤١)، ومسلم (٢٠٥٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (١/ ٣١٤)، باب القول في كرامات =

وخُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أسيرًا عند المشركين بمكَّة المكرَّمة، فكان يؤتَى بِعِنَبٍ، وليس في مكَّة عِنَبَةٌ؛ فقد أَخْرَجَ البخاريُّ في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ بعض بنات الحارث- وكان خُبَيْبٌ عندهم أسيرًا- قَالَتْ: وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْبًا[(١)].

وعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد قَتَلَ رجلًا من قريش ثم قُتِلَ، فتلمَّسُوا جَسَدَه، فلم يَقْدِرُوا عليه؛ ففي «صحيح البخاريِّ» من حديث أبي هريرة المتقدِّم، فيه: «**وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ، لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُولِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا**»[(٢)].

وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَا على أَرْوَى بِنْتِ الحَكَمِ لَمَّا كَذَبَتْ وادَّعَتْ عليه أنَّه أخذ مِنْ أَرْضِهَا، فَقَالَ: «اللهمَّ إن كانت كاذبة، فعمِّ بَصَرَهَا، واقْتُلْهَا في أَرْضِهَا» قال: فما ماتت حتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثمَّ بَيْنَا هي تمشي في أرضها، إذ وقعت في حُفْرَةٍ فماتت[(٣)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى**

=

الأولياء، وفي «دلائل النبوة» (٦/ ٣٧٠) وحسنه الألباني في الصحيحة (١١١٠).

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٩٨٩).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٠٤٥، ٣٩٨٩، ٤٠٨٦، ٧٤٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٣٩- ١٦١٠) من حديث هشام بن عروة، عن أبيه.

ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ» قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا، قَالَ: «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي

مِثْلَهَا، فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلْقَى مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ، وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ إِذْ سَمِعَ رَعْدًا فِي سَحَابٍ، فَسَمِعَ فِيهِ كَلَامًا: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ بِاسْمِهِ، فَجَاءَ ذَلِكَ السَّحَابُ إِلَى حَرَّةٍ فَأَفْرَغَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى ذِنَابِ شَرْجٍ، فَانْتَهَى إِلَى شَرْجَةٍ، فَاسْتَوْعَبَتِ الْمَاءَ، وَمَشَى الرَّجُلُ مَعَ السَّحَابَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَجُلٍ قَائِمٍ فِي حَدِيقَتِهِ يَسْقِيهَا، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟، قَالَ: وَلِمَ تَسْأَلُ؟، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ فِي سَحَابٍ هَذَا مَاؤُهُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ بِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا إِذَا صَرَمْتَهَا؟ قَالَ: أَمَا إِذْ قُلْتَ ذَلِكَ، فَإِنِّي أَجْعَلُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَثْلَاثٍ: أَجْعَلُ ثُلُثًا لِي وَلِأَهْلِي، وَأَرُدُّ ثُلُثًا فِيهَا، وَأَجْعَلُ ثُلُثًا فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ»(٢).

وحديث غلام الأخدود(٣)، وحديث الثلاثة أصحاب الغار(٤) وغيرها الكثير. وغير ذلك من الكرامات التي تجري على أيدي أولياء الله، من غير دَجلٍ، ولا شَعْوَذَةٍ، ولا سِحْرٍ، ولا كهَّانٍ؛ فهؤلاء هم الأولياء حقًّا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٠٦)، ومسلم (٨/ ٢٥٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٥/ ٢٩٨٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم (٣٠٠٥).

(٤) انظر: صحيح البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

أقوال أهل العلم:

قال ابن البَنَّا الحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأمَّا القَدَرِيَّةُ والمعتزلة وأنواعهم، فينكرون الصِّراط، والميزان، والكرسيَّ، وفَزَعَ يوم القيامة، ونعيم القبر وعذابه... إلى أن قال: وأنكروا كرامات الأولياء(١).

قال المتولِّي أبو سعد النَّيسابوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنكرت المعتزلة كرامات الأولياء بالكلِّيَّة، والدَّليل على ثبوتها قصَّة أصحاب الكهف، وما كانوا أنبياء، والدَّليل عليه قصَّة مريم- عليها السَّلام- فإنَّها خُصَّتْ بكرامات، فمن ذلك أنَّ زكريَّا كان يجد عندَها في الشِّتاء فاكهة الصَّيف، وفي الصَّيف فاكهة الشِّتاء، ومن ذلك حديث أمِّ موسى وما أُلْهِمَتْ، والقصَّة ظاهرة في القرآن، فعلم من ذلك جواز الكرامة للأولياء بخرق العادة، والدَّليل عليه أنَّ الأصول الخارقة للعادة مقدورة من الله تعالى، وليست تُستقبح عقلًا، وليس فيها قدح في المعجزات(٢).

قال ابن العربيُّ المالكيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا قول في كرامات الأولياء، وهي أصل الدين، وعمدة من عمد المسلمين، لا ينكرها إلا جاهل، اتفق عليها العلماء(٣).

قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فسبحان الله العظيم؛ فما ينكر كرامات الأولياء إلا جاهل(٤).

---

(١) المختار في أصول السنة، لابن البنا الحنبلي (ص: ٩٩).
(٢) الغنية في أصول الدين (ص: ١٥٢) باختصار.
(٣) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، لابن العربي (ص: ٣٧).
(٤) العلو للعلي الغفار، للذهبي (ص: ٦٩).

وقوله: «فإنَّها من الكرامات التي بها نقول فاقف للأدلة»:

أي: هذه الكرامات التي تظهر على أيدي الأولياء، هي التي يقرها ويقول بها أهل السنة والجماعة.

«**فَاقْفُ للأدلَّة**» أي: إنَّنا لم نُثْبِتِ الكرامات إلا بعد أن تواترت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأئمَّة المعتبرين؛ فمسائل الاعتقاد ليس فيها اجتهاد.

وقوله: «ومن نفاها من ذوي الضلال»:

أي: من نفى كرامات الأولياء من أصحاب الضَّلال الذين ينفونها؛ مثل المعتزلة ومن وافقهم.

وقوله: «فقد أتى في ذاك بالمحال»:

أي: بشيء محال؛ لأنَّ الكرامات ثابتة بأدلة الكتاب والسنة كما تقدَّم، ولا يَرُدُّ الأدلَّة الصَّحيحة الصَّريحة إلَّا ضالٌّ مضلٌّ.

قوله: «فَإنَّها شهيرة ولم تزل في كلِّ عصر يا شقا أهل الزلل»:

أي: إنَّها مشهورة معروفة عند أهل العلم، وما زالت ولا تزال موجودة في كلِّ عصر من الأعصار، ولذلك قال: «**يا شقا أهل الزَّلل**» فلا شكَّ أنَّ أهل الزَّيغ والضَّلال في شقاء في الدُّنيا؛ لأنَّهم يتخبَّطون في عقائدهم، وخسران مبين في الآخرة؛ فهم حقًّا في شقاء في الدنيا والآخرة؛ لانحرافهم عن الصراط المستقيم.

مطلب: لا يجوز تفضيل الأولياء على الأنبياء:

زعم جَهَلَةُ المتصوِّفة وأتباعهم أنَّ الوليَّ أفضل من النَّبيِّ، ولا يخفى ما في هذا القول من الضلال، ومخالفة العقل، وأدلة النَّقل من الكتاب والسُّنَّة

والإجماع، على أنَّ الأنبياء أفضل البشر، وأفضل الأنبياء نبيُّنا ﷺ بالنَّصِّ والإجماع.

وقد ذكر شيخ الإسلام وغيره من المحقِّقين أنَّ أوَّلَ من تكلَّم بمسألة تفضيل الوليِّ على النَّبيِّ أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ، وهو من العبَّاد المشاهير، المتوفَّى سنة (٢٤٦هـ)، وكانت عبارته حَذِرَةً، وَلَمَّا استنكر العلماء ذلك، أخرجه العلماء من دمشق، ثمَّ لَمَّا شاعت هذه المسألة وتكلَّم عنها أهل العلم، انطفأت بعض الوقت، ولم يجرؤ أحد أن يقولها، حتى جاء الحكيم التِّرمذيُّ- وهو معاصر لابن أبي الحواريِّ- تقريبًا، فكتب في هذه المسألة في كتاباته ومؤلَّفاته، وأشار إشارة صرَّح فيها بختم الولاية، وأن الولاية تُخْتَمُ كما تختم النُّبوَّة(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: وقد اتَّفق سلف الأمَّة وأئمَّتها وسائر أولياء الله تعالى، على أنَّ الأنبياء أفضلُ من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتَّب اللهُ عبادَه السُّعَدَاءَ المنعَم عليهم «أربع مراتب»، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

ثمَّ ساق جملة من الأحاديث الدَّالَّة على أن أفضل البشر بعد الأنبياء الصحابة، وذكر أحاديث تدل على التفاضل بين الصحابة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل(٢).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٢٣)، وشرح الطحاوية، لناصر العقل (١٠٠/ ٣) الكتاب مرقم آليًّا، رقم الجزء هو رقم الدرس.

(٢) راجع- إن شئت- شرح الأبيات من البيت السابع والأربعين بعد المائة، إلى البيت التاسع والخمسين بعد المائة.

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: وأفضل أولياء الله تعالى أعظمهم معرفة بما جاء به الرَّسول ﷺ واتِّباعًا له؛ كالصَّحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعملًا به؛ فهو أفضل أولياء الله، إذ كانت أمة محمد ﷺ أفضل الأمم، وأفضلها أصحاب محمَّد ﷺ وأفضلهم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقد ظنَّ طائفة غالطة أنَّ خاتم الأولياء أفضل الأولياء؛ قياسًا على خاتم الأنبياء، ولم يتكلَّم أحد من المشايخ المتقدِّمين بخاتم الأولياء إلَّا محمَّد بن علي الحكيم الترمذي؛ فإنَّه صنَّف مصنفًا غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد أنه خاتم الأولياء.

ومنهم من يدَّعي أنَّ خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأنَّ الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته، كما يزعم ابنُ عربيّ صاحب كتاب «الفتوحات المكِّيَّة» وكتاب «الفصوص» فخالف الشَّرع، والعقل، مع مخالفته جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه، كما يقال لمن قال: فخرَّ عليهم السَّقف من تحتهم، لا عقل ولا قرآن...

ثمَّ ساق جملة من الأدلة على أن نبيَّنا ﷺ أفضل البشر؛ قال: وادعي أنَّ من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمَّد ﷺ من له طريق إلى الله، لا يحتاج فيه إلى محمد؛ فهذا كافر ملحد، وإذا قال: «أنا محتاج إلى محمَّد في علم الظَّاهر دون علم الباطن»، أو في علم الشَّريعة دون علم الحقيقة، فهو شرٌّ من اليهود والنَّصارى الَّذين قالوا: إنَّ محمَّدًا رسول إلى الأمِّيِّين دون أهل الكتاب.

فإنَّ أولئك آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، فكانوا كفَّارًا بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: إنَّ محمَّدًا بُعِثَ بعلم الظاهر دون علم الباطن. آمن ببعض ما جاء به، وكفر ببعض، فهو كافر، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها، هو علم بحقائق الإيمان الباطن، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظَّاهرة.

فإذا ادَّعى المدَّعي أنَّ محمدًا ﷺ إنَّما عَلِمَ هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسُّنَّة، فقد ادَّعى أنَّ بعض الذي آمن به ممَّا جاء به الرَّسول دون البعض الآخر، وهذا شرٌّ ممَّن يقول: أومن ببعض وأكفر ببعض. ولا يدَّعي أنَّ هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين.

وهؤلاء الملاحدة يدَّعون أنَّ «الولاية» أفضل من النُّبوَّة، ويلبِّسون على النَّاس، فيقولون: ولايته أفضل من نبوَّته. وينشدون:

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ ... فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الوَلِيِّ

ويقولون: نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته. وهذا من أعظم ضلالهم؛ فإنَّ ولاية محمَّد لم يماثله فيها أحد؛ لا إبراهيم، ولا موسى، فضلًا عن أن يماثله هؤلاء الملحدون[1].

قال الطَّحاويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا نفضِّل أحدًا من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء- عليهم السَّلام- ونقول: نبيٌّ واحد أفضل من جميع الأولياء[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٢١- ٢٢٦).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٤٩٠).

قال ابنُ أبي العزِّ رَحِمَهُ اللهُ: يشير الشَّيخ- رحمه الله تعالى- إلى الرَّدِّ على الاتِّحاديَّة، وجَهَلَةِ المتصوِّفة، وإلَّا فأهل الاستقامة يؤمنون بمتابعة العلم، ومتابعة الشَّرع؛ فقد أوجب الله على الخَلْقِ كلِّهم متابعة الرُّسل؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

وقال أبو عثمان النَّيسابوريُّ: من أمَّر السُّنَّة على نفسه قولًا وعملًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة.

وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئًا من السُّنَّة إلَّا لِكِبْرٍ في نفسه.

والأمر كما قال؛ فإنَّه إذا لم يكن متَّبعًا للأمر الَّذي جاء به الرَّسول، ما كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعًا لهواه بغير هدًى من الله، وهذا غِشُّ النَّفس، وهو من الكِبْرِ؛ فإنَّه شعبة من قول الَّذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برئاسته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقهم، ومنهم من يظن أنه صار أفضل من الأنبياء.

ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدَّعي لنفسه أنه خاتم الأولياء، ويكون ذلك العلم هو

حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أَظْهَرَ الإنكارَ بالكلِّيَّة، لكن كان فرعون في الباطن أَعْرَفَ بالله منهم؛ فإنَّه كان مثبتًا للصَّانع، وهؤلاء ظنُّوا أنَّ الوجود المخلوق هو الوجود الخالق؛ كابن عربيٍّ، وأمثاله!!

وهو لَمَّا رأى أنَّ الشَّرعَ الظَّاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النُّبوَّة خُتِمَتْ، لكن الولاية لم تختم، وادَّعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة، وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها...

وهذا قلب للشريعة؛ فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس]، والنبوة أَخَصُّ من الولاية، والرسالة أخصُّ من الولاية، والرِّسالة أخصُّ من النُّبوَّة، كما تقدَّم التَّنبيه على ذلك.

وقال ابن عَرَبِيٍّ أيضًا في فصوصه: «وَلَمَّا مثَّل النَّبيُّ ﷺ النُّبوَّة بالحائط من اللبن، فرآها قد كملت إلَّا موضع لَبِنَةٍ، فكان هو ﷺ موضع اللَّبِنَةِ، وأمَّا خاتم الأولياء، فلا بدَّ له من هذه الرُّؤيا، فيرى ما مثَّله النَّبيُّ ﷺ ويرى نفسه في الحائط في موضع لَبِنَتَيْنِ، ويرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللَّبِنَتَيْنِ، فيكمل الحائط.

والسَّبب الموجب لكونه يراها لَبِنَتَيْنِ، أنَّ الحائط لَبِنَةٌ من فضَّة، وَلَبِنَةٌ من ذَهَبٍ، واللَّبِنَةُ الفضَّة هي ظاهره، وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السِّرِّ ما هو في الصُّورة الظَّاهرة متَّبع فيه؛ لأنَّه يرى الأمر على ما هو عليه؛ فلا بدَّ أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن؛ فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي إليه؛ إلى الرسول».

قال: «فإن فهمت ما أشرنا إليه، فقد حصل لك العلم النافع».

فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسول بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول؟ تلك أمانيهم! ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

وكيف يخفى كُفْرُ من هذا كلامُه؟ وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يَخْفَى منه الكفر، ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى ناقد جيد؛ ليُظهر زيفه؛ فإنَّ من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير.

وكُفْرُ ابن العربيِّ وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة اتحادية في الدَّرْكِ الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين؛ لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النَّبيِّ ﷺ ويُبْطِنُونَ الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين؛ لِمَا يظهر منهم، فلو أنَّه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر، لأجري عليه حكم المرتدِّ[١].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٤٩٠- ٤٩٢).

فصل

في المفاضلة بين البشر والملائكة

١٦٩- وَعِنْدَنَا تَفْضِيلُ أَعْيَانِ البَشَرْ   عَلَى مَلاكِ رَبِّنَا كَمَا اشْتُهِرْ

١٧٠- قَالَ وَمَنْ قَالَ سِوَى هَذَا افترى   وَقَدْ تَعَدَّى فِي المَقَالِ وَاجْتَرَا

الشرح

انتقل المؤلِّف إلى موضوع المفاضلة بين البشر والملائكة؛ قال: «**وعندنا**» أي: عند أهل السنة والجماعة «**تفضيل أعيان البشر**» أي: طوائف من البشر، وليس كل البشر؛ فالمراد بالأعيان هنا الأنبياء والأولياء، والأنبياء أفضل من الأولياء بلا ريب.

قوله: «على مَلاك ربِّنا كَمَا اشْتُهِرْ»:

أي: على الملائكة المكرمين «**كما اشتهر**» من مذهب أحمد.

قوله: «قال»: الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: «ومن قال سوى هذا افترى»: وأي إنسان قال بلسانه أو اعتقد بِجَنَانِهِ غير هذا القول بتفضيل بني آدم على الملائكة «**قد افترى**» أي: بما يشعر بالافتراء.

قوله: «وقد تعدَّى»:

أي: تجاوز الحدَّ المنقول والثَّابت عن رسول الله ﷺ[(١)]

(١) لم يرو حديث صحيح عن رسول الله ﷺ ذكر فيه تفضيل البشر على الملائكة.

والسَّلف الفحول.

«في المَقَال» الذي اعتمده.

«واجْترَا» أي: افتات على الشَّارع بالاعتقاد الذي اعتقده.

مسألة: هل الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة كما قرر ذلك صاحب النظم؟

بيْن أهل العلم خلاف في المسألة؛ فذهب فريق إلى أن الصالحين من بني آدم أفضل من الملائكة، ومما احتجوا به سجود الملائكة لآدم عليه السلام؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة].

وهذا ما ذهب إليه المنتسبون إلى السُّنَّة من أصحاب الأئمَّة الأربعة، وابن تيمية، وابن القيِّم، وغيرهم.

وذهب فريق إلى أنَّ الملائكة أفضل؛ لأنَّهم لا يعصون الله، وهم عبادُه المكْرَمون؛ قال تعالى ذكره: ﴿بَلْ عِبَادٞ مُّكْرَمُونَ ٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء]، وهو قول بعض أهل السُّنَّة، وبعض الصُّوفيَّة، والمعتزلة[1].

والقول الثالث: التَّوَقُّفُ، وعدم الدُّخول في هذا، وهو مذهب أبي

---

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٨٢).

حنيفة، وغيره[١].

قال ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا سئل عن صالحي بني آدم والملائكة، أيُّهما أفضل؟

فأجاب بأنَّ صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النَّهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية؛ فإنَّ الملائكة الآن في الرَّفيق الأعلى منزَّهون عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرَّبِّ، ولا رَيْبَ أنَّ هذه الأحوال أكمل من أحوال البشر. وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة، فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة.

قال ابن القيِّم: وبهذا التَّفضيل يتبيَّن سِرُّ التَّفضيل، وتتَّفق أدلَّة الفريقين، ويصالح كلٌّ منهم على حقِّه[٢].

وسئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن المطيعين من أمة محمد ﷺ: هل هم أفضل من الملائكة؟

فأجاب:

قد ثبت عن عبد الله بن عمرو أنه قال: «إن الملائكة قالت: يا رب جعلت بني آدم يأكلون، ويشربون، ويتمتَّعون، فاجعل لنا الآخرة، كما جعلت لهم الدنيا، قال: لا أفعل. ثم أعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا فقال: وعزتي لا أجعل صالح ذرية مَن خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان»، ذكره

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٤).

عثمان بن سعيد الدارمي، ورواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنن عن النبي ﷺ مرسلًا[١].

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قال: ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد، فقيل له: ولا جبريل ولا ميكائيل؟ فقال للسائل: أتدري ما جبريل وما ميكائيل؟ إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر، وما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما علمت عن أحد من الصحابة ما يخالف ذلك.

وهذا هو المشهور عند المنتسبين إلى السُّنَّة من أصحاب الأئمَّة الأربعة وغيرهم، وهو أن الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة[٢].

قال اللَّالَكَائِيُّ رحمه الله: ما دَلَّ من كتاب الله وسنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ في أنَّ بني آدم خَيْرٌ من الملائكة:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦١٧٣) عن ابن عمرو مرفوعًا، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٨٢): في إسناده طلحة بن زيد وهو كذاب.

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٤).

وقــال تعــالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

قال: وروي ذلك من التَّابعين عن عمر بن عبد العزيز ومحمَّد بن كعب القرظيِّ.

أخبرنا محمد بن علي بن محمد العطار، قال: نا عبيد الله بن محمد بن عبيد الله المكتب، قال: نا إبراهيم بن عبد الله بن أيوب، قال: نا صالح بن مالك، قال: نا أبو معشر، قال: نا محمد بن كعب القرظي، قال: «كنا جلوسًا عند عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بخناصرة، وعنده أمية، وعمرو بن سعيد بن العاص، وعراك بن مالك الغفاري، فتماروا، فقال عمر بن عبد العزيز: ما أحد أكرم على الله من بني آدم، فقال عراك بن مالك: ما أحد أكرم على الله من الملائكة؛ قال الله عز وجل: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء]، وما خدع إبليسُ آدمَ عليه السلام إلا بالملائكة، فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠]، فالملائكة أمناء الله ورسله وخزنة الدار في الجنة والنار، قال: فقال عمر رحمه الله: فما تقول أنت يا أبا حمزة؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، خلق الله آدم بيده، وأمر ملائكته أن

يسجدوا له، وجعل من ذريته أنبياء ورسلًا، وجعل من ذريته من تزوره الملائكة، قال الله عز وجل: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد]، وأما قولك يا أمير المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البينة]، ليس هذا لبني آدم خاصة، قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧]، والملائكة يؤمنون، وقال في سورة الجن: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ [الجن]، ثم جمع الخلائق كلهم فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البينة]، فهم خير الملإ في الجن والإنس»[١].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ٤٣-٤٤)، أثر رقم (٢٣١٨).

الباب السادس

في ذكر الإمامة ومتعلقاتها

قال النَّاظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧١- وَلا غِنَـى لأُمَّـةِ الإِسْـلامِ فِـي كُـلِّ عَصْـرٍ كَـانَ عَـنْ إِمَـامِ

١٧٢- يَذُبُّ عَنْهَا كُلَّ ذِي جُحُودِ وَيَعْتَنِـي بِـالغَزْوِ وَالحُـدُودِ

الشرح

ما أشدّ احتياج الأمَّة في هذا الزَّمان لمعرفة الإمامة ومتعلقاتها، فَحَرِيٌّ بكلِّ مسلم عاقل يبتغي بعمله وجه الله والدَّار الآخرة، أن يتعلَّم هذا الباب جيدًا قبل أن يلقِي بنفسه إلى التَّهْلُكَةِ، ويقع في شراك الخوارج الَّذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(١).

وفي رواية: «لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»(٢).

وقال ﷺ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٣).

وهذه الأحاديث من أعلام النبوة، فلم يكن على عهد رسول الله ﷺ مَن يقتل المسلمين بحجة أنهم كفروا بعد إسلامهم، أما الآن فهذا ظاهر جليٌّ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٤٣- ١٠٦٦)، واللفظ له من رواية أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٤٤- ١٠٦٦)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٥٤- ١٠٦٦) من رواية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في طوائف يدَّعون لأنفسهم أنَّهم على الحقِّ، وأنَّهم أصحاب الإسلام الصَّحيح.

فلا تتعجَّل أيُّها المسلم وتسمع وتطع لهم قبل أن تدرس فقه الإمامة وفقه الجهاد على يد أحد العلماء المشهود لهم بأنهم من أهل السُّنَّة والجماعة، أو ترجع إلى كتب الفقه وتبحث عن هذه المسألة في كتب أئمَّة أهل السُّنَّة؛ كمالك والشَّافعيِّ وأحمد وشيخ الإسلام وغيرهم.

فإن قال لك من تتلقَّى منه العلم خلاف ما جاء عن السَّلف، فلا تسمع له، ولا تطعه، وانْأَى بنفسك عن هذا المستنقع الذي نهايته قتل المسلمين، ودخولك النَّار؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

أيضًا لابدَّ أن نعرف من هو الإمام، وبِمَ تثبت الإمامة؟ وما هو حقُّ الإمام على الرَّعيَّة؟ وحقُّ الرَّعيَّة على الإمام؟ وهل يجب طاعة الإمام في كلِّ ما يأمر به أم أنَّ المسألة فيها تفصيل؟ وإذا كان الإمام ظالمًا كيف نتعامل معه؟ وهل يجوز الخروج عليه؟ إلى غير ذلك.

فالجهاد ثلاثة ضروب:

الأول: أن يأمر الإمام الجيش بالجهاد ضدَّ العدوِّ الكافر، فله السَّمع والطَّاعة.

الثاني: جهاد دفع؛ إذا هاجم العدو المسلمين في ديارهم، فلهم جميعًا أن يخرجوا للدِّفاع عن دينهم وأرضهم وأعراضهم، وفي تلك الحال يكون فَرْضَ عَيْنٍ على الجميع، حتَّى النِّساء.

الثالث: جهاد فتنة؛ وهو خروج المسلمين لقتال العدوِّ، من غير تجهيز جيش، أو عدِّ العدَّة، وهذا لا يجوز؛ لأنَّ فيه دمار البلاد والعباد، وسلب الأموال، وانتهاك الأعراض، وإلحاق الهزيمة بالمسلمين.

وكلُّ هذه المسائل مبسوطة في كتب الفقه، وسنذكر هنا ما يتعلق بالعقيدة؛ فالمقصود أن نعلم أهمِّيَّة هذه المسألة، ونعتني بها جيدًا، ويتعلمها شباب المسلمين؛ حتَّى تسلم عقيدتُهم من فكر الخوارج الضَّالِّين.

من هم الخوارج؟

سبق ذكر عقيدة الخوارج في غير موضع[(١)]؛ فباختصار «كلُّ من خرج على الإمام الحقِّ الَّذي اتَّفقت الجماعة عليه يسمَّى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيَّام الصَّحابة على الأئمَّة الرَّاشدين، أو كان بعدهم على التَّابعين بإحسان والأئمَّة في كلِّ زمان...

والوعيديَّة داخلة في الخوارج، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة، وتخليده في النَّار[(٢)].

قوله:

وَلا غِنَى لأُمَّةِ الإِسْلامِ ... فِي كُلِّ عَصْرٍ كَانَ عَنْ إِمَامِ

هذا حقٌّ؛ فلا يمكن لأمَّة الإسلام- ولا غيرها من الأمم- الاستغناء عن

---

(١) راجع- إن شئت- كتابي «عقائد الفرق الضالة وعقيدة الفرقة الناجية» وكذا كتابي «الدرر البهية».

(٢) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ١٢٩).

إمام يرعى مصالحها وشئونها، ويقودها إلى ما فيه مصلحة العباد، وصلاح البلاد؛ بأن يقودها بكتاب الله وسُنَّةِ نبيِّه ﷺ كي يتحقَّق للشُّعوب الأمنُ والأمانُ والرَّخاءُ والاستقرارُ؛ فلا بدَّ من إمام يأخذ على يد الظَّالم، ويمنع النَّاس من التَّعدِّي على بعضهم البعض؛ قال تعالى في إبراهيم عليه السَّلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

وعلى الرعية أن تطيع ولاة الأمور حيث أمروهم بما جاء في الكتاب والسُّنة، فإذا أمروا بِمعصيةٍ، فلا سمع ولا طاعة، ولا نخرج عليهم بالسِّلاح، ولا بالتَّحريض بالكلام، لكن نصبر ونحتسب كما أمرنا رسول الله ﷺ.

فعلى كلِّ مسلم أن يحتسب طاعة ولي الأمر في المعروف، أنها امتثال لأمر الله وأمر رسوله ﷺ يبتغي بذلك الأجر من الله، ويحتسب تجرُّعه ظلم الحاكم- إن كان ظالمًا- عند الله، يحتسب أنه لم يخرج عليه إلَّا امتثالًا لأمر رسول الله ﷺ لا لشخص الحاكم، ولا مداهنةً له، ولا لتقلُّد منصب أو غير ذلك من المصالح الدُّنيويَّة؛ فلا يبيع دينه بعرض من عروض الدُّنيا الزَّائلة، ويعلم أنَّ الله رقيب ومطَّلع على السَّرائر؛ فلو خدع النَّاس أجمعين، ما استطاع أن يفعل ذلك مع ربِّ العالمين العليم الخبير.

وقوله: «يذب عنها كل ذي جحود..»:

أي: يدفع عن أمة الإسلام الجبابرة والأكاسرة من الجاحدين الكافرين، وكل صاحب جحود- أو غيره- يريد بأهل الإسلام سوءًا.

وقوله: «ويعتني بالغزو..»:

هذا من مهامِّ الإمام؛ أن يطرد الكفَّار من بلاد المسلمين، ويمنعهم من

الاعتداء على البلاد؛ بأن يجهِّز لهم الجيش، ويُعِدَّ لهم العُدَّة، ولا يسمح لهم بغزو بلاد المسلمين، بل يغزوهم ويقاتلهم؛ ليجعل كلمة الله هي العليا.

مهام الإمام ومسئولياته:

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ - في معرض ذكره مهام الخليفة ومسئولياته-:

«والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نَجَم مبتدعٌ أو زاغ ذو شبهةٍ عنه، أوضح له الحجة، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروسًا من خللٍ، والأمة ممنوعةً من زللٍ.

الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النّصَفة، فلا يتعدى ظالمٌ، ولا يضعف مظلومٌ.

الثالث: حماية البَيْضة والذَّبُّ عن الحريم؛ ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين من تغريرٍ بنفسٍ أو مالٍ.

والرابع: إقامة الحدود؛ لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلافٍ واستهلاكٍ.

والخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظفر الأعداء بغِرَّةٍ ينتهكون فيها محرمًا، أو يسفكون فيها لمسلمٍ أو معاهدٍ دمًا.

والسادس: جهاد مَن عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة؛ ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله.

والسابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصًّا واجتهادًا من غير خوفٍ ولا عَسْفٍ.

والثامن: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سَرَفٍ ولا تقتيرٍ، ودفعه في وقتٍ لا تقديم فيه ولا تأخير.

التاسع: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطةً، والأموال بالأمناء محفوظةً.

العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال؛ لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلًا بلذةٍ أو عبادةٍ، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة ولا عَذَره في الاتّباع حتى وصفه بالضلال، وهذا وإن كان مستحقًّا عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة، فهو من حقوق السياسة لكل مسترعٍ، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[(١)].

قال ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا نظرنا في واقعنا اليوم، فإنَّنا سنجد أنَّ مسألة غزو الكفَّار ممحوَّة من القاموس، اللهم إلَّا ما يقع مدافعة، ومع ذلك فإنَّ ما

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص: ٣٨، ٣٩) ط. التوفيقية، وانظر: الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى (ص: ٢٧، ٢٨) ط. الكتب العلمية.

يقع مدافعة لا يكاد تجد فيه من يساعد هؤلاء المدافعين إلَّا النَّادر من أفراد الشُّعوب، أمَّا الحكومات الإسلاميَّة فإنَّها مع الأسف- ونقولها بكلِّ مرارة- لا تساعد على الأقلِّ مساعدة ظاهرة في الدِّفاع عن المسلمين، والأحداث لا تحتاج أن أفصِّلها؛ لأنَّها منشورة مشهودة.

إذن فلا بدَّ من مقاتلة الكفَّار؛ قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] وهذا فرض كفاية، ومعلوم أنَّ فرض الكفاية يحتاج إلى شرط، وهو القدرة، فبالنِّسبة للشُّعوب لا قُدْرَةَ لهم، وبالنِّسبة للحكومات فالله حسيبهم؛ منهم من يقتدر، ومنهم من لا يقتدر، وفي ظنِّي أنَّ كلَّ واحد منهم يقتدر بالنِّسبة للمضايقات الدِّبلوماسيَّة»(١).

وقوله: «والحدود»:

الحدُّ لغةً: المنع والفصل بين الشَّيئين؛ فكأنَّ حدودَ الشَّرع فصلت بين الحلال والحرام؛ فمنها ما لا يُقرب كالفواحش المحرَّمة.

ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، ومنه ما لا يُتعدَّى كالمواريث المعيَّنة، وتزويج الأربع، ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩](٢).

وشرعًا: عقوبة مقدَّرة شرعًا في معصية؛ من زنا، وقذف، وشرب، وقطع طريق، وسرقة، وإنَّما شرع الحدُّ ليمتنع من الوقوع في مثلها؛

---

(١) شرح السفارينية (ص: ٦٦٦، ٦٦٧).

(٢) لسان العرب (٢/ ٣٥٣).

أي: المعصية[(١)].

وجوب إقامة الحدود:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**»[(٢)].

وفي رواية: «... **أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[(٣)].

فإقامة الحدود من واجبات الإمام ومهامِّه الَّتي ينبغي ألَّا يُفَرِّطَ فيها، وقد سَبَقَ بَيَانُ ذلك آنِفًا في «مهامِّ الخليفة ومسئوليَّاته».

الفوائد التي تعود على الأمة وعلى الجاني من إقامة الحدود:

اعلم أنَّ الشَّرعَ لم يأمر بشيء إلَّا وفيه مصلحة كاملة، أو راجحة، ولم يَنْهَ عن شيء إلَّا وفيه ضرر كامل أو راجح.

فالله- جلَّ ثناؤه- أمر بإقامة الحدِّ على الجاني؛ لما فيه من مصلحة لأمَّة الإسلام؛ من زَجْرِ مَن تحدِّثه نفسُه بارتكاب الجرائم والفواحش، إذا ما شاهد إقامة الحدِّ على مثله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البقرة].

كيف يكون في القصاص حياة؟

لأنَّه بقتل القاتل وهو الجاني ينكفُّ المجرم، ويخاف أن يُقَامَ عليه الحَدُّ، فتزهق رُوحُه، ويعيَّر أهلُه، وتلحق بهم الفضيحة، فيتيقَّنَ أنَّ القتلَ

(١) مطالب أولي النهى، للسيوطي (٨/ ٤٣٥).

(٢) صحيح: سنن الترمذي (٤٩٠٤)، وابن ماجه (٢٥٣٨)، وأحمد (٢/ ٣٦٢).

(٣) رواه النسائي (٤٩٠٥)، موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه.

سَبَبُ خسرانِه الدُّنيا والآخرة، فينكفّ عن القتل، ومن هذا حياة النُّفوس.

المصلحة العائدة على الجاني من إقامة الحد عليه:

اعلم أنَّ إقامة الحدِّ على الجاني كفارة لـه في الـدنيا، فـلا يعاقبـه الله على فعله الذي استوجب له الحدَّ؛ فعن عبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: «**تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**»، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ[(١)].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: أكثر العلماء ذهبوا إلى أنَّ الحدودَ كفَّارة؛ أخذًا بهذا الحديث، ومنهم من وقف؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**لَا أَدْرِي الْحُدُود كَفَّارَة لِأَهْلِهَا أَمْ لَا**»[(٢)]، ولكن حديثَ عبادة أصحُّ إسنادًا، ولا تعارضَ بين الحديثين؛ فقد يمكن أن يكون حديثُ أبي هريرة ورد أولًا قبل أن يُعْلِمَه اللهُ ثم أعْلَمَهُ اللهُ تعالى بعد ذلك[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٤)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) **ضعيف**: أخرجه البزار (١٥٤٢ و١٥٤٣ - كشف الأستار)، والحاكم (١/ ٣٦) و(٢/ ١٤، ٤٥٠)، والبيهقي (٨/ ٣٢٩).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥/ ٥٥٠)، وانظر: شرح مسلم للنووي (١١/ ٢٢٤).

ثمَّ قال النَّاظمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٧٣- وَفِعْلُ مَعْرُوفٍ وَتَرْكُ نُكْرِ وَنَصْـرُ مَظْلُـومٍ وَقَمْـعُ كُفْـرِ

الشرح

وهذا أيضًا من واجبات الإمام؛ القيام بالأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والإمام تارة يتولى هذا بنفسه، كما كان يفعل الخلفاء من الصَّحابة- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- ومن بعدهم، وتارة يولِّي من ينوب عنه، وسيأتي في ثنايا نظم المصنِّف الكلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقوله: «ونصر مظلوم»:

وكذلك من مهامِّ الإمام الأخذ على يد الظالم، ونصر المظلوم، فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ**»[(١)].

وعن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، فَذَكَرَ: عِيَادَةَ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعَ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتَ العَاطِسِ، وَرَدَّ السَّلَامِ، وَنَصْرَ المَظْلُومِ، وَإِجَابَةَ الدَّاعِي، وَإِبْرَارَ المُقْسِمِ[(٢)].

فنصر المسلم واجب على المسلمين عامة- كلٌّ بِحَسَبِ قدرته قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] -وعلى الإمام خاصَّة؛ فهو من مسئولياته ومهامِّه؛ فليس لكلِّ فرد من الأمَّة القدرة على رفع الظُّلم، ونصر المظلوم، وَلَمَّا كان للإمام هذه القدرة- لأنَّه السُّلطة العليا في الدَّولة- وَجَبَ عليه نصر المظلومين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٥)، ومسلم (٢٠٦٦)، واللفظ للبخاري.

وقوله: «وقمع كفر»:

أي: على الإمام أن يقمع الكفر وأهله، ويمنع الكافر من أن يظهر عقيدتَه الفاسدة بين المسلمين، وقد اشترط عمر ﵁ على أهل الذِّمَّة شروطًا تدلُّ على هذا المعنى، قد ذكرها الأئمَّة الحفَّاظ(١).

قال شيخ الإسلام ﵀ - بعد أن ذكر شروط عمر بن الخطَّاب -: وهذه الشُّروط ذكرها أئمَّة العلماء من أهل المذاهب المتبوعة وغيرها في كتبهم واعتمدوها؛ فقد ذكروا أنَّ على الإمام أن يُلزم أهل الذِّمَّة بالتَّميُّز عن المسلمين في لِبَاسِهم وشُعُورِهم وكُنَاهُم وركوبِهم؛ بأن يلبسوا أثوابًا تخالف ثِيَابَ المسلمين... إلى أن قال: وهذه الشُّروط ما زال يجدِّدها عليهم من وفَّقه الله تعالى من ولاة أمور المسلمين، كما جدَّد عمر بن عبد العزيز...(٢).

فعلى الإمام أن يتبع هؤلاء الأكابر الَّذين لم يكونوا يخافون في الله أحدًا، وليعلم أنه سيسأله الله تعالى يوم القيامة عن رعيَّته؛ فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: «**وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير لقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة] (٢/ ٤٢٣)، و«أحكام أهل الذمة» لابن القيم.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٥٤) باختصار.

(٣) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

ثمَّ قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٤ - وَأَخْذُ مَالِ الفَيْءِ وَالخَرَاجِ وَنَحْوُهُ وَالصَّرْفُ فِي مِنْهَاجِ

الشرح

معنى الفيء: هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفَّار من غير حرب ولا جهاد. وأصله الرجوع، فاء يفيء، كأن كان في الأصل لهم، فرجع إليهم، ومنه قيل للظِّلِّ الذي يكون بعد الزوال: فيء؛ لأنه يرجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق(١).

والفرق بين الفيء والغنيمة أنَّ الغنيمة ما تحصَّل للمسلمين بالقتال والحرب؛ قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ [الأنفال].

والفيءُ ما يحصل بغير قتال ولا حرب؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر].

قال ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: فأمَّا الغنيمة فهي المال المأخوذ من الكفَّار بالقتال،

(١) اللسان (٧/ ٢٠١).

ذكرها الله في سورة الأنفال الَّتي أنزلها الله في غزوة بدر، وسمَّاها أنفالًا؛ لأنَّها زيادة في أموال المسلمين، فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال]... وساق أدلَّة أخر(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ- في معرض ذكره الفيء-: وسمِّي فيئًا؛ لأنَّ الله أفاءه على المسلمين- أي ردَّه عليهم- من الكفَّار(٢).

وهذا قولُ جماهير المفسِّرين منهم: ابنُ جرير، وابنُ كثير، والقرطبيُّ، والشِّنقيطيُّ، وغيرهم.

قسمة الغنائم:

قال تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال]. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ غَنَائِمِكُمْ، وَإِنَّهُ لَيْسَ لِي فِيهَا إِلَّا نَصِيبِي مَعَكُمْ إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ، وَأَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَصْغَرَ، وَلَا تَغُلُّوا؛ فَإِنَّ الْغُلُولَ نَارٌ وَعَارٌ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَجَاهِدُوا النَّاسَ فِي اللهِ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، وَلَا تُبَالُوا فِي اللهِ لَوْمَةَ

---

(١) السياسة الشرعية، لابن تيمية (ص: ٩٩).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٢٠).

لَائِمٍ، وَأَقِيمُوا حُدُودَ اللهِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ عَظِيمٌ يُنَجِّي اللهُ بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ»(١).

قال ابن رشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتَّفق المسلمون على أنَّ الغنيمة الَّتي تؤخذ قَسْرًا من أيدي العدوِّ- ما عدا الأرضين- أنَّ خمسَها للإمام، وأربعة أخماسها للَّذين غنموا. واختلفوا في الخمس على أربعة مذاهب مشهورة(٢). انتهى. والغنائم وأحكامها ومصرفها مذكور في باب الجهاد في كتب الفقه، والمقام هنا يضيق لذكرها.

كيف يقسم الإمام الفيء؟

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا لَمْ يُوجِفِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ، وَلَا رِكَابٍ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللهِ»(٣).

قال ابن رشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واختلف الناس في الجهة التي يصرف إليها، فقال قوم: إن الفيء لجميع المسلمين؛ الفقير والغني، وإن الإمام يعطي منه للمقاتلة وللحكام وللولاة، وينفق منه في النوائب التي تنوب المسلمين، كبناء القناطر، وإصلاح المساجد، وغير ذلك، ولا يخمس في شيء منه، وبه

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٦)، وحسَّن إسناده الحافظ في «الفتح» (٦/ ٢٧٧)، وانظر: الصحيحة (٩٨٥، ١٩٧٣).

(٢) بداية المجتهد (١/ ٤٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٠٤)، ومسلم (١٧٥٧)، وغيرهما.

قال الجمهور، وهو قول أبي بكر وعمر[(١)].

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: بل فيه الخمس، والخمس مقسوم على الأصناف الذين ذكروا في آية الغنائم، وهم الأصناف الذين ذكروا في الخمس بعينه من الغنيمة، وإن الباقي هو مصروف إلى اجتهاد الإمام، ينفق منه على نفسه، وعلى عياله، ومن رأى[(٢)].

«وفرَّق الجمهورُ بين الغنيمة وبين الفيء، فقالوا: الخمسُ موضوع فيما عيَّنه الله تعالى من الأصناف المسمَّين في آية الخمس من سورة الأنفال، لا يتعدَّى به إلى غيرهم.

وأمَّا الفيء فهو الذي يرجع في تصرُّفه إلى رأي الإمام بحسب المصلحة، واحتجُّوا بقول عمر: فكانت خاصَّة لرسول الله ﷺ»[(٣)].

وقوله: «والخراج»:

الخَرَاجُ لُغَةً: قال الزَّجَّاج: الخَرْجُ المصدر، والخراج اسم لما يُخْرَجُ. والخراج: غَلَّةُ العبد والأمة. والخَرْجُ والخراج: الإتاوة تؤخذ من أموال النَّاس[(٤)].

وَشَرْعًا: قال الماورديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا الخراج فهو ما وُضِعَ على رقاب الأرض من حقوق تؤدَّى عنها، وفيه من نصِّ الكتاب بيِّنة خالفت نصَّ

---

(١) بداية المجتهد (١/ ٤٩٣).

(٢) المصدر السابق. وانظر: روضة الطالبين، للنووي (٥/ ٣١٧)، والأحكام السلطانية، للماوردي (ص: ٢٢٦- ٢٢٨).

(٣) عون المعبود (٨/ ١٣٢).

(٤) اللسان (٣/ ٥٤)، مادة (خرج).

الجزية، فلذلك كان موقوفًا على اجتهاد الأئمَّة؛ قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢]، وفي قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ وجهان: أحدهما: أجرًا، والثَّاني: نفعًا.

وفي قوله: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ وجهان: أحدهما: فرزق ربِّك في الدُّنيا خير منه- قاله الكلبيُّ-. والثَّاني: فأجرُ ربِّك في الآخرة خير منه. وهذا قول الكلبيِّ أيضًا...

قال أبو عمرو ابن العلاء: «والفرق بين الخرج والخراج أنَّ الخرج من الرِّقاب، والخراج من الأرض»[(١)]. انتهى.

فالمعنى أنَّ الإمام يعتني بأخذ مال الخراج، فيصرفه في جلب مصالح المسلمين، ودفع ما فيه ضرر عليهم وعلى بلدهم، وهذا من مهمَّات الإمام.

وقوله: «ونحوه والصَّرف في منهاج»:

أي أنَّ الإمام يعتني بصرف المال- سواء كان من مال الفيء أو الخراج ونحوه- «**في منهاج**» والمنهاج الطريق؛ أي أنَّه ينفق هذه الأموال بطريقة يحقِّق بها مصالح المسلمين الَّذين ولَّاه الله عليهم، ولا يستأثر بالمال لنفسه وأهله، وليعلم أنها أمانة سيسأل عنها يوم القيامة؛ قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ لَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٢)].

(١) الأحكام السلطانية (ص: ٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣١١٨).

وقال المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٥- وَنَصْبُهُ بِالنَّصِّ وَالإِجْمَاعِ وَقَهْرُهُ فَحُلَّ عَنِ الخِدَاعِ

الشرح

بعد أن انتهى المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من أهميَّة نصب إمام للأمَّة في كلِّ عصر، وأنَّها مسألة غاية في الأهميَّة، وبيَّن مهمَّات وواجبات الإمام، انتقل لبيان أمر من الأهميَّة بمكان؛ ألا وهو الأمور التي ينصَّب بها الإمام؛ وهي كما ذكرها: النَّصُّ، الإجماع، القهر، وقد زلَّت في هذه المسألة أقدام أقوام ظنُّوا أنَّهم على الحقِّ، وليس الأمر كما ظنوا.

وقد ذكر أئمَّة الفقه والحديث من السَّلف والخَلَف في هذه المسألة في كتبهم؛ لأهميَّتها وتوقُّف صلاح البلاد والعباد عليها.

قال الإمام النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وتنعقد الإمامة بثلاثة طرق:

أحدها: البيعة: كما بايعت الصَّحابة أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وفي العدد الَّذي تنعقد الإمامة ببيعتهم ستَّة أوجه...» وقد ذكرها ثمَّ قال: «والسَّادس وهو الأصحُّ؛ أنَّ المعتبر بيعة أهل الحلِّ والعقد من العلماء والرُّؤساء وسائر وجوه النَّاس الَّذين يتيسَّر حضورُهم، ولا يشترط اتِّفاق أهل الحلِّ والعقد في سائر البلاد والأصقاع.

الطَّريق الثَّاني: استخلاف الإمام من قبلُ، وعهدُه إليه، كما عَهِدَ أبو بكر إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وانعقد الإجماع على جوازه.

والاستخلاف أن يعقد له في حياته الخلافة بعده، فإن أوصى له بالإمامة فوجهان حكاهما البغويُّ، ولو جعل الأمر شورى بين اثنين فصاعدًا بعده،

كان كالاستخلاف، إلَّا أن المستخلف غير متعيَّن، فيتشاورون، ويتَّفقون على أحدهم، كما جعل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الأمر شورى بين ستَّة، فاتَّفقوا على عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ...

أمَّا الطريق الثالث: فهو القهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام، فتصدَّى للإمامة مَن جمع شرائطها من غير استخلاف ولا بيعة، وقهر النَّاس بشوكته وجنوده، انعقدت خلافته؛ لينتظم شمل المسلمين، فإن لم يكن جامعًا للشرائط؛ بأن كان فاسقًا أو جاهلًا فوجهان: أصحُّهما: انعقادها؛ لما ذكرناه، وإن كان عاصيًا بفعله»[(١)].

فهذه هي الطُّرُقُ الَّتي يكون بها الإمام إمامًا، وهي ثلاثة: النَّصُّ، والإجماع، والقهر. وإذا قلنا: إنَّ الخلافةَ تثبت بواحد من هذه الطُّرق الثلاث، فيعني ذلك أنَّه لا يجوز الخروج على من كان إمامًا بواحدٍ منها أبدًا.

ولهذا قال المؤلِّف رَحِمَهُٱللَّهُ: «**فَحُلَّ عن الخداع**»؛ يعني: لا تخادع، ولا تخن إذا ثبتت الإمامة بواحدة من هذه الطُّرُق، فالإمامة ثابتة بها[(٢)].

---

(١) روضة الطالبين (٧/ ٢٦٣)، وما بعدها باختصار.

(٢) انظر: شرح السفارينية، لابن عثيمين (ص: ٦٨٤).

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٧٦- وَشَرْطُهُ الإِسْلامُ وَالحُرِّيَّةْ عَدَالَــةٌ سَــمْعٌ مَــعَ الدَّرِيَّــةْ

١٧٧- وَأَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَالِمًا مُكَلَّفًــا ذَا خِبْــرَةٍ وَحَاكِمًــا

الشرح

بعدما ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الطرق التي ينصَّب بها الإمام، انتقل إلى بيان الشروط التي يجب أن تكون في الإمام ليكون إمامًا في المسلمين.

قال: «وشرطه الإسلام»:

الشَّرط الأوَّل من شروط الإمام أن يكون مسلمًا؛ لقول الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع العلماء على أنَّ الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنَّه لو طرأ عليه الكفر انعزل، وكذا لو ترك إقامة الصَّلاة والدُّعاء إليها»[(١)].

وقوله: «والحرِّيَّة»:

الحرِّيَّة شرط من شروط الإمامة، لا تنعقد الإمامة بغيرها؛ لأنَّ المملوكَ لا يملك التَّصرُّف في شيء، فكيف يقوم بواجبات الإمام الَّتي ذكرناها؟!

وقوله: «عدالة»:

لأنَّ الخليفة قائم على أحوال وأموال المسلمين، مستأمَن عليها، فلابدَّ

---

(١) مسلم بشرح النووي (٦/ ٤٧٠).

أن تتوافر فيه العدالة، وهذا الشَّرط عند القدرة على اختيار الخليفة.

قال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ -في ثنايا ذكره شروط الإمامة-: «أن يكون على صفة مَن يصلح أن يكون قاضيًا: من الحرِّيَّة، والبلوغ، والعقل، والعلم، والعدالة»(١).

قال الماورديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا أهل الإمامة فالشُّروط المعتبَرَة فيهم سبعة، أحدُها العدالة على شروطها الجامعة»(٢).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا لم يكن مستقيمًا في دينه، فإنَّه لا يجوز أن يولَّى، وهذا الشَّرط شرط للابتداء؛ أي: العدالة شرط للابتداء؛ بمعنى أنَّنا لا نولِّيه وهو غير عدل إذا كان الأمر باختيارنا، أمَّا من ملك وصار خليفة، فإنَّ العدالة ليست شرطًا فيه، ولهذا أذعن المسلمون للخلفاء ذوي الفسق والفجور، مع فسقهم، وفجورهم، وخلاعة بعضهم، وانحراف بعضهم في الدِّين؛ إلا أنه انحراف لا يصل إلى الكفر»(٣).

وقوله: «سمع مع الدَّريَّة»:

هذان شرطان من شروط الإمام للابتداء: «**سمع**» السمع ليصلح أن يباشر مهمَّات الإمام «**مع الدَّريَّة**» أي يكون ذا خبرة بأمور السِّياسة والحكم؛ كي لا يُلعب به ممن حوله من الوزراء ومَن دونهم.

قال الإمام النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ -في معرض ذكره شروط الإمامة-: شجاعًا، ذا

---

(١) الأحكام السلطانية، لأبي يعلى (ص: ٢٠).
(٢) الأحكام السلطانية، للماوردي (١/ ١٧).
(٣) شرح السفارينية (ص: ٦٨٦).

رأي، وسمع، وبصر، ونطق[١].

قال أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ: وأمَّا الصُّمُّ والخُرْسُ فيُمنعان من ابتداء عقد الإمامة؛ لأنَّهما يؤثِّران في التَّدبير والعمل، كما يؤثِّر العمى، وأمَّا في الاستدامة فقد قيل: لا يخرج بهما من الإمامة؛ لقيام الإشارة مقامهما. فراعينا في ابتدائها سلامة كاملة، وفي الخروج نقصًا كاملًا[٢].

وقوله: «وأن يكون من قريش...»:

وكذا من شروط الإمامة عند اختيار الخليفة أن يكون من قريش؛ لما جاء في «الصَّحيحين» من حديث ابن عمر أنَّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ مِنْ قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ**»[٣].

قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **- في معرض شرح الحديث المتقدِّم -**: هذه الأحاديث وأشباهها دَلِيلٌ ظاهر على أنَّ الخلافةَ مُخْتَصَّةٌ بقريش، لا يجوز عقدُها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصَّحابة، فكذلك بعدهم، ومن خَالَفَ فيه من أهل البِدَعِ، أو عرَّض بِخِلافٍ من غَيْرِهِم، فهو مَحْجُوجٌ بإجماع الصَّحابة والتَّابعين، فمن بعدهم، بالأحاديث الصَّحيحة[٤].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: اشتراط كونه قرشيًّا هو مذهب العلماء كافَّة. قال: وقد احتجَّ به أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على الأنصار يوم السَّقيفة،

---

(١) المنهاج، للنووي (ص: ٤٢٥).
(٢) الأحكام السلطانية، لأبي يعلى (ص: ٢١).
(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٠)، ومسلم (١٨٢٠).
(٤) شرح مسلم، للنووي (٦/ ٤٤٢).

فلم ينكره أحد.

قال: وقد عدَّها العلماءُ من مسائل الإجماع، ولم يُنْقَلْ عن أحد من السَّلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بَعْدَهُم في جميع الأعصار.

قال: ولا اعتدادَ بِقَوْلِ النظَّام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنَّه يجوز كونه من غير قريش، ولا بسخافة ضرار بن عمرو[(١)] في قوله: إنَّ غير القرشي من النَّبْطِ وغيرهم يُقدَّم على القرشيِّ لهوان خلعه إن عرض منه الأمر. وهذا الَّذي قاله من باطل القول، وزُخْرُفِه، مع ما هو عليه من مخالَفة إجماع المسلمين، والله أعلم[(٢)].

وقوله: «عَالِمًا»:

من شروط الإمام أن يكون عَالِمًا بأحكام الشَّرع؛ لأنَّه مَأْمُورٌ بالحكم بما أنزل الله، فإن لم يَكُنْ عالمًا بأحكامه، سيكون مقلِّدًا، والتَّقليد نَقْصٌ.

قال الماورديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ - في معرض ذِكْرِهِ شروطَ الخِلافة -: «والثَّاني العلم

---

(١) ضرار بن عمرو هو من رءوس المعتزلة، بل وشيخ الضرارية، قال حنبل: دخلت على ضرار ببغداد، وكان مشوهًا وبه فالج، وكان معتزليًّا فأنكر الجنة والنار، وقال: اختلف فيها؛ هل خلقتا بعد أم لا؟ فوثب عليه أصحاب الحديث، فضربوه، وقال أحمد بن حنبل: إنكار وجودهما كفر. قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] قال أحمد: فهرب. قالوا: أخفاه يحيى بن خالد حتى مات - سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٥- ٥٤٦).

(٢) مسلم بشرح النووي (٦/ ٤٤٢).

المؤدِّي إلى الاجتهاد في النَّوازل والأحكام»[١].

وقوله: «مكلَّفًا ذا خبرة وحاكمًا»:

هذه ثلاثة شروط أخرى لتولِّي الإمامة: أن يكون مكلَّفًا؛ أي: بالغًا عاقلًا؛ لقول رسول الله ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ المَعْتُوهِ حَتَّى يَبْرَأَ**»[٢].

وكذا له خبرة بكيفيَّة إدارة الدَّولة من النَّاحية السِّياسيَّة والاقتصاديَّة وغيرها من الأمور الَّتي هي من مهمَّات الإمام، كما سبق بيان ذلك.

ومن الشُّروط أيضًا أن يكون هو الحاكم، وليس كما هو حاصل في بعض البلاد؛ رئيس الدَّولة ليس له صلاحيَّات إلَّا القليل، ورئيس الوزراء أو غيره هو الَّذي يحكم على الحقيقة؛ لأنَّه المسئول أمام الله عن سياسة الرَّعيَّة، وتدبير شئون البلاد.

قال النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل: شرط الإمام كونه مسلمًا، مكلَّفًا، حرًّا، ذكرًا[٣]، قرشيًّا، مجتهدًا، شجاعًا، ذا رأي، وسمع، وبصر، ونطق»[٤].

---

(١) الأحكام السلطانية (ص: ١٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٤٠٢)، والنسائي (٧٣٠٧)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٩٧).

(٣) شرط الذكورة؛ لقول رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس قد ملَّكوا عليهم بنت كسرى؛ قال: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**» أخرجه البخاري (٤٤٢٥).

(٤) المنهاج، للنووي (ص: ٤٢٥).

ثمَّ قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٧٨- فَكُنْ مُطِيعًا أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرْ   مَا لَمْ يَكُنْ بِمُنْكَرٍ فَيُحْتَذَرْ

الشرح

بعد أن ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما على الإمام من واجبات ومسئوليَّات، ذكر هنا واجب الرَّعيَّة نحو إمامِها، وهو السَّمع والطَّاعة «**فيما أمر**» أي: كلَّ ما يأمر به الإمام رعيَّتَه؛ لأنَّ «ما» من الأسماء الموصولة، وهي تفيد العموم.

وقوله: «مَا لَمْ يَكُنْ بِمُنْكَرٍ فَيُحْتَذَرْ»:

أي أنَّ الإمام إذا أمر بمنكر فلا سمع ولا طاعة، والمنكر يشمل ترك واجب أو فعل معصية؛ كشرب خمر، أو أخذ مال رِبَوِيٍّ، أو ما شابه ذلك؛ فلا يُسْمَعُ له، ولا يُطَاعُ، وكذا إن أمر بترك واجب؛ كترك الصَّلاة، أو الزَّكاة، والحجِّ، أو غير ذلك من الواجبات؛ فلا سمع له، ولا طاعة؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في ثنايا شرح الآية-: «ولم يَعُدَّ الفعلَ في طاعة وَلِيِّ الأمر، بل جَعَلَهَا ضمنًا وتبعًا لطاعة الرَّسول؛ فإنَّهم إنَّما يطاعون تبعًا لطاعة الرسول إذا أمروا بما أمر به، ونهوا عما نهى عنه، ولا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، وينهون عنه»(١).

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ**

(١) بدائع التفسير (٢/ ٢٤).

اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ[(١)] زَبِيبَةٌ»[(٢)].

وعن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»[(٣)].

---

(١) إنما شبه رأس الحبشي بالزبيبة لتجمعها، ولكون شعره أسود، وهو تمثيل في الحقارة وبشاعة الصورة وعدم الاعتداد بها. الفتح (١٣/ ١٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

فصل

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٧٩-وَاعْلَمْ بِأَنَّ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ مَعَا فَرْضَا كِفَايَةٍ عَلَى مَنْ قَدْ وَعَى

١٨٠- وَإِنْ يَكُنْ ذَا وَاحِدًا تَعَيَّنَا عَلَيْهِ لَكِنْ شَرْطُهُ أَنْ يَأْمَنَا

الشرح

انتقل المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأهمية الكلام صدّر الكلام بـ «**اعلم**» وقد سبق بيان أن الكلام إذا بدأ بـ «اعلم» فإن الكلام يكون على جانب عظيم من الأهميَّة.

والمعروف اسم جامع لكل ما يحبُّه الله ويرضاه، والمنكر اسم جامع لكلِّ ما يُبْغِضُهُ الله تعالى.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اسم المعروف والمنكر إذا أُطْلِقَ كما في قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، يدخل في المعروف كلُّ خير، وفي المنكر كلُّ شرٍّ[١].

ومن فضائل هذه الأمَّة الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وقد لعن الله

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٦١).

بعضًا من الأمم السَّابقة؛ لتركهم الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر؛ قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة].

وأثنى - سبحانه وتعالى - على هذه الأمَّة؛ قال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران].

قال ابن كثير في شرح الآية: «يخبر تعالى عن هذه الأمَّة المحمَّديَّة بأنَّهم خير الأمم، فقال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ قال: «خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ»[(١)].

والمعنى أنَّهم خيرُ الأمم، وأنفع النَّاس للنَّاس، ولهذا قال: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ والصَّحيح أنَّ هذه الآية عامَّة في جميع الأمَّة؛ كلُّ قَرْنٍ بِحَسَبِهِ، وخير قرونهم الَّذين بُعِثَ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم[(٢)]، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: خيارًا ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً؛ أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٧).
(٢) انظر: البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

اللهِ»[(١)]، وإنما حازت هذه الأمَّة قَصْبَ السَّبق إلى الخيرات بنبيِّها محمَّد؛ فإنَّه أَشْرَفُ خَلْقِ الله، وَأَكْرَمُ الرُّسل على الله[(٢)]. انتهى.

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران] «فَخَصَّ هؤلاء بالفلاح دون من عداهم، والدَّاعون إلى الخير هم الدَّاعون إلى كتاب الله وسنَّة رسوله، لا الدَّاعون إلى رأي فلان وفلان»[(٣)].

وقوله:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ مَعَا ... فَرْضًا كِفَايَةٍ عَلَى مَنْ قَدْ وَعَى

أي: اعلم أيُّها المخاطب «بأنَّ الأمر والنَّهي معًا»؛ أي: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر «معًا»؛ أي: كلاهما «فرضا كفاية» وفرض الكفاية- كما عرَّفه أهل العلم- إذا قام به البعض سقط الحرج عن الآخرين، وإذا تركه الكلُّ أَثِمَ الجميع[(٤)].

وقوله: «على من قد وعى»:

أي: على كلِّ مسلم مكلَّف «قد وعى» يعني: علم حكم الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر؛ تعيُّنًا عليه؛ أي: أصبح فَرْضَ عين عليه، وكذلك على الجماعة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٤٤٧)، والترمذي (٣٠٠١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٨).

(٣) بدائع التفسير، لابن القيم (١/ ٥٠٨).

(٤) انظر: شرح مسلم، للنووي (١/ ٢٩٩)، كتاب الإيمان، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨/ ١٢٦)، وغيرهما.

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ - في معرض شرحه حديث «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ...»[(١)]-: «ولا يختصُّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر بأصحاب الولاية، بل ذلك ثابت لآحاد المسلمين، وإنَّما يأمر وينهى من كان عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، فإن كان من الأمور الظَّاهرة، مثل: الصَّلاة والصَّوم والزِّنا وشرب الخمر ونحو ذلك، فكلُّ المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال وما يتعلَّق بالاجتهاد ولم يكن للعوامِّ فيه مدخل، فليس لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء»[(٢)].

وقوله: « وَإِنْ يَكُنْ ذَا وَاحِدًا تَعَيَّنَا عَلَيْهِ»:

يعني أنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر قد يكون فرض عين على أحد من النَّاس، إذا كان هو وحدَه الَّذي له السُّلطة في إزالة المنكر، أو ليس لغيره قدرة على إزالة هذا المنكر.

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّه قد يتعيَّن، كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلَّا هو، أو لا يتمكَّن من إزالته إلَّا هو، وكمن يرى زوجته أو غلامه على منكر، أو تقصير في معروف[(٣)].

قوله: «... لكن شرطه أن يأمنا»:

أي: شرط وجوب الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر - سواء كان فرض عين أو فرض كفاية - «أن يأمنا» على نفسه أن يلحق بها ضرر أو أذًى

---

(١) سيأتي تخريج الحديث قريبًا إن شاء الله.
(٢) شرح الأربعين النووية (ص: ٢١٤).
(٣) شرح مسلم، للنووي (١/ ٢٩٩).

أكبر ممَّا يحصل بإنكار المنكر، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»(١)، وقال ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(٢).

وأيضًا جعل ﷺ تغيُّر المنكر على مراتب؛ لاختلاف وتفاوت قدرات النَّاس في إنكار المنكر؛ فقد يكون لإنسان القدرة أن ينكر بلسانه، وليس عنده قدرة أن ينكر بيده، وقد ينكر آخر بقلبه، ولا يستطيع الإنكار باللِّسان، وهكذا. وأيضًا اختلاف أحوال الَّذين ينكر عليهم.

وأمَّا الإنكار بالقلب فلا يسقط عن أحد؛ فعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(٣)، وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا، ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ»(٤).

قال ابن رجب رحمه الله بعد أن ذكر جُمْلَةً من الأحاديث: «فَدَلَّتْ هذه الأحاديث كلُّها على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وإنَّ إنكاره بالقلب لا بدَّ منه(٥)؛ فمن لم ينكر قلبه المنكر، دلَّ على ذهاب الإيمان من

---

(١) أخرجه الدارقطني (٣/ ٧٧) (٤/ ٢٢٨)، وابن ماجه (٢٣٤٠، ٢٣٤١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. وانظر: صحيح الجامع (٧٣٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤٩).

(٤) صحيح: سنن أبي داود (٤٣٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٣٠٤، ٣٠٥).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٧).

قلبه... وأمَّا الإنكار باللِّسان واليد فإنما يجب بحسب الطَّاقة.

وقال ابن مسعود: يوشك من عاش منكم أن يرى منكرًا لا يستطيع له، غَيْر أن يُعْلِمَ الله من قلبه أنَّه له كاره»(١).

لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه:

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: ولا يسقط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر لكونه لا يُقْبَلُ في ظنِّه، بل يجب عليه فعلُه؛ قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]، وقد تقدَّم أنَّ عليه أن يأمر وينهى، وليس عليه القبول؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور](٢).

ولا يسقط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر عن من كان متلبِّسًا بما ينهى عنه؛ قال العلماء: ولا يشترط في الآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر أن يكون كامل الحال، ممتثلًا ما يؤمَر به، مجتنبًا ما يُنْهَى عنه، بل عليه الأمر، وإن كان مرتكبًا خِلافَ ذلك؛ لأنَّه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخذ بأحدهما، لا يسقط عنه الآخر(٣). انتهى.

مثال ذلك: إنسان يغتاب ويمشي بين النَّاس بالنَّميمة، هذا مرتكب ذنبًا

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (ص: ٥٥٥، ٥٥٦). وانظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣١).

(٢) شرح الأربعين النووية (ص: ٢١٤)، وانظر: شرح مسلم، للنووي (١/ ٢٩٩).

(٣) المصدر السابق.

عظيمًا، وعليه أن يتوب ويعود إلى الله، لكنَّ هذا الذَّنب لا يُسْقِط عنه النَّهي عن المنكر؛ فإذا رأى مَن يغتاب أو يمشي بين النَّاس بالنَّميمة، وجب عليه أن ينهاه؛ فارتكاب المحظور لا يمنع من فعل المأمور، وهو مأمور بالنَّهي عن المنكر، والنَّهي يشمل نفسَه وغيرَه.

فإذا ظلَّ مقيمًا على المعاصي، وقع تحت ذمِّ الله ورسوله لمن هذا حاله؛ قال الله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة]، وقال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ»[(١)].

خلاصة ما ذكره أهل العلم في المسائل التي تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممَّا تَقَدَّمَ من كلام المؤلِّف وأقوال أهل العلم نخلص بالآتي:

أوَّلًا: مشروعيَّة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وأنه واجب بالكتاب والسُّنَّة والإجماع. وقد تقدَّم بيانُ أدلَّة ذلك.

قال النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأمَّا قوله ﷺ: «فَلْيُغَيِّرْهُ» فهو أمر إيجاب بإجماع الأمَّة، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمَّة[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شرح مسلم (١/ ٢٩٩).

ثانيًا: حكمه:

فرض كفاية؛ إذا قام به بعض النَّاس، سقط الحَرَجُ عن الباقين، وإذا تركه الجميع أَثِمَ كُلُّ من تمكَّن منه بلا عذر ولا خوف(١).

ثالثًا: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- العلم:

ويشمل العلم بما يأمر به، وينهى عنه، والعلم بحال مَن يأمره وينهاه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ - في معرض كلامه عن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والعمل الصَّالح-: «فإنَّ القصد والعمل إن لم يكن بعلم، كان جهلًا وضلالًا واتِّباعًا للهَوَى كما تقدَّم، وهذا هو الفرق بين أهل الجاهليَّة وأهل الإسلام؛ فلا بدَّ من العلم بالمعروف والمنكر، والتَّمييز بينهما، ولا بدَّ من العلم بحال المأمور والمنهيِّ»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «وممَّا يجب أن يُعْلَمَ أنَّ الَّذي يريد أن ينكر على النَّاس، ليس له أن ينكر إلَّا بحجَّة وبيان؛ إذ ليس لأحد أن يلزم أحدًا بشيء، ولا يحظر على أحد شيئًا بلا حجَّة خاصَّة، إلَّا رسول الله ﷺ المبلِّغ عن الله الَّذي أوجب على الخَلْقِ طاعتَه فيما أدركته عقولهم، وما لم تدركه.. »(٣).

فأوَّل درجات الإنكار أن يكون المُنْكِرُ عالمًا بما ينكره، وما يقدر النَّاس عليه؛ فليس لأحد من خلق الله- كائنًا من كان- أن يبطل قولًا، أو يُحَرِّمَ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٤٥).

فعلًا، إلَّا بسلطان الحجَّة، وإلَّا كان ممَّن قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [غافر]، ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر].

٢- القدرة:

من شروط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر أن يكون الآمرُ بالمعروف والنَّاهي عن المنكر لديه قدرة على التَّغيُّر، وقد سبق بيان ذلك آنفًا.

٣- أن تكون المصلحة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر راجحة:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاعدة العامَّة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسَّيِّئات، أو تزاحمت، فإنَّه يجب ترجيح الرَّاجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد؛ فإنَّ الأمر بالمعروف والنَّهْيَ وإن كان متضمِّنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرَّمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، ولكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة»[1].

٤- الرِّفق:

ينبغي للآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر أن يَرْفُقَ؛ ليكون أقرب إلى

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٩).

تحصيل المطلوب؛ فقد قال الإمام الشَّافعيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه عَلانِيَةً فقد فضحه وشانه»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[(٢)]، وقال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»[(٣)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّاس محتاجون إلى مُدَارَاة وَرِفْق في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر بلا غلظة، إلَّا رجلًا معلنًا بالفسق؛ فلا حرمة له؛ قال: وكان أصحاب ابن مسعود إذا مرُّوا بِقَوْمٍ يَرَوْنَ منهم ما يكرهون، يقولون: مهلًا مهلًا رحمكم الله.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: يَأْمُرُ بِالرِّفْقِ وَالْخُضُوعِ، فَإِنْ أَسْمَعُوهُ مَا يَكْرَهُ، لَا يَغْضَبُ، فَيَكُونُ يُرِيدُ يَنْتَصِرُ لِنَفْسِهِ[(٤)].

٥- الصبر:

وسيأتي في شرح البيت التالي.

رابعًا: لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه:

وقد تقدم بيان ذلك آنفًا.

---

(١) شرح مسلم، للنووي (١/ ٣٠١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من رواية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٣) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢٥٩٣) من رواية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٤) انظر: جامع العلوم والحكم (ص: ٥٦٤).

خامسًا: لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن من كان متلبِّسًا به:

تقدَّم آنفًا.

سادسًا: أن يرى المنكر:

فلا يكفي في إزالة المنكر أن يظنَّ أنَّه منكر؛ فلا بدَّ من اليقين.

قال ابنُ رجب الحنبليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله ﷺ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا» يَدُلُّ على أنَّ الإنكار متعلِّق بالرؤية؛ فلو كان مستورًا فلم يَرَه ولكن علم به، فالمنصوص عن أحمد في أكثر الروايات أنه لا يعرض له، وأنه لا يفتش على ما استراب به. وعنه رواية أخرى؛ أنه يكشف المغطى إذا تحقَّقه، ولو سمع صوت غناء محرَّم أو آلات الملاهي وعلم المكان الذي هي فيه، فإنَّه ينكرها؛ لأنَّه قد تحقَّق المنكر، وعلم موضعَه، فهو كما رآه. نصَّ عليه أحمد»[١].

وقال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن كان في المنكر الَّذي غلب على ظنِّه الاستسرار به بإخبار ثقة عنه انتهاك حرمة يفوت استدراكها كالزِّنا والقتل جاز التَّجسُّس والإقدام على الكشف والبحث؛ حذرًا من فوات ما لا يستدرَك من انتهاك المحارم، وإن كان دون ذلك في الرُّتبة، لم يَجُزِ التَّجَسُّسُ عليه، ولا الكشف عنه»[٢].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص:٦٤٥).

(٢) المصدر السابق.

ثمَّ قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨١ - فَاصْبِرْ وَزِلْ بِاليَدِ وَاللِّسَانِ ... لِمُنْكَرٍ وَاحْذَرْ مِنَ النُّقْصَانِ

١٨٢ -وَمَنْ نَهَى عَمَّا لَهُ قَدِ ارْتَكَبْ ... فَقَدْ أَتَى ممَّا به يَقْضِي العَجَبْ

١٨٣ - فَلَوْ بَدَا بِنَفْسِهِ فَذَادَهَا ... عَنْ غَيِّهَا لَكَانَ قَدْ أَفَادَهَا

الشرح

الصَّبر لُغَةً: قال ابن سيده: صَبَرَهُ عن الشيء يصبره صبرًا: حبسه... وأصل الصَّبر الحبس، وكلُّ من حَبَسَ شيئًا فقد صبره[(١)].

وقال الجَوْهَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّبر حبس النَّفس عن الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبراً[(٢)].

وشرعًا: أن يصبر على أداء الطَّاعات، ويصبر عن المعاصي فلا يأتيها، ويصبر على أقدار الله إذا جاءت على غير مراد النَّفس، فلا يجزع، ولا يهلع، لكن يصبر ويحتسب.

وقوله: «فاصبر»:

أي: من قام بواجب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، يلزمه أن يتحلَّى بصفة الصَّبر؛ فيصبر، ولا يملُّ من تكراره وكثرة النُّصح للغير- إذا لم يستجب العاصي لنصيحته- ولا يغضب، ولا ينتصر لنفسه عند الخلاف، بل يسعى لنصر الحقِّ، ويصبر على الأذى ممَّن يدعوهم إلى

---

(١) اللسان (٥/ ٢٦٧)، مادة «صبر».

(٢) الصحاح (ص: ٥٨٧).

الحقِّ، ويعلم أنَّ واجبَه هو هداية الإرشاد والبيان؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية].

أمَّا هداية التَّوفيق فهي بيد الله - جلَّ جلاله - ولم يكلِّف بها أحدًا من البشر وإن كانوا أنبياء؛ قال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]. وقد سبق بيان أنواع الهداية.

فلا بدَّ من الصَّبر للآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر؛ قال تعالى عن قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(١)، وغير ذلك من الأدلَّة.

وقوله: «وَزِلْ بِاليَدِ»:

إزالة المنكر باليد أعلى درجات الإنكار، كما تقدَّم في حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، لكن يشترط على من يقوم بالأمر

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩، ٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بالمعروف والنَّهي عن المنكر أن يعلم فقه المسألة، وشروط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر كما تقدَّم من أقوال أهل العلم؛ لئلَّا تنتشر الفوضى، وتقع منكرات أعظم ممَّا أراد إزالتها؛ لقلَّة فقه وعلم.

وقوله: «واللِّسان»:

أي: إن لم تستطع التَّغيير باليد، فغيِّر المنكر باللِّسان، تارة بالتَّرغيب في الثَّواب الَّذي يناله من ترك المعصية لله، وتارة أخرى بالتَّرهيب من انتهاك حرمات الله، والتَّذكير بأنَّه -سبحانه- غفور رحيم، وهو أيضًا شديد العقاب وذو عذاب أليم؛ قال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر]، وقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج]، وغير ذلك من الآيات، وكلُّ ذلك بضوابط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر الَّتي ذكرناها آنفًا.

قال ابنُ رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر تارةً يحمل عليه رجاء ثوابه، وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النَّصيحة للمؤمنين والرَّحمة لهم، ورجاء إنقاذهم ممَّا أوقعوا أنفسَهم فيه من التَّعرُّض لغضب الله وعقوبته في الدُّنيا والآخرة.

وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبَّته، وأنَّه أهل أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكْفَرُ، وأن يُفْتَدَى من انتهاك محارمه بالنُّفوس والأموال، كما قال بعض السَّلَف: وددتُ أنَّ الخلق كلهم

أطاعوا الله، وإن لحمي قُرِض بالمقاريض...»[١].

وقوله: «... واحذر من النُّقصان»:

يعني أنَّ الإنكار بالقلب نقصان؛ لأنَّه أضعف الإيمان، كما جاء في الحديث: «فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[٢]. فحقٌّ على من كان له القدرة على التَّغيير باليد أو اللِّسان بالضَّوابط الَّتي وضعها العلماء كما تقدَّم، أن لا يكتفي بالإنكار بالقلب؛ لأنَّ ذلك نقصان وتفريط في حقِّ الله عليه.

قال الإمام النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أنَّ هذا الباب - أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - قد ضُيِّعَ أكثرُه من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلَّا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عمَّ العقابُ الصَّالحَ والطَّالحَ، وإذا لم يأخذوا على يد الظَّالم، أوشك أن يعمَّهم الله تعالى بعقابه؛ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

فينبغي لطالب الآخرة السَّاعي في تحصيل رضا الله - عزَّ وجلَّ - أن يعتني بهذا الباب؛ فإنَّ نفعه عظيم، لا سيَّما وقد ذهب معظمُه، ويخلص نيَّته، ولا يهادن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته؛ فإنَّ الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ

(١) جامع العلوم والحكم (ص: ٥٦٤).
(٢) المصدر السابق.

وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾ [آل عمران]... إلى أن قال: واعلم أنَّ الأجر على قدر النَّصب، ولا يتاركه أيضًا لصداقته ومودَّته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه...

وأمَّا صفة النَّهي ومراتبه فقد قال النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث الصَّحيح: «فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»؛ فقوله ﷺ: «فَبِقَلْبِهِ» معناه: فليكرهه بقلبه، وليس ذلك بِإِزَالَةٍ وتَغْيِيرٍ منه للمنكر، ولكنَّه هو الَّذي في وُسْعِهِ.

وقوله ﷺ: «وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» معناه- والله أعلم- أقلُّه ثمرة»[(١)].

وقوله:

وَمَنْ نَهَى عَمَّا لَهُ قَدِ ارْتَكَبْ فَقَدْ أَتَى ممَّا به يَقْضِي العَجَبْ

يعني أنَّ بعضَ النَّاس يَنْهَى عن ارتكاب الذُّنوب وهو مقيم على معصية الله، وقد ينهى عن الكذب وهو يكذب، أو ينهى عن أخذ أموال النَّاس بالباطل وهو كذلك، إلى غير ذلك؛ فالذي تلك حالته ينهى النَّاس، ولا ينهى نفسه «فقد أتى ممَّا به يَقْضِي العجب» أي: فعل شيئًا يحكم عليه بأنَّه عجيب؛ لأنَّ قولَه خالَفَ فِعْلَهُ؛ قال تعالى: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا

(١) مسلم بشرح النووي (١/ ٣٠٠، ٣٠١) باختصار.

تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصف]، وقد سبق بيانُ أدلَّة ذَمِّ مَن خَالَفَ قولُه فِعْلَهُ.

وقوله:

فَلَـــوْ بَـــدَا بِنَفْسِـــهِ فَـــذَادَهَا عَــنْ غَيِّهَــا لَكَــانَ قَــدْ أَفَادَهَــا

أي: لو بدأ مَن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بنفسه «**فذادها**» أي: ردَّها «**عن غَيِّهَا**» عن ضَلالِهَا- لأنَّ مرتكب المعصية قد ضلَّ سواء السَّبيل وخرج من حزب الرَّحمن إلى حزب الشَّيطان- «**لكان قد أفادها**»؛ أي: جَلَبَ لها الخير؛ بطاعة الله تعالى، والبعد عن معصيته، ونجّاها من النَّار؛ فبهذا كلِّه يكون قد أفادها.

الخاتمة

الخاتمة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٨٤- مَـدَارِكُ العُلُـومِ فِـي العِيَـانِ ... مَحْصُـورَةٌ فِـي الحَـدِّ وَالبُرْهَـانِ

١٨٥- وَقَالَ قَوْمٌ عِنْدَ أَصْحَابِ النَّظَرِ ... حِـسٌّ وَإِخْبَـارٌ صَـحِيحٌ وَالنَّظَـرِ

١٨٦- فَالحَدُّ وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ عِلْمِ ... وَصْـفٌ مُحِـيطٌ كَاشِـفٌ فَـافْتَهِمِ

١٨٧- وَشَرْطُهُ طَرْدٌ وَعَكْسٌ وَهوَ إنْ ... أَنْبَـا عَـنِ الـذَّوَاتِ فَالتَّـامّ اسْـتَبِنْ

١٨٨- وَإِنْ يَكُنْ بِالجِنْسِ ثُمَّ الخَاصَّةْ ... فَـذَاكَ رَسْـمٌ فَـافْهَمِ المُحَاصَّـةْ

١٨٩- وَكُلُّ مَعْلُومٍ بِحِسٍّ وَحِجَا ... فَنُكْـرُهُ جَهْـلٌ قَبِـيحٌ فِـي الهِجَـا

١٩٠- فَـإِنْ يَقُـمْ بِنَفْسِـهِ فَجَـوْهَرُ ... أَوْ لَا فَـذَاكَ عَـرَضٌ مُفْتَقِـرُ

١٩١- وَالجِسْمُ مَا أُلِّفَ مِنْ جُزْأَيْنِ ... فَصَـاعِدًا فَـاتْرُكْ حَـدِيثَ المَـيْنِ

١٩٢- وَمُسْتَحِيلُ الذَّاتِ غَيْرُ مُمْكِنِ ... وَضِـدُّهُ مَـا جَـازَ فَاسْـمَعْ زُكْنِـي

١٩٣- وَالضِّدُّ وَالخِلافُ وَالنَّقِيضُ ... وَالمِثْـلُ وَالغَيْـرَانِ مُسْـتَفِيضُ

١٩٤- وَكُـلُّ هَـذَا عِلْمُـهُ مُحَقَّـقْ ... فَلَـمْ نُطِـلْ بِـهِ وَلَـمْ نُنَمِّـقْ

الشرح

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة النَّظم أبياتًا وقواعد عن علم المنطق والكلام، أنَّه لا مصلحة فيه، ولا فائدة منه؛ فَعِلْمُ المنطق والفلسفة وما أشبه ذلك لم يظهر في القرون الأولى المفضَّلة، ولا علمه الصَّحابة ولا التَّابعون لهم بإحسان، فلسنا في حاجة إلى شرح هذه الأبيات وبيان قواعد علم

المنطق؛ فالضَّررُ من معرفة هذا العلم أكيد، والنَّفع يكاد يكون منعدمًا.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ - في معرض ذمِّ علم المنطق -: «إذ ليس في القرون الثَّلاثة من هذه الأمَّة - الَّتي هي خير أمَّة أخرجت للنَّاس وأفضلها القرون الثَّلاثة - من كان يَلْتَفِتُ إلى المنطق، أو يعرِّج عليه، مع أنَّهم في تحقيق العلوم وكمالها بالغاية الَّتي لا يدرك أحد شَأْوَهَا كانوا أعمق النَّاس علمًا، وأقلَّهم تكلُّفًا، وأبرَّهم قلوبًا، ولا يوجد لغيرهم كلام فيما تكلَّموا فيه، إلَّا وجدت بين الكلامين من الفرق أعظم ممَّا بين القِدَم والفَرَق.

بل الَّذي وجدناه بالاستقراء أنَّ من المعلوم أنَّ الخائضين في العلوم من أهل هذه الصِّناعة أكثر النَّاس شكًّا واضطرابًا، وأقلُّهم علمًا وتحقيقًا، وأبعدُهم عن تحقيق علم موزون، وإن كان فيهم من قد يحقِّق شيئًا من العلم، فذلك لصحَّة المادَّة، والأدلَّة الَّتي ينظر فيها، وصحَّة ذهنه وإدراكه، لا لأجل المنطق، بل إدخال صناعة المنطق في العلوم الصَّحيحة يطوِّل العبارة، ويُبْعِدُ الإشارة، ويجعل القريب من العلم بعيدًا، واليسير منه عسيرًا.

ولهذا تجد من أدخله في الخلاف والكلام وأصول الفقه وغير ذلك، لم يفد إلَّا كثرة الكلام والتَّشقيق، مع قلَّة العلم والتَّحقيق.

فعلم أنَّه من أعظم حشو الكلام، وأبعد الأشياء عن طريقة ذوي الأحلام»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ حين سئل: ما تقولون في المنطق؟ وهل من قال «إنَّه فرض

---

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٣، ٢٤).

كفاية» مُصِيبٌ أم مخطئ؟ فأجاب: «الحمد لله، أمَّا المنطق فمن قال: «إنَّه فرض كفاية» وأنَّ من ليس له به خبرة فليس له ثقة بشيء من علومه، فهذا القول في غاية الفساد من وجوه كثيرة التِّعداد، مشتمل على أمور فاسدة، ودعاوى باطلة كثيرة لا يتَّسع هذا الموضع لاستقصائها.

بل الواقع - قديمًا وحديثًا - أنَّك لا تجد من يلزم نفسَه أن ينظر في علومه به ويناظر به، إلَّا وهو فاسد النَّظر والمناظَرة، كثير العجز عن تحقيق علمه وبيانه...

ومن المعلوم أنَّ القولَ بوجوبه قَوْلُ غُلاتِهِ وجُهَّالِ أصحابه، ونفس الحذاق منهم لا يلتزمون قوانينه في كلِّ علومهم، بل يُعْرِضُونَ عنها؛ إمَّا لطولها، وإمَّا لعدم فائدتها، وإمَّا لفسادها...»(١).

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٥، ٦) باختصار.

ثمَّ قال النَّاظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩٥- وَالحَمْـدُ للهِ عَلَـى التَّوْفِيـقِ ... لِمَـنْهَجِ الحَـقِّ عَلَـى التَّحْقِيـقِ

١٩٦- مُسَـلِّمًا لِمُقْتَضَـى الحَـدِيثِ ... وَالـنَّصِّ فِـي القَـدِيمِ وَالحَـدِيثِ

١٩٧- لا أَعْتَنِـي بغَيْـرِ قَـوْلِ السَّـلَفِ ... مُوَافِقًـا أَئِمَّتِـي وَسَـلَفِي

الشرح

تَقَدَّمَ عند شرح البيت الأول معنى الحمد، والفرق بينه وبين الشُّكر «**على التَّوفيق**» وممَّا لا خِلافَ فِيهِ بَيْنَ العُقَلاءِ أَنَّ التَّوْفِيقَ أَلَّا يَكِلَكَ اللهُ تعالى لنفسك، والخذلان أن يخلِّي بينك وبين نفسك، وقد عَلَّمَنَا رسول الله ﷺ أن نقول حين نصبح وحين نمسي: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**»[(١)].

وقوله: «لمنهج الحقِّ على التَّحقيق»:

أي: منهج أهل السُّنَّة والجماعة؛ فقد أخبرنا نبيُّنا ﷺ: «**إِنَّ هَـذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَهِيَ الجَمَاعَةُ**»[(٢)].

فَكُلُّ من وُفِّقَ للسَّير على نهج أهل السُّنَّة والجماعة، فَلْيَحْمَدِ اللهَ ويسأله الثَّبات على الحقِّ «**على التَّحقيق**» فكلُّ من حاول الوصول إلى الحقِّ بِتَجَرُّدٍ وَعَدَمِ اتِّبَاعِ الهوى، حَتْمًا سيصل إلى الحقِّ، وهو منهج أهل السُّنَّة.

---

(١) صحيح: سنن النسائي (١٠٣٣٠)، مستدرك الحاكم (٢٠٠٠)، وغيرهما.

(٢) سبق تخريجه.

وقوله: «مُسَلِّمًا لمقتضى الحديث...»:

أي: أحمد الله على أن وَفَّقَنِي لمنهج أهل السُّنَّة حَالَ كوني مسلِّمًا؛ «**لمقتضى الحديث**» أي: لما يقتضيه الحديث، وقد ثبت أنَّه عن رسول الله ﷺ بأسانيد صحيحة.

وقوله: «والنَّصِّ في القديم والحديث»:

والنَّصُّ؛ أي: النَّصّ القرآني «**في القديم والحديث**» أي أنَّ هذا هو اعتقادي في أوَّل أمري وآخره، وهو ما وافق اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة. وقوله من باب التَّحَدُّثِ بنعمة الله تعالى، لا من باب الفَخْرِ.

وقوله: «لا أعتني بغير قول السَّلف...»:

أي: لا أقول إلَّا بقول السَّلف الصَّالح، ومن المعلوم أنَّ أَفْضَلَ السَّلَفِ هم القرون الأولى، وأفضلهم القرن الأوَّل، وهم الصَّحابة، وقد سبقت المسألةُ وَبَيَانُ قدر الصَّحابة -رضي الله عنهم-، فقول السَّلف هو المعوَّل عليه؛ لأنَّ عقيدتَهم مبنيَّة على ما جاء في الكتاب والسُّنَّة وَفَهْمِ سلف الأمَّة من الصَّحابة ومن بعدهم.

وقوله: «موافقًا أئمَّتي وسلفي...»:

أي لست مبتدعًا فيما أعتقده، وإنَّما أسير على نهج السَّلف الصَّالح من الصَّحابة ومن تبعهم بإحسان، عاملًا بوصيَّة رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٤٢).

ثمَّ قال رَحِمَهُ اللهُ:

١٩٨- وَلَسْتُ فِي قَوْلِي بِذَا مُقَلِّدًا ... إِلَّا النَّبِيَّ المُصْطَفَى مُبْدِي الهُدَى

١٩٩- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا قَطْرٌ نَزَلْ ... وَمَا تَعَانَى ذِكْرُهُ مِنَ الأَزَلْ

٢٠٠- وَمَا انْجَلَى بِهَدْيِهِ الدَّيْجُورْ ... وَرَاقَتِ الأَوْقَاتُ وَالدُّهُورْ

الشرح

أي أنَّ ما أقوله من أمور الاعتقاد، لم أقلِّد فيه أحدًا، إنَّما أُقَلِّدُ النَّبيَّ ﷺ المصطفى.

هل يجوز أن نقول: نحن نقلِّد نبيَّنا ﷺ؟

بَيْنَ أهل العلم نزاع في جواز ذلك، والأولى أن نقول: نحن نتَّبع النَّبيَّ ﷺ؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران]، ولأنَّ التَّقْلِيدَ يكون بغير دليل ولا برهان، أمَّا اتِّباعنا لرسول الله ﷺ فكان بالدَّليل والبرهان، وقد ثبت لنا بالدليل أنه رسول الله ﷺ وأنه خاتم النَّبيِّين، وأنَّ القرآن كلام الله، نزل عليه بواسطة جبريل- عليه السَّلام- إلى غير ذلك من أمور الدِّين، وكلُّ ذلك بالأدلَّة والبراهين.

وقوله: «مبدي الهدى»:

أي أنَّه ﷺ هو الَّذي أظهر الهدى، وهو الطريق المستقيم الموصِّل إلى رضا ربِّ العالمين؛ قال تبارك ذكره: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى].

وقوله: «صلَّى عليه الله...»:

الصَّلاة من الله على النَّبيِّ ﷺ ثَنَاءٌ عليه في الملأ الأعلى، وهذا هو الرَّاجح من أقوال أهل العلم، وقد سبق بيان ذلك[1].

وقوله: «ما قَطْرٌ نَزَل»:

أي: مُدَّةَ دَوَامِ نُزُولِ المطر، وهذا مِنَ العلم الَّذي لا يعلمه إلَّا الله ربُّ العالمين، والمقصود أنَّ الله تعالى صلَّى على النَّبيِّ ﷺ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً، لا يعلم عددها إلَّا الله، كما لا يعلم مدة دوام نزول المطر إلَّا الله تعالى.

وقوله: «وما تعانى ذكره من الأزَل»:

أي: وما تعانى المُعْتَنُون ذكرَه ﷺ في كلِّ الأعصار الماضية؛ فإنه لم يَخْلُ عصر من العصور، ولا زمن من الأزمنة من ذكر نبيِّنا ﷺ والتَّحدُّث عمَّا جاء به من الشَّريعة المطهَّرة.

وقوله: «وما انجلى بهديه الدَّيجور»:

الدَّيجور: الظُّلمة[2]؛ يعني أنَّ الظَّلام انكشف بهَدْيِه؛ فقد جاء بالهدى ودين الحق، فأخرج النَّاس من الظُّلمات إلى النور.

وقوله: «وراقت الأوقات والدُّهور»:

الدُّهور: جمع «دهر»، وهو اسم للزَّمان الطَّويل؛ يعني أنَّه رَحِمَهُ اللَّهُ أراد كثرة الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ.

---

(١) راجع إن شئت شرح البيت الرابع.
(٢) اللسان (٣/ ٢٩٩).

ثمَّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠١- وَآلِـهِ وَصَـحْبِهِ أَهْـلِ الوَفَـا   مَعَـادِنِ التَّقْـوَى وَيَنْبُـوعِ الصَّـفَا
٢٠٢- وَتَـابِعٍ وَتَـابِعٍ لِلتَّـابِعِ   خَيْـرِ الـوَرَى حَقًّـا بِـنَصِّ الشَّـارِعِ

الشرح

بعد أن صلَّى على النَّبيِّ ﷺ قال: «وآلِه» أي: آل النَّبيِّ ﷺ. وقد تقدَّم ذِكْرُ خلاف العلماء في تحديد الآل[١].

«وَصَحْبِه» أي: أصحابه رضوان الله عليهم «أهل الوفا» أي: الَّذين وفَّوا بما عاهدوا الله ورسوله عليه؛ فهم أنقى وأطهر وأفضل البشر بعد الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ.

وقوله: «معادن التَّقوى»:

«معادن» جمع «معدن»، وَعَدَنَ فُلانٌ بالمكان، يَعْدِنُ، وَيَعْدُنُ، عَدْنًا وَعُدُونًا: أقام. وجنَّات عدن منه؛ أي: جنَّات إقامة لمكان الخلد. ومعدن الذَّهب والفضَّة سمِّي معدنًا لإنبات الله فيه جوهرَهما، وإثباته إيَّاه في الأرض حتَّى عدن؛ أي: ثَبَتَ[٢].

يعني: وَأَجْدَرُ الخَلْقِ بالإقامة في جنَّات النَّعيم بعد النَّبيِّ ﷺ هم الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) راجع- إن شئت- شرح البيت الخامس.
(٢) اللسان (٦/ ١٢٩)، مادة «عدن».

وقوله: «وينبوع الصَّفا»:

نبع الماء ينبَع وينبُع نَبْعًا ونُبوعًا: خرج من العَيْنِ، واليَنْبُوعُ: عَيْنُ الماء، ومنه قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾ [الإسراء][1]، والصَّفا ضِدُّ الكُدْرَةِ؛ يعني أنَّ الصَّحابةَ الكرام يَنْبُوعُ الخير الصَّافي الخالص من الشَّوائب والكَدَر.

وقوله: «وتابع وتابع للتابع»:

أي: وصلَّى الله على كلِّ من تَابَعَهُم، وكذا تابع للتَّابع على منهجهم، منهج أهل السُّنَّة والجماعة.

وقوله: «خير الوَرَى حقًّا بنصِّ الشَّارع»:

«**خير الورى حقًّا**» أي: أفضل النَّاس حقًّا «**بنصِّ الشَّارع**» أي أنَّ هذه الخيريَّة مَنْصُوصٌ عليها؛ بدليل قول رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[2].

---

(١) الصحاح، للجوهري (ص: ١٠١٦).

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠٣- وَرَحْمَـةُ اللهِ مَـعَ الرِّضْـوَانِ وَالبِـرِّ وَالتَّكْـرِيمِ وَالإِحْسَـانِ

٢٠٤- تُهْدَى مَعَ التَّبْجِيلِ وَالإِنْعَامِ مِنِّـي لِمَثْـوَى عِصْـمَةِ الإِسْـلامِ

٢٠٥- أئِمَّـةِ الـدِّينِ هُـداةِ الأُمَّـةِ أهـلِ التُّقَـى مِـنْ سـائِرِ الأئِمَّـةِ

٢٠٦- لا سِـيَّما أَحْمَـدَ والنُّعمـانِ ومالِـكٍ مُحَمَّـدِ الصِّـنوانِ

٢٠٧-مـن لَازم لكـل أَرْبَـاب الْعَمَـل تَقْلِيـد حَبْـر مِـنْهُم فاسْـمَعْ تُخَـل

الشرح

«**ورحمة الله مع الرضوان**» أي: ورحمة الله تعالى والرِّضوان منه- سبحانه- على هؤلاء الأَطْهَارِ الأخيار «**والبر**» أي: الإحسان «**والتَّكريم**» لهم من الله تعالى بفضله وجودِه «**والإحسان**» إليهم من الله جَلَّ في علاه؛ لأنَّ الجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا في أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم، أحسن الله تعالى إليهم، جزاءً وِفَاقًا.

وقوله: «تُهدَى مع التَّبجيل والإنعام»:

«**تهدى**» أي: تُهْدَى هذه الأمور «**مع التَّبجيل**» أي: التَّعظيم والتَّكريم «**والإنعام**» أي: الإفضال؛ لأنَّ النِّعْمَةَ هي الفَضْلُ.

وقوله: «مِنِّي لمثوى عصمة الإسلام»:

«**مني**» أي: أسأل الله أن يستجيب ويتقبَّل مِنِّي دعائي «**لمثوى عصمة الإسلام**» أي: الَّذين كانوا سببًا في عصمة الإسلام من البِدَعِ والأهواء، وهم

الآن في قبـورِهم، وهـؤلاء هـم العلمـاء مـن أهـل السُّـنَّة مـن التَّـابعين الَّـذين ساروا على نَهْجِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ.

وقوله: «لا سيَّما أحمد والنعمان ومالك محمَّد الصِّنوان»:

«**أحمد**» أي: أحمـد بـن حنبـل رَحِمَهُ اللَّهُ وقـد أفـرد المصنِّف عـدَّة أبيات في صدر المنظومة في الثَّناء على الإمام أحمد «**والنُّعمان**» يعني: الإمام أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ «**ومالك**» يعني الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة «**محمَّد**» يعني الإمام الشَّافعيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ «**الصِّنوان**» أي: القرابة للنَّبيِّ ﷺ؛ فهو محمَّد بن إدريس بن العبَّاس المطَّلبيّ الشَّافعيّ، يجتمع نَسَبُهُ مع رسول الله ﷺ في عَبْدِ مَنَافٍ[1].

وقد خصَّ النَّاظم هؤلاء الأئمَّة الأربعة بالذِّكر - والله أعلم - لشهرتهم ومكانتهم عند أمَّة الإسلام، فلا يكاد يختلف عليهم أحد أنَّهم من أكابر الأئمَّة.

وقوله:

مِـنْ لازِمٍ لِكُـلِّ أَرْبَـابِ العَمَـلْ   تَقْلِيـدُ حَبْـرٍ مِـنْهُمْ فَاسْـمَعْ تُخَـلْ

يعني أنَّه يلزم لكلِّ إنسان يعمل أن يقلِّد واحدًا من هؤلاء الأربعة، فهذا معنى كلام المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ. وهذا قَوْلٌ ضعيف جدًّا؛ لأنَّ مقتضاه أنَّه لا يجوز العملُ بِقَوْلٍ خَارِجٍ عن أقوال هؤلاء الأربعة - رحمهم الله - والأَمْرُ ليس كذلك، ولا يَلْزَمُ اتِّباع أحد على كلِّ حال إلَّا رسول الله ﷺ فهو الَّذي يلزم اتِّباعُ قَوْلِهِ على كلِّ حال، أمَّا هؤلاء الأربعة - رحمهم الله - فإنَّه لا

(١) شرح السفارينية، لابن مانع.

يَلْزَمُنَا أن نأخذ بقولهم، ولنا أن نخرج عن أقوالهم.

ولكن لا شكَّ أنَّهم إذا أطبقوا على شيء، فإنَّه أَقْرَبُ إلى الصَّواب، والخُرُوجُ عنه يحتاج إلى تَأَنٍّ. وهذه قاعدة ينبغي أن تُعْرَفَ؛ وهي أنَّك إذا رأيتَ الجمهورَ على قول فلان، لا تخرج عنه إلَّا بعد التَّأَنِّي والتَّرَيُّثِ والنَّظَرِ في الأدلَّة والتَّدبر فيها؛ لأنَّ قولَ الجمهور لا يُسْتَهان به، وقول الجمهور أقرب للحقِّ من قول الواحد، فلا تفرح أن تجد قولًا غريبًا تخرج به أمام النَّاس، ليصدق قول النَّاس عليك: خَالِفْ تُعْرَفْ. وبعض النَّاس يقول: خَالِفْ تُذْكَرْ. بل كُنْ مع الجماعة، لكن إذا بان أنَّ الحقَّ في خلاف قول الجمهور، فالواجب عليك اتِّباع الحقِّ، فيكون كلام المؤلف محتملًا للنَّظر.

وقوله: «تُخَل»:

أي: تخلَّى من اللَّوم[1].

---

(١) شرح السفارينية، لابن عثيمين.

ثم قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠٨- وَمَنْ نَحَا لِسُبُلِهِمْ مِنَ الوَرَى ... مَا دَارَتِ الأَفْلاكُ أَوْ نَجْمٌ سَرَى

٢٠٩- هَدِيَّةٌ مِنِّي لأَرْبَابِ السَّلَفِ ... مُجَانِبًا لِلخَوْضِ مِنْ أَهْلِ الخَلَفِ

٢١٠- خُذْهَا هُدِيتَ وَاقْتَفِ نِظَامِي ... تَفُزْ بِمَا أَمَّلْتَ وَالسَّلامِ

الشرح

«**ومن نحا**» أي: من قصد واتجه «**لسبلهم**» جمع سبيل وهو الطريق الواضح «**من الورى**» أي: من سائر الخلق «**ما دارت الأفلاك**» أي: مدة دوران الأفلاك «**أو نجمٌ سرى**» ومدة دوام سريان النجوم «**هدية مني لأرباب السلف**» أي: السلف الصالح «**مجانبًا للخوض من أهل الخلف**» أي أن هذه العقيدة التي نظمها في أبيات بيّن فيها اعتقاده- وهو عقيدة السلف- قد تجنب فيها أقوال أهل البدع من الخلف الذين لم يتبعوا السلف في مسائل الاعتقاد.

وقوله: «خذها هديت واقتف نظامي»:

«**خذها**» أي: خذ هذه العقيدة، واعمل بها «**هديت**» إلى الاعتقاد الصحيح «**واقتف**» أي: واتبع «**نظامي**» أي: منظومي فيها.

وقوله: «تفز بما أملت والسلام»:

«**تفز بما أمّلت**» أي: إنك إن فعلت ذلك تفز وتظفر بالذي أملت من الخير «**والسلام**» أي: وتفوز بالسلام والأمان من الغلط واللغط والبدع، وكل ما يفسد الاعتقاد.

تم بحمد الله ومنّه

الفهرس

الباب الرابع: في ذكر البرزخ والقبور، والحشر، والنشور

مبحث هام: في الإيمان بالسؤال في القبر وعذاب القبر ونعيمه ٨

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة على فتنة القبر.............. ٨

الشهيد يُجار من فتنة القبر.................................... ١٤

مسألة: ما اسم الملكين اللذين يسألان العبد في قبره؟ وأقوال السلف في ثبوت عذاب القبر.................................... ١٤

هل عذاب القبر هو عذاب البرزخ؟.................................... ١٧

مسألة: هل عذاب القبر ونعيمه للروح فقط أم للروح والجسد معًا؟ ١٨

مسائل تتعلق بفتنة القبر اختلف فيها العلماء ١٩

وقد اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة ٢٠

أقسام الروح ٢٩

مسألة: هل النبي ﷺ سيد ولد آدم فقط أم سيد الخلق أجمعين؟ ٣٣

فصل: في أشراط الساعة وعلامتها الدالة على اقترابها ومجيئها ٣٤

المبحث الأول: أشراط الساعة.................................... ٣٥

أولاً: ذكر جملة من أشراط الساعة الصغرى......................... ٣٦

ست خِلالٍ بين يدي الساعة، منها موت النبي ﷺ.................... ٣٦
قتال اليهود ٣٨
كثرة القتل وتمني الموت ٣٩
ادعاء النبوة ٣٩
بعثة النبي ﷺ وموته.. ٣٩
غربة الإسلام ٣٩
قلة العلم وفشو الجهل وموت العلماء............................. ٤٠
استحلال الحرام، وتسميته بغير اسمه ٤٠
قلة الرجال وكثرة النساء وظهور الزنا وكثرة التبرج.............. ٤٢
تغير أحوال الناس ورفع الأمانة ٤٣
تقارب الزمان.. ٤٤
تباهي الناس في المساجد... ٤٤
انحسار الفرات عن كنز من ذهب ٤٤
تقارب الأسواق ٤٥
المبحث الثاني: خروج المهدي ٤٦
المبحث الثالث: أشراط الساعة الكبرى ٤٩
خروج الدجال وبيان صفته.. ٥١
ذكر بعض الأحاديث التي جاء فيها صفات الدجال ٥١
مدة مكثه في الأرض ٥٥

الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة ٥٥
أكثر أتباع الدجال اليهود والنساء ٥٥
من حفظ أول سورة الكهف كان له حرزًا من الدجال ٥٦
التعوذ من فتنة الدجال ٥٦
نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان.. ٥٧
ذكر الأدلة من القرآن على نزول عيسى عليه السلام........................ ٥٧
ذكر الأحاديث التي جاءت في نزول عيسى عليه السلام ٦٠
عيسى عليه السلام يقتل الدجال.. ٦٢
خروج يأجوج ومأجوج.. ٦٣
طلوع الشمس من مغربها.. ٦٥
أي علامة من العلامات إذا ظهرت انقطعت التوبة؟........................ ٦٦
الخسوفات الثلاثة ٦٧
خروج الدابة.. ٦٨
الدخان ٦٩
نار تخرج وتحشر الناس من المشرق إلى المغرب........................ ٦٩
قيام الساعة على شرار الخلق، وحتى لا يقال في الأرض: الله الله ٧٥
دفع توهم قد يقع ٧٦
قيامة الساعة بغتة.. ٧٧
فصل: في أمر المعاد.. ٧٨

مسألة: أصناف الناس الذين أنكروا البعث........................ ٨٣
من نوقش الحساب عذب.................................... ٨٦
مسألة: هل الأعمال هي التي توزن أو صحائف الأعمال، أو صاحب الأعمال؟... ٩٢
القنطرة والقصاص... ٩٩
بعض الأحاديث التي جاءت في الحوض، وصفته، وحرمان أقوام من الشرب منه ١٠١
مسألة: هل الكوثر هو حوض النبي ﷺ؟ ١٠٥
هل لكل نبي حوض؟ ١٠٧
والشفاعة عند الله تعالى تكون بشرطين ١٠٨
ذكر الأحاديث التي جاءت فيها الشفاعة ١٠٩
شفاعة الشهيد لأقاربه..................................... ١١١
النوع الأول: الشفاعة العظمى................................ ١١٣
النوع الثاني: شفاعتهُ أن يؤذن للمؤمنين بدخول الجنة ١١٦
النوع الثالث: شفاعته في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ١١٦
النوع الرابع: تخفيف العذاب عن بعض الناس ١١٦
النوع الخامس: شفاعته لأهل الكبائر من أمته...................... ١١٦
ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس ١١٧
اختلف الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال......................... ١١٨

الشفاعة عند المخلوقين ١١٩
مبحث: عن الشيطان والجن والعفريت.............................. ١٢٤
إمكان رؤية الإنس الجن، والجمع بين أحاديث الباب والآية......... ١٢٨
هل يمكن للإنس رؤية الجن على صورهم التي خلقوا عليها؟ ١٣٠
اختصاص النبوة بالإنس دون الجن ١٣٦
مبحث: في الجنة والنار.. ١٣٨
الدليل على وجود الجنة والنار ١٣٨
الدليل على أن الجنة والنار باقيتان لا يفنيان، وأن أهل الجنة خالدين فيها أبدًا، وأهل النار- وهم الكفار- خالدين فيها أبدًا ١٤١
الأدلة من الكتاب والسنة على أن من مات من المسلمين على الكبائر لا يخلد في النار، لأنه لم يخرج من دائرة الإسلام ١٤٦
مبحث: حكم من مات من أطفال المشركين والمسلمين ومن مات في الفَتْرَة.. ١٥٢
حكم من مات من أطفال المسلمين ١٥٦
حكم من مات من أهل الفَترة...................................... ١٥٨
حكم أصحاب الأعراف في الآخرة ١٦٥
ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على التصريح بنظر المؤمنين لربهم يوم القيامة ١٦٨
أقوال العلماء في رؤية الكفار لله تعالى يوم القيامة ١٧٢

الباب الخامس: في ذكر النبوة ومتعلقاتها

شروط النبوة.. ١٨٠
فصل: في التنبيه على بعض خصائصه وهي كثيرة جدًّا................ ١٨٧
فائدة ١٨٩
المبحث الأول: إثبات أن الإسراء والمعراج وقعا مرة واحدة في ليلة واحدة
في اليقظة بروح وجسد النبي ﷺ ١٩٤
المبحث الثاني: هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج؟ ١٩٧
أقوال أهل العلم في المسألة ١٩٩
المبحث الثالث: متى كان الإسراء والمعراج؟........................ ٢٠٩
وهل يشرع الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج إن صح تعيين تاريخها؟ ... ٢٠٩
وهل رأى النبي ﷺ الجنة والنار ليلة الإسراء والمعراج؟ ٢١١
فصل: في التنبيه على بعض معجزاته ٢١٤
مبحث: الفرق بين معجزات الأنبياء والسحر ٢١٥
فصل: في ذكر فضيلة نبينا وأُولي العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين... ٢٢٦
مبحث: كيف نجمع بين مفاضلة الله عز وجل بين الأنبياء عليهم السلام
وبين نهي النبي ﷺ عن المفاضلة بينهم؟ ٢٣٠
فصل: فيما يجب للأنبياء وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم ٢٣٦
مسألة: هل الأنبياء أحياء في قبورهم؟.............................. ٢٤٥

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة ٢٤٦
فصل: في ذكر فضائل بعض الصحابة الكرام ٢٥١
ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأئمة على أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل هذه الأمة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢٥٤
ذكر بعض الأحاديث وأقوال أهل العلم في فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٥٩
ذكر بعض الأحاديث وأقوال أهل العلم في فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٦٣
إثبات الخلافة له، وذكر بعض مناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٦٩
من مناقب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٧٠
ومن مناقب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نزول قرآن في شأنه ٢٧٢
من مناقبه أنه شهد بدرًا، وأهل بدر قد غفر الله لهم ٢٧٣
مسألة: هل بشر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدًا من الصحابة بالجنة غير هؤلاء العشرة؟ وهل يجوز أن نشهد لأحد بالجنة غير الذين بشرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم من أهل الجنة؟ ٢٧٧
تنبيه: تفضيل نوع على نوع، لا يقتضي تفضيل كل فرد ٢٨٨
فصل: في بيان مزايا الصحابة على غيرهم والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل وتقبيح من آذاهم ٢٩٢
شهادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّ من أغضب الصَّحابة فقد أغضب الله تعالى...... ٢٩٧
مسألة: حكم من سب الصحابة الكرام ٢٩٧
أقوال أهل العلم في المسألة ٢٩٨

الراجح ٣٠٠
بيان الحق فيما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنه ٣٠٧
كلام نفيس للآجري يتبين منه العلة في الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ ٣١٠
فصل: في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها ٣١٤
مبحث في كرامات الأولياء والفرق بينها وبين الأحوال الشيطانية ٣١٥
الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة على ثبوت كرامات الأولياء . ٣١٩
من كرامات الأولياء التي جاءت في القرآن ٣١٩
ومن السنة ٣٢١
أقوال أهل العلم ٣٢٧
لا يجوز تفضيل الأولياء على الأنبياء ٣٢٨
مسألة: هل الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة كما قرر ذلك صاحب النظم؟ ٣٣٦

الباب السادس: في ذكر الإمامة ومتعلقاتها

فالجهاد ثلاثة ضروب ٣٤٤
من هم الخوارج؟ ٣٤٥
مهام الإمام ٣٤٧
وجوب إقامة الحدود ٣٥٠

الفوائد التي تعود على الأمة وعلى الجاني من إقامة الحدود ٣٥٠
كيف يكون في القتل حياة؟ ٣٥٠
المصلحة العائدة على الجاني من إقامة الحد عليه.................... ٣٥١
قسمة الغنائم.. ٣٥٥
كيف يقسم الإمام الفيء؟ ٣٥٦
فصل: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر........................ ٣٦٨
لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه ... ٣٧٣
أوَّلا: مشروعيَّة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وأنه واجب بالكتاب
والسُّنَّة والإجماع. وقد تقدَّم بيانُ أدلَّة ذلك ٣٧٤
ثانيًا: حكمه.. ٣٧٥
ثالثًا: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٧٥
رابعًا: لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في
ظنه.. ٣٧٧
خامسًا: لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن من كان متلبِّسًا
به.. ٣٧٨
سادسًا: أن يرى المنكر.. ٣٧٨
الخاتمة ٣٨٥
هل يجوز أن نقول: نحن نقلِّد نبيَّنا ﷺ؟............................ ٣٩٢
الفهرس ٣٩٩